الملخص في إعراب القرآن

لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن
المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)



تحقيق
د. يحيى مراد

دار الحديث
القاهرة

الملخص
في إعراب القرآن

اسم الكتـــاب : الملخص في إعراب القرآن

اسم المؤلــف : الخطيب التبريزي

اسم المحقــق : د. يحيى مراد

القطـــع : ١٧×٢٤سم

عدد الصفحـات : ٢٨٨ صفحة

عدد المجـلدات : مجلد واحد

سنة الطبـــع : ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

رقـم الإيـداع : ٩١٦٣ / ٢٠٠٤م
الترقيم الدولي : ٥-٠٦٠-٣٠٠-٩٧٧

دار الحديث

طبع . نشر . توزيع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون ٥١١٣٠٣٦/٥٩١٨٧١٩/٥٩١٦٦٩٧ / فاكس ٥٩١٦٦٩٧

www.darelhadith.com E-mail: info@darelhadith.com

المُلَخَّص

في إعراب القرآن

لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن
المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)

تحقيق
د. يحيى مراد

دار الحديث
القاهرة



الصفحة الأولى من مخطوطة الملخص في إعراب القرآن

عن نسخة معهد المخطوطات

المقدمة

يعد الخطيب التبريزي من أعلام اللغة والأدب، الذين أثروا المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة، ما بين شروح للعديد من الدواوين الشعرية، وتهذيب للمطولات اللغوية، وغيرها.

ويأتي كتابه الملخص في إعراب القرآن على رأس هذه الكتب المهمة والقيمة في بابها، حيث يظهر فيه اهتمام الخطيب التبريزي ببيان وجوه الإعراب وتوجيه القراءات القرآنية، وتتجلى فيه أيضًا شخصيته العلمية في توجيهاته واختياراته النحوية.

وكتاب الملخص من الكتب التي أصابتها عوادي الزمن، فلم يصلنا منه إلا مجلد واحد فقط هو المجلد الثاني؛ الذي يبدأ من سورة يوسف حتى سورة المؤمنون، أما باقي الأجزاء فقد فقدت مع ما فقد من كنوز التراث العربي، ولكن يبقى أن هذا الجزء يعبر عن منهج التبريزي ومذهبه في النحو والقراءات.

وقد ذكرت كثير من المصادر القديمة هذا الكتاب ولكن بغير الاسم المدون على غلاف المخطوطة، فقد ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء باسم "تفسير القرآن وإعرابه" ، وابن الأنباري ذكره باسم "غريب القرآن" .

ولا توجد من هذا الجزء إلا نسخة فريدة في المكتبة الوطنية بباريس، ونسخة مصورة عنها في معهد المخطوطات العربية.

وقد حرصت في تحقيق هذا الكتاب على الحفاظ على لفظ المؤلف دون تبديل أو زيادة، واهتممت بتخريج الآيات والأحاديث -على قلتها- وكذا الأشعار، وترجمة المهم من الأعلام.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الدرة الفريدة إلى جمهور المهتمين بالنحو والقراءات القرآنية ومؤلفات التبريزي على وجه العموم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخطيب التبريزي(1)

نشأته وكنيته ولقبه

في إقليم أذربيجان الذي منحه الله سخاء التربية والسماء، وفي قصبته وأعظم مدنه وأجملها بساتين وأنهارًا ونتاجًا، لامست الحياة سنة ٤٢١ وليدًا، حمل اسم

---

(١) للتبريزي ترجمة فيما يلي:

١- إرشاد الأريب ٧: ٢٨٦- ٢٨٧.

٢- الأعلام ٩: ١٩٧.

٣- إنباه الرواة ورقة ٣٢٣- ٣٢٥.

٤- الأنساب ورقة ١٠٣.

٥- بغية الوعاة ص ٤١٣- ٤١٤.

٦- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: G. I ٢٦٧ S. I: ٤٩٢

٧- تاريخ الإسلام ٣: ١١: ٤٦٨ - ٤٧١.

٨- دائرة المعارف الإسلامية: ٤: ٥٦٧- ٥٦٩ بقلم المستشرق بلسنر.

٩- دمية القصر ص ٦٨.

١٠- شذرات الذهب ٤: ٥ - ٦.

١١- طبقات النحاة واللغويين ورقة ٢٧١.

١٢- عقد الجمان: وفيات الأعيان ٢٠٥.

١٣- الفلاكة والمفلوكون ص ٦٦.

١٤- الكامل لابن الأثير ١٠/١٦٧.

١٥- مرآة الجنان ٣: ١٧٢.

١٦- مسالك الأبصار ٦: ١٢١- ١٢٢.

١٧- معجم البلدان ٢: ٣٦٣.

١٨- معجم المؤلفين ١٣: ٢١٤.

١٩- مفتاح السعادة ١: ١٧٥- ١٧٦.

٢٠- النجوم الزاهرة ٥/١٩٧.

٢١ - نزهة الألباء ص ٤٤٣- ٤٤٨.

٢٢- النهاية ١٢: ١٧١.

٢٣- وفيات الأعيان ٥: ٢٣٨ - ٢٤٣.

موطنه، وخلّده بعلمه وعمله، وما ترك من جهود وآثار.

أما المدينة فهي تبريز[١]. وأما وليدها فهو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد ابن موسى بن بسطام الشيباني، الذي استقبلته الحياة في أحضان أسرة لا نعرف عنها شيئًا.

في تلك المدينة[٢] نشأ يحيى بن علي التبريزي، يتتبع آثار الثقافة الإسلامية في علومها وآدابها، حتى إذا شب وأيفع، واشتد عوده، كان له كنية وكان له لقب. أما كنيته فأبو زكرياء. على ذلك إجماع كتب التاريخ والتراجم والأدب واللغة. بل إن كثيرًا من هذه المصادر ليستغني حين يرد ذكره بقوله[٣]: «أبو زكرياء» عن ذكر اسمه أو لقبه ولكننا مع هذا نرى المستشرق الألماني كارل بروكلمان يترجم للتبريزي في موطنين فيقول عنه: «أبو بكر» غير أن المصادر التي اعتمدها ليس فيها نص أو إشارة إلى أن للتبريزي هذه الكنية الثانية[٤]، بل إنها جميعًا لتذكر أن كنية التبريزي هي: «أبو زكرياء» وما دام الأمر كذلك فإن ما أثبته بروكلمان ليس له ما يؤيده.

وأما لقب التبريزي فالشائع المتداول أنه هو «الخطيب» ولكن ياقوتًا الحموي ترجم له في إرشاد الأريب فقال: «أبو زكرياء بن الخطيب التبريزي. وربما يقال له: الخطيب وهو وهم». وأيد القفطي هذا الادعاء بمستند خطي فقال[٥]: «والخطيب أبوه. ولم يكن هو خطيبًا. ورأيت بخطه على جزء من كتاب الرد على حمزة

---

(١) ينظر التعريف بأذربيجان وتبريز في معجم البلدان ومعجم ما استعجم.

(٢) طبقات النحاة واللغويين. وزعم الزركلي في الأعلام أن التبريزي نشأ في بغداد.

(٣) شرح أدب الكاتب ص: ١٩-٢١، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٧٢، ١٤٢، ١٤٣، ٣٠٣، ٤١٢، والمعرب ص١٣، ٣٥، ٤١، ١٢٠، ١٨٦، ٢٤٦، ٣١٨ وتعريف القدماء ص٥٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٤) لكأن صنيع بروكلمان صدى لوهم جرجي زيدان. فقد ترجم جرجي زيدان للتبريزي في تاريخ الآداب ٣: ٣٧ تحت عنوان «أبو زكرياء التبريزي» ثم وهم فجعل العنوان في الفهرس «أبو بكر التبريزي» .

(٥) انظر أيضًا بغية الوعاة ومفتاح السعادة.

الأصفهاني في كتاب الموازنة بين العربية والأعجمية ما مثاله: ليحيى الخطيب علي».

والحق أن ما ألف القدماء من أسلوب التعريف بالتبريزي لا يرجح أحد الرأيين على الآخر. فهم يقولون في التعريف به: «يحيى بن علي الخطيب التبريزي» وهذا – كما ترى– يمكن أن يؤيد كلا من الرأيين، ولذلك كان لا بد لنا من الرجوع إلى ما يكون دليلا واضحًا لا لجاج فيه.

فياقوت الحموي نفسه –ولعله هو الذي أثار هذا الخلاف– يلقب بالتبريزي غير مرة بالخطيب[1]، بل إنه ليقول بعد بضعة أسطر من اعتراضه السابق الذكر، في معرض ذكره نسخة التبريزي من كتاب التهذيب، ما يلي: «وهذه النسخة في بعض المكاتب الموقوفة ببغداد، إذ رآها من لا يعرف خبرها ظن أنها غريقة، وليس بها سوى عرق الخطيب».

والقفطي أيضًا يذكر التبريزي غير مرة على أنه هو الخطيب[2]. أما ما قرأه بخط التبريزي فإن لدينا من الأدلة بخط التبريزي ما يخالفه. فلإسماعيل بن هبة الله بن طاهر القومساني نسخة من تهذيب إصلاح المنطق[3] نقلها سنة ٤٩١، ثم قرأ أكثرها على شيخه التبريزي سنة ٤٩٢. وقد سجل التبريزي هذه القراءة بخطه على النسخة نفسها فقال: «سمع الشيخ الفقيه أبو نصر إسماعيل بن هبة الله، نفعه الله بالعلم، هذا الكتاب من أوله إلى آخره بقراءة غيره علي مرارًا. وقرأ علي منه الأكثر معارضًا بالأصل. وكتب يحيى بن علي الخطيب التبريزي حامدًا لله ومصليًا على رسوله محمد وآله، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة» وقد ضبط التبريزي بقلمه آخر «الخطيبُ» بالضم.

فإذا أضفنا إلى هذا أن معظم من ترجم للتبريزي، أو ذكره، لقبه بالخطيب رجح لدينا أن التبريزي لقبه الخطيب، وأن ما نفاه كل من ياقوت والقفطي ثابت غير

---

(١) إرشاد الأريب ٤: ٢٤١، ٧: ١٩٨، ٢٤٧، ٢٨١.

(٢) فقد قال في ١: ٦٩ مثلا: «ابن كهبار صاحب الخطيب أبي زكريا التبريزي» وقال في الصفحة نفسها: «قال الخطيب التبريزي: وكنت قرأت....» .

(٣) النسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٥٧٠٧هـ.

مدفوع.

ولكننا إذا كنا قد رجحنا أن «الخطيب» هو لقب للتبريزي فإننا لانستطيع أن ننفي كونه لقبًا لأبيه أيضًا. وها هو ذا القفطي يقول[1]: «شاهدت على نسخة من كتاب إصلاح المنطق، يقرب أن يكون بخط المعريين، أن الخطيب أبا زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي قرأه على أبي العلاء......» فليس ببعيد أن يكون لقب لأب وابنه هو الخطيب في عصر كثر فيه من تحلى بهذا اللقب.

رحلاته العلمية

قضى أبو زكرياء الخطيب العقدين الأول والثاني من حياته في تبريز، المدينة التي ولد فيها ونسب إليها، يتلقى مبادئ العلوم والآداب، إلا أن تلك السنوات من عمر التبريزي لم يحتفظ التاريخ منها بشيء، فذهبت مع الأيام، ولهذا نرانا أمام طفولته وبوادر يفعه وشبابه ملتزمين الصمت، لا نستطيع أن نقدم من الأخبار والأحداث ما يكشف للدارس سبيل نشأة التبريزي، وما يلقي أضواء على المراحل الأخرى من حياته الزاخرة بالنشاط والدأب والإنتاج.

وعندما أيفع الخطيب التبريزي، واشتد عوده، جذبته أصداء المجالس العلمية في المدن النائية، فاستسلم لبريق الأمل، وشد رحاله يضرب في الأرض طلبًا للعلم والعلماء، وقد كان هذا الحدث في حياة التبريزي نقطة انعطاف فتحت له باب المجد والخلود.

بدأت حركته هذه ضيقة النطاق بتطواف قريب من تبريز. فقد تنقل بين المدن المجاورة كبغداد والبصرة وجرجان: في بغداد يأخذ عن أبي القاسم الرقي وابن الدهان، وفي البصرة يقرأ على الفضل القضباني وغيره، وفي جرجان يدرس على الإمام عبد القاهر الجرجاني. ثم يعود إلى مسقط رأسه بما يحمله من العلوم والآداب.

---

(١) إنباه الرواة ١: ٦٩.

وكان هذا التطواف المحدود إرهاصًا وإعدادًا لأسفار أخرى بعيدة المدى، فقد وقف[1] في العقد الثالث من عمره على نسخة من كتاب «التهذيب في اللغة» للأزهري في عدة مجلدات لطاف، وأراد تحقيق ما فيها وأخذه عن رجل عالم باللغة، فدل على أبي العلاء المعري، فجعل الكتاب في مخلاة حملها على ظهره من تبريز[2] إلى معرة النعمان، ولم يكن معه ما يستأجر به مركوبًا، فنفذ العراق من ظهره إليها فأثر فيه البلل. وهناك في المعرة، تلقاه أبو العلاء بالعناية والإكرام، فأقرأه - بالإضافة إلى كتاب التهذيب- مؤلفاته كلها من شعر ونثر، وكثيرًا من أمهات الكتب الأدبية واللغوية، إذ لازمه التبريزي أكثر من سنتين[3] بين عامي ٤٤٣، ٤٤٦، ثم غادره إلى العراق حيث نراه مع ابن الدهان[4] في بغداد عام ٤٤٧، ومع أبي الجوائز الحسين بن علي في البصرة[5] عام ٤٥٣، ومع الفضل القصباني[6] في البصرة أيضًا عام ٤٥٤.

ثم يشد رحاله لجولة أوسع مدى، فيدخل دمشق[7] عام ٤٥٦، فيدرس على علمائها، ويأخذ عنهم عددًا وافرًا من الكتب الأدبية واللغوية، وأبرز من تلمذ له التبريزي في دمشق أبو بكر الخطيب البغدادي الذي أكرمه كثيرًا وخصه[8] بالعناية والعون والاهتمام، لما لمس فيه من النجابة والإخلاص في محبة العلم وأصحابه. ويغادر التبريزي دمشق إلى مدينة صور، حيث يسمع الحديث[9] من أبي الفتح سليم بن

---

(١) إنباه الرواة وإرشاد الأريب ووفيات الأعيان والفلاكة والمفلوكون.

(٢) هذا هو هو الراجح.وزعم بعض الباحثين أن التبريزي خرج من بغداد إلى المعرة. انظر شرح القصائد العشر ص ٣٧ من مقدمة الناشر (مطبوعة المدني) والأعلام ٩: ١٩٧.

(٣) الأنساب، وتعريف القدماء ص ٥٢١ عن الإنصاف والتحري لابن العديم.

(٤) شرح ديوان زهير ص ١.

(٥) الطوائف الأدبية ص ٤٦.

(٦) شرح ديوان أبي تمام ١: ٣.

(٧) إرشاد الأريب ١: ٢٥٤.

(٨) انظر قصة له مع الخطيب البغدادي في إرشاد الأريب ١: ٢٥٤ وتذكرة الحفاظ ٢: ٣١٥.

(٩) إرشاد الأريب ووفيات الأعيان.

أيوب الرازي وغيره، ثم ييمم نحو مصر، وقد زود نفسه بذخيرة ثقافية ضخمة، هيأته لأن يصبح شيخًا يقصده أرباب العلم ويأخذون عنه. وفي مصر نرى أبا الحسن طاهر ابن بابشاذ النحوي، على كبر سنه وتقدمه في العلم، يقرأ على التبريزي مصنفات اللغة والأدب[١].

منصبه ومنــزلته

حينما غادر الخطيب التبريزي مصر قصد بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ليحل فيها مكرم الوفادة عزيز المقام، فيتوسط مجالس العلماء ويعين مدرسًا في المدرسة النظامية، وقيمًا لخزانة كتبها، مستعينًا بمحتوياتها فيما يدرسه ويصنفه.

هذا ما نص عليه القدماء من مناصب وليها التبريزي في بغداد، بيد أن المستشرق بلسنر انفرد في ترجمة التبريزي بقوله[٢]: «ثم رحل إلى بغداد حيث أصبح قاضيًا» وحاول أن يؤيد زعمه هذا بأن السمعاني هو الذي نص عليه في كتاب الأنساب. والحق أن ما ذكره السمعاني هو أن التبريزي كان "قاطن بغداد" فتأول بلسنر هذه العبارة بقوله: «وقاضي: هي القراءة الصحيحة لكلمة: قاطن».فلقد ظن أن العبارة مصحفة، فإذا هو يوقعها في التصحيف، دون أن يكون لديه مرجح من التاريخ. بل إن المصادر لمجمعة على أن عبارة السمعاني سليمة لا تأول فيها ولا تصحيف، وحسبنا ههنا قول ياقوت: «ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات»، وقول صاحب طبقات النحاة واللغويين: «البغدادي» دارًا ووفاة... صاحب التصانيف ونزيل بغداد.

أما المنــزلة العلمية التي تمتع بها أبو زكرياء فقد أطنب العلماء في ذكرها والإشادة بها. قال ابن العديم[٣]: «كتب إلينا أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز من

(١) إرشاد الأريب ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ومرآة الجنان.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية.

(٣) الإنصاف والتحري. وعنه في تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٢٠- ٥٢١.

الإسكندرية أنه سمع أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ يقول: وأما هذان الإمامان – يعني أبا زكرياء التبريزي وأبا المكارم الأبهري- فمن أجلاء من رأيته من أهل الأدب والمتبحرين في علوم العرب، وإلى أبي العلاء انتماؤهما، وفي العربية اعتزاؤهما».

وقد برع الخطيب التبريزي في علوم اللغة حتى نسبه العلماء إليها فقالوا عنه: «اللغوي»[١] أو «صاحب اللغة»[٢]، وجعلوه إمامًا في علم اللسان[٣]، أو في اللغة[٤]. والنحو كذلك كان شأنه في علوم الأدب، فقد قال عنه الأصفهاني[٥]: «كان شيخ بغداد في الأدب» وقال ياقوت فيه[٦]: «كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب». أضف إلى ذلك كله أن رجال العلم كانوا -وما يزالون- يتلقون آثاره بالتقدير والاطمئنان لأنه كان ثقة في العلم وفيما ينقله، حجة ثبتًا صدوقًا[٧].

ومن هذا كله نرى الخطيب التبريزي يحظى في الأوساط العلمية والأدبية بمكانة رفيعة يحوطها الإجلال والتقدير والثقة والإعجاب. حتى لقد انتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب وسار ذكره في الأقطار وشد الناس إليه الرحال[٨].

ثقافته

يلاحظ المتتبع للحضارة الإسلامية في القرن الخامس حشدًا ضخمًا من الآثار العلمية الأصيلة أو المترجمة. فلقد تفرعت العلوم الإسلامية، ونبغ فيها أعلام أفذاذ،

(١) الكامل لابن الأثير وتاريخ الإسلام.

(٢) شذرات الذهب ومرآة الجنان.

(٣) الأنساب ووفيات الأعيان وعقد الجمان والنجوم الزاهرة.

(٤) الفلاكة والمفلوكون ونزهة الألباء وعقد الجمان والنهاية.

(٥) شذرات الذهب. وانظر طبقات اللغويين والنحاة.

(٦) إرشاد الأريب. وانظر: أيضًا إنباه الرواة ووفيات الأعيان وبغية الوعاة ومفتاح السعادة.

(٧) الأنساب ونزهة الألباء وإرشاد الأريب وشذرات الذهب ووفيات الأعيان والنهاية وبغية الوعاة وطبقات النحاة ومفتاح السعادة.

(٨) إرشاد الأريب وبغية الوعاة ومفتاح السعادة.

وأصبح لها ميادين ومصنفات موفورة الحظ من النشاط والقوة. وكان على من يخوض غمار العلم في تلك الآونة أن يلقى هذه الجهود الهائلة بالدراسة والفهم والرواية والدراية، وهذا ما قام به أبو زكرياء، فقد أمضى سني شبابه بين أذربيجان والعراق والشام ومصر، ينهل من موارد العرفان بنهم واندفاع، على أيدي كبار العلماء ومشاهير النابغين.

وكان لطابع الشمول في ثقافة ذلك العصر أن جمع التبريزي في دراسته بين علوم القرآن والحديث واللغة والأدب والتاريخ... حتى غدت مصنفاته ملتقى حافلا بثمار هذه العلوم، ومرادًا أساسيًا لمن أراد الاطلاع على المصادر الأولى التي غذت ثقافته، وحققت لها النضج والنماء.

وإذا أردنا أن نحدد مصادر ثقافة التبريزي رأينا أنفسنا أمام مصدرين أساسين هما: شيوخه الذين أخذ عنهم أو تأثر بهم، والمؤلفات التي اطلع عليها.

شيوخ التبريزي:

تلقى الخطيب التبريزي علمه من كبار اللغويين والمحدثين والأدباء والنحويين، وكان لبعضهم أثر ظاهر فيما صنفه من المؤلفات، وإذا حاولنا أن نجلي هذا الأثر على حقيقته وجب علينا أن نجعل لشيوخ التبريزي درجتين: نذكر في أولاهما رجال العلم الذين لقيهم وأخذ عنهم مباشرة، وفي الثانية نذكر من تأثر بمؤلفاتهم ونقل منها في مصنفاته.

فمن رجال الطبقة الأولى:

١- ابن برهان[1]:

عبد الوهاب بن علي بن برهان العكبري النحوي البصري. كان قائمًا بعلوم كثيرة كاللغة والأنساب وأيام العرب وأخبار المتقدمين وعلم الحديث. توفي سنة ٤٥٦.

(١) إنباه الرواة ٢: ٢١٣- ٢١٥ والفلاكة والمفلوكون ص ١١٧ والضرائر ص ٢٩٧.

٢- ابن الدهان[1]:

الحسن بن محمد بن علي بن رجاء، أحد أئمة النحاة. كان متبحرًا في اللغة، يتكلم في الفقه والأصول، ويدرس الفقه والكلام والحديث واللغة. بغدادي توفي سنة ٤٤٧.

٣- أبو العلاء المعري[2]:

أحمد بن عبد الله الشاعر الفيلسوف. كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالمًا باللغة حافظًا لها. قضى في معرة النعمان أكثر حياته وتوفي سنة ٤٤٩.

٤- التنوخي[3]:

أبو القاسم علي بن أبي علي المحسن بن علي. بغدادي صدوق. ولي قضاء المدائن وتوفي سنة ٤٤٧.

٥- الجرجاني[4]:

عبد القاهر بن عبد الرحمن. فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، متكلم أشعري، وفقيه شافعي، ومن كبار أئمة البلاغة العربية والبيان. توفي سنة ٤٧١.

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٢٩ وشرح ديوان زهير ص ١ وإنباه الرواة ١: ٣٠٤. ويقال له الدهان أيضًا شرح الحماسة ١: ١٨٥.

(٢) إنباه الرواة ١: ٤٦- ٨٣. وانظر كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء والجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره.

(٣) الأنساب ورقة ١١٠. وإرشاد الأريب ٥: ٣٠١- ٣٠٩ وشذرات الذهب ٣: ٣٧٦ والكامل لابن الأثير.

(٤) إنباه الرواة ٢: ١٨٨ - ١٩٠ وبغية الوعاة ص ٤١٣.

٦- الجوهري[١]:

أبو محمد الحسن بن علي بن محمد. كان ثقة أمينًا، كثير السماع للشعر والأدب والحديث. عاش في بغداد وتوفي سنة ٤٥٤.

٧- الخطيب البغدادي[٢]:

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، صاحب تاريخ بغداد. من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين. كان فقيهًا فغلب عليه الحديث والتاريخ. وتوفي سنة ٤٦٣.

٨- الرازي[٣]:

سليم بن أيوب بن سليم. فقيه شافعي، اشتغل بالتفسير والحديث واللغة. ودرَّس في بغداد، ثم أقام بثغر صور مرابطًا يدرس فيه. وتوفي سنة ٤٤٧.

٩- الرقي[٤]:

أبو القاسم عبيد الله بن علي بن عبيد الله، من علماء النحو والأدب واللغة والفرائض سكن بغداد وتوفي سنة ٤٥٠.

١٠- السياري[٥]:

أبو القاسم الدلال عبد الكريم بن محمد. بغدادي صدوق توفي سنة ٤٤٩.

١١- الصابي[٦]:

أبو الحسن هلال بن المحسن الحراني. أديب كاتب فاضل، له معرفة بالعربية واللغة. كان ثقة صدوقًا، أخذ عن الرماني وأبي علي الفارسي.توفي سنة ٤٤٨.

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ٣٩٣ والأنساب ورقة ١٤٤ وشرح بانت سعاد ورقة ١ وفهرسة ابن خير ص ٣٣٨.

(٢) وفيات الأعيان ١: ٧٦- ٧٧ وتذكرة الحفاظ ٣: ٢١٣- ٣٢١.

(٣) طبقات الشافعية ٣: ١٦٨.

(٤) بغية الوعاة ص ٣٢٠.

(٥) تاريخ بغداد ١١: ٨١- ٨٢ والأنساب ورقة ٣٢١.وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٥٦٧.

(٦) إرشاد الأريب ٧: ٢٥٥- ٢٥٧ وشرح أدب الكاتب ص ٣٩٣.

١٢- الطبري[١]:

أبو الطيب طاهر بن عبد الله. فقيه شافعي، قدم بغداد، فاستوطنها وحدث ودرس وأفتى، ثم تولى القضاء. كان ثقة ورعًا عارفًا. توفي سنة ٤٥٠.

١٣- عال بن عثمان بن جني[٢]:

بغدادي، كان مثل أبيه، نحويًا أديبًا جيد الضبط. توفي سنة ٤٥٨.

١٤- الفالي[٣]:

أبو الحسن علي بن أحمد بن سلك المؤدب. من بلدة فالة، انتقل إلى البصرة وسمع فيها، ثم قدم بغداد واستوطنها. وهو ثقة، له معرفة بالأدب والشعر. مات سنة ٤٤٨.

١٥- القصباني[٤]:

الفضل بن محمد بن علي، أبو القاسم النحوي البصري. كان واسع العلم، غزير الفضل إمامًا في العربية. توفي سنة ٤٤٤[٥].

١٦- الواسطي[٦]:

أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب. أديب شاعر محسن في المديح

(١) تاريخ بغداد ٩: ٣٥٨- ٣٦٠ والأنساب ورقة ٣٦٧.
(٢) بغية الوعاة ص٣٧٤ وشرح أدب الكاتب ص٤٠.
(٣) إرشاد الأريب ٥: ٨٢ - ٨٤ والفلاكة والمفلوكون ص ١١٤ حيث صحف بالقاف بدل الفاء.
(٤) إرشـــاد الأريب ٦: ١٤٣ و٥: ٣٢ والنظام ١: ٩- ١٠ ونزهة الألباء ص ٤٢٥ ونكت الهيمان ص ٢٢٧ وبغية الوعاة ص ٣٧٣.
(٥) كذا حُدِّدت وفاته في المصادر التي ترجمت له وقالت: إن وفاته كانت في عهد القائم بأمور الله. فـــإذا علمنا أن التبريزي قرأ عليه ديوان أبي تمام وإيضاح الفارسي (انظر نسخة كبرل ١٤٥٧) في ســـنة ٤٥٤ وإن خلافة القائم دامت بين ٤٤٢ و ٤٦٧هـــ رجح لدينا أن في تحديد المصادر سنة وفاته نظرًا.
(٦) تاريخ بغداد ٧: ٣٩٣ - ٣٩٤ ونزهة الألباء ص ٤٤٤-٤٤٧ وشذرات الذهب ١: ٣٨٤ - ٣٨٥ والطوائف الأدبية ص٤٦.

والأوصاف، سكن بغداد دهرًا طويلا، ولم يكن ثقة.له تآليف حسان. توفي سنة ٤٦٠.

هؤلاء هم أظهر من أخذ عنهم الخطيب التبريزي. ولكن أكثرهم لم يكن له أثر واضح في شخصيته العلمية ومصنفاته. وإنما أساتذته الحقيقيون هم المعري والرقي وابن برهان وابن الدهان والفضل القصباني. أما سائر ما أوردنا من شيوخه فقد لزمهم أحيانًا، وقرأ عليهم أو روي عنهم، دون أن تظهر لهم آثار في تكوينه العلمي والثقافي.

وإذا أردنا أن نوسع نظرتنا ونلم بجميع العلماء الذين وجهوا ثقافة التبريزي، وساهموا في إغناء مؤلفاته، كان علينا أن نتعرف الأعلام الذين سبقوا يفعه، فلم يلقهم، ولكنه اهتدى بهم وتلمذ لهم على مؤلفاتهم، فكانوا شيوخًا له، اتخذهم منهلا يستقي منه ما يزود كتبه.وههنا يتسع المدى أمام أبصارنا ليشمل القرون الثلاثة التي تقدمت ولادة الخطيب، وضمت عشرات من أساطين اللغويين والنحاة والأدباء والعلماء والنقاد، فإذا نحن نرى أن أهم من رجع إليهم:

الآمدي في شرح ديوان أبي تمام.

ابن الأنباري في شرح القصائد العشر وشرح المفضليات وتهذيبي الإصلاح والألفاظ.

ابن جني في شرح الحماسة وشرح ديوان المتنبي وتهذيب إصلاح المنطق.

ابن كيسان في شرح القصائد العشر وتهذيبي الإصلاح والألفاظ.

أبو جعفر النحاس في شرح القصائد العشر.

أبو رياش وأبو عبد الله النمري وأبو هلال العسكري في شرح الحماسة.

أبو محمد الأعرابي الأسود في شرح الحماسة وتهذيبي الألفاظ والإصلاح.

الأنباري في شرح المفضليات وتهذيبي الألفاظ والإصلاح.

ثعلب في تهذيبي الإصلاح والألفاظ وشرح لامية العرب.

الصولي والخارزنجي والإسكافي والقالي في شرح ديوان أبي تمام.

السيرافي في تهذيب الألفاظ وتهذيب إصلاح المنطق وتهذيب غريب الحديث.

المروزقي في شرح الحماسة وشرح المفضليات وشرح ديوان أبي تمام.

أضف إلى هؤلاء كبار الأعلام الذين نقل التبريزي عنهم في كتبه، كأبي عمرو بن العلاء، وحماد، والخليل، والمفضل، وسيبويه، وأبي زيد، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبيدة، والأصمعي، والأخفش الأوسط، والكسائي، والفراء، وأبي تمام، وابن الأعرابي، وأبي عبيد، وابن السكيت، والطوسي، وابن حبيب، وأبي عكرمة الضبي، وأحمد بن عبيد، والسكري، وابن دريد، وأبي علي الفارسي.

ومما لا شك فيه أن هؤلاء القدماء الماضيين الذين اعتمدهم كان لهم -ولا سيما ابن جني والسيرافي والمروزقي والأنباري والنحاس وابن الأنباري والأعرابي الأسود - آثار جلية في شخصيته العلمية، ومصنفاته الأدبية واللغوية، تفوق في حدتها وقوتها ما تركه كثير من شيوخه الذين أخذ عنهم ودرس على أيديهم، فقد كان أولئك العلماء -على الرغم من المدى الزمني الذي حال بينهم وبينه- شيوخًا له نهل من ينابيعهم مادة لمؤلفاته، وعناصر شروحه وتهذيباته.

المؤلفات:

كان للمؤلفات التي عكف عليها الإمام التبريزي طوال حياته في التعلم والتعليم النصيب الأوفى في تكوين ثقافته وتلوينها وإغنائها. فلقد لبث يقرأ على شيوخه آثار العلماء المتقدمين، ضابطًا لها، واعيًا لما فيها، حتى نهل ما هيأه لمنصب الإمامة في اللغة والنحو والأدب. ثم رجع إلى هذه الآثار نفسها يعل منها عندما قرأها عليه تلاميذه في منصبه التدريسي بالنظامية، وفي مجالسة العلمية الخاصة والعامة، فكان لديه حصيلة ثقافية موفورة عبدت له سبل البحث والشروح والتهذيب، ولعلنا نحسن صنعًا إذ جعلنا هذه المؤلفات في صنفين:

١- المؤلفات العامة:

وهي الكتب التي استمد منها ثقافته العامة، فظهر أثرها في مصنفاته بشكل غير مباشر، كمصنفات علوم القرآن، وعلوم الحديث، والمعاجم، وكتب اللغة والنحو

والأدب والحديث والتاريخ والفقه والمنطق، والدواوين والمختارات الشعرية.. والحق أنه ليس بمكنتنا أن نجمع ههنا كل هذه المصادر لكثرتها من ناحية، ولتعذر إثبات رجوع أبي زكرياء إليها من ناحية أخرى.

لقد كانت البيئات العلمية التي احتضنت الخطيب التبريزي، في فارس والعراق والشام ومصر، أغنى البلاد الإسلامية في تلك الحقبة ثقافة، وأحفلها بالمكتبات العامة والخاصة الذاخرة بجميع الأصناف من مؤلفات العلوم والفنون والآداب. وقد تهيأ لأبي زكرياء فيها موارد ثرة، استمد منها روافد ثقافته وعلمه.

فإذا أضفنا إلى هذا أن الخطيب قد شغل في بغداد منصب تدريس الأدب واللغة في المدرسة النظامية، ومنصب قيم دار الكتب فيها، استطعنا أن نتصور تلك الفرص التي أتيحت له، للرجوع إلى كثير من المصنفات.

وإذا كان حقًا تعذر تعداد تلك المصنفات فإنه لحسبنا الإشارة ههنا إلى أن الحقبة التي عاصرها التبريزي كان فيها، من الكتب، ما عدد ابن النديم بعضه في كتابه «الفهرست» قبل ولادة التبريزي بنصف قرن، وروى بعضه ابن خير الإشبيلي في فهرسة ما رواه عن شيوخه بعد وفاة التبريزي بنصف قرن أيضًا. وبحسبنا أيضًا أن نذكر أن التبريزي قد نقل في كتبه عن كتاب العين، ونوادر أبي عمرو[١]، ونوادر ابن الأعرابي[٢]، والغريب المصنف[٣]، والمجمل[٤]، ونوادر أبي زيد[٥]، وتذكرة أبي علي[٦]، وأخبار اللصوص[٧]، والمؤتلف والمختلف[٨]، والقوافي[٩]، وخلق الإنسان[١٠]..... وأنه

(١) تهذيب الألفاظ ص: ٣٠٢- ٣٠٣.
(٢) شرح المفضليات ورقة ٨٢.
(٣) تهذيب الألفاظ ص: ٣٠٢- ٣٠٣ وتهذيب الإصلاح ورقة ٧٧.
(٤) تهذيب إصلاح المنطق ورقة ١٣٧.
(٥) شرح ديوان أبي تمام ١: ١٤٢.
(٦) تهذيب الإصلاح ورقة ٧٨.
(٧) شرح الحماسة ١: ٢٠٩- ٢١٢.
(٨) شرح المفضليات ورقة ١١٧.
(٩) شرح سقط الزند ص ٥٨١- ٥٨٢.
(١٠) شرح الحماسة ١: ١٤٥.

قرأ التهذيب على أبي العلاء، ونسخ الجمهرة[١] والصحاح بخطه، واستدرك على الجوهري ما صحفه في الصحاح[٢]........

٢- المؤلفات الخاصة:

نعني بها تلك المصنفات التي لها علاقة مباشرة بما ألفه الإمام الخطيب، فقد كان لمؤلفاته هذه بوادر أولى، قام بها أسلافه من العلماء، فاستعان بها هو،واستقى منها معظم ما خلف من آثار. وهاهي ذي أظهر تلك المؤلفات التي اعتمدها:

إصلاح ما غلط فيه النمري مما فسره من أبيات الحماسة لأبي محمد الأعرابي.

الانتصار من ظلمة أبي تمام للمروزقي.

التجني على ابن جني لابن فورجة.

التنبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني.

تهذيب إصلاح المنطق لأبي علي النيسابوري.

ذكرى حبيب لأبي العلاء المعري.

شرح بانت سعاد لابن الأنباري.

شرح بانت سعاد لابن دريد.

شرح الحماسة لأبي رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني.

شرح الحماسة للمروزقي.

شرح الحماسة للمعري.

شرح الحماسة لأبي هلال العسكري.

شرح ديوان أبي تمام للخارزنجي.

شرح ديوان أبي تمام للصولي.

شرح ديوان المتنبي لابن جني.

شرح شواهد إصلاح المنطق لأبي محمد السيرافي.

---

(١) إرشاد الأريب ٥: ٨٢.

(٢) مفتاح السعادة ١: ١٠١ والتاج ١: ٣.

شرح شواهد الألفاظ لأبي محمد السيرافي.

شرح شواهد الغريب المصنف لأبي محمد السيرافي.

شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري.

شرح القصائد الخمس لابن كيسان.

شرح القصائد التسع لأبي جعفر النحاس.

شرح المفضليات للمرزوقي.

شرح المفضليات لأبي محمد الأنباري.

شرح سقط الزند للمعري.

اللامع العزيزي للمعري.

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جني.

مشكلات الحماسة لأبي عبد الله النمري.

المشكل من أبيات أبي تمام المفردة للمرزوقي.

معاني شعر أبي تمام للآمدي.

معجز أحمد للمعري.

فإذا جمعنا هذه المؤلفات الخاصة، وتلك المؤلفات العامة، إلى شيوخ التبريزي الذين أخذ عنهم مباشرة أو عن كتبهم، تبدت لنا ثقافته ومصادرها جلية، واضحة المعالم، مديدة الأرجاء، متعددة الجوانب، وإن كان يغلب عليها اللغة والأدب.

آثاره العلمية

مما لا شك فيه أن الآثار العلمية لأبي زكرياء الخطيب تمثل لنا ثمار تلك الثقافة التي تمتع بها طوال أيام حياته. ولكي نستطيع توضيح هذه الآثار يحسن بنا أن نجعلها في قسمين: مصنفاته، وتلاميذه.

مصنفات التبريزي:

لقد هيأ العمل الذي أسند إلى التبريزي في المدرسة النظامية بالإضافة إلى ما تزود به من ثقافة وعلوم، تربة زاكية، وغرسًا طيبًا، كان نتاجهما عددًا كبيرًا من

المؤلفات، معظمها شروح أدبية ولغوية، نعددها هنا على أن نعود إليها بالدراسة المفصلة في موطن آخر، إن يسر الله:

١- تفسير القرآن الكريم[١].

٢- تهذيب إصلاح المنطق.

٣- تهذيب الألفاظ.

٤- تهذيب غريب الحديث.

٥- تهذيب الغريب المصنف[٢].

٦- تهذيب مقاتل الفرسان[٣].

٧- شرح بانت سعاد.

٩- شرح ديوان أبي تمام.

١٠- شرح ديوان الأخطل[٤].

١١- شرح ديوان امرئ القيس[٥].

١٢- شرح ديوان الحماسة الصغير.

١٣- شرح ديوان الحماسة المتوسط.

١٤- شرج ديوان الحماسة الأكبر.

١٥- شرح ديوان المتنبي.

١٦- شرح ديوان النابغة الذبياني[٦].

---

(١) نسب إليه في إرشاد الأريب وبغية الوعاة وطبقات النحاة ومفتاح السعادة ودائرة المعارف الإسلامية. والراجح أنه هو نفس كتابه الملخص المذكور بعد.

(٢) نسب إليه في طبقات النحو.

(٣) هذا هو الصواب كما جاء في شرح شواهد المغني ص ٣.وقد سمي «مقاتل الفرسان» في إرشاد الأريب ونزهة الألباء وطبقات النحاة. وسمي «الفرسان» في دائرة المعارف الإسلامية.

(٤) نسبه إليه خطأ أحد المعاصرين وذكر أن عنده نسخة من ذلك الشرح. والحق أن النسخة هي من شرح السكري عارضها التبريزي بخطه فظن أنه المصنف. انظر التكملة ص٢-٣.

(٥) نسب إليه في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٠٠ وفي دائرة المعارف الإسلامية.

(٦) نسب إليه في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ٨٩. والراجح أن هذه النسبة غير =

١٧- شرح ذيل المعلقات.

١٨- شرح سقط الزند.

١٩ - شرح القصائد السبع الطوال[١].

٢٠- شرح القصائد العشر.

٢١- شرح لامية العرب.

٢٢- شرح اللمع.

٢٣- شرح مقصورة ابن دريد.

٢٤- شرح نهاية الوصول إلى علم الأصول[٢].

٢٥- مختصر شرح ديوان أبي تمام.

٢٦- مقدمة في النحو.

٢٧- مقطعات شعرية[٣].

٢٨- الملخص في إعراب القرآن ومعانيه.

٢٩- الوافي في علمي العروض والقوافي[٤].

تلاميذ التبريزي:

طبَّقت شهرة التبريزي الآفاق في عصره، حتى انتهت إليه الرياسة في اللغة

=

صحيحة.

(١) نسب إليه في إرشاد الأريب نزهة الألباء ووفيات الأعيان وشذرات الذهب.

(٢) نسب إليه في كشف الظنون ص ١٩٩١. وذلك خطأ بين لأن مؤلف علم الأصول توفي سنة ٦٩٤ أي: بعد الخطيب التبريزي بقرنين. ولعل الشارح المقصود هو ابن أمير الحاج التبريزي. انظر حاشية ناشر كشف الظنون ص ١٩٩١ ودائرة المعارف الإسلامية ٤: ٥٦٩.

(٣) وهي قليلة ليس لها قيمة فنية. انظر وفيات الأعيان والكامل لابن الأثير ودمية القصر وطبقات النحاة.

(٤) وقد يسمى «الكافي في علمي العروض والقوافي» انظر كشف الظنون ص ١٣٧٧ ودائرة المعارف الإسلامية.

والنحو والأدب ورحل إليه الناس[١]، فتخرج عليه خلق كثير[٢]، وروي عه الجم الغفير[٣]، وذلك بفضل منصبه التعليمي في المدرسة النظامية، ومصنفاته التي نالت إعجاب أقرانه من العلماء والمؤلفين. فكان أن اجتمع إليه مئات من العلماء وطلاب العلم والمتأدبين، يأخذون عنه رواية الشعر واللغة والنحو، ودراسة الأدب في لغته ومعانيه ونقده. وحسب المرء أن يتصور قاعات المدرسة النظامية بتلاميذها من جميع أصقاع العالم الإسلامي خلال عشر السنوات، ثم يضم إليها المجالس الخاصة والعامة، التي كان يحضرها أبو زكرياء، بما فيها من علماء ودارسين ومؤلفين... ليتمثل تلك الحشور الضخمة، التي لقيت التبريزي طلبًا للعلم، وأخذت عنه موارد الثقافة ناضجة يانعة سائغة. ولا غرو بعد أن يتخرج بفضله وعنايته مجموعة لامعة من علماء القرنين الخامس والسادس، هؤلاء بعضها:

١- ابن الأشقر[٤]:

أبو الفضل أحمد بن عبد السيد النحوي البغدادي. أديب فاضل قرأ على التبريزي، ولازمه حتى برع في فنه. مات في حدود سنة ٥٥٠.

٢- ابن بابشاذ[٥]:

أبو الحسن طاهر بن أحمد النحوي المصري. علامة مشهور، قيل: إنه قرأ[٦] على أبي زكرياء كتب اللغة في مصر. وتوفي عام ٤٦٩.

---

(١) إرشاد الأريب.

(٢) شذرات الذهب.

(٣) إنباه الرواة.

(٤) إرشاد الأريب ١: ٢١٧ وبغية الوعاة ص ١٤٠.

(٥) إنباه الرواة ٢: ٩٥ - ٩٦ وشذرات الذهب ٣: ٣٣٣- ٣٣٤.

(٦) هذا ماجاء في إرشاد الأريب ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ومرآة الجنان. وخالف ابن قاضي شهبة فجعل التبريزي تلميذًا لابن بابشاذ، وظاهره بلسنر في دائرة المعارف الإسلامية مفندًا الرأي المخالف.

٣- ابن التلميذ[١]:

أبو الحسن هبة الله بن صاعد البغدادي. طبيب نصراني، متفنن في العلوم والآداب. قرأ على التبريزي شرح المفضليات، وتوفي سنة ٥٦٠.

٤- ابن الشجري[٢]:

أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد، إمام في النحو واللغة والأدب. قرأ على التبريزي، وتوفي سنة ٥٤٢.

٥- ابن العربي[٣]:

القاضي الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي. رحل إلى المشرق، فتلقى علمه في الشام وبغداد ومصر. ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير لم يدخل به أحد قبله، وهو أديب شاعر فصيح، متفنن في العلوم كلها. أخذ عن التبريزي كتب المعري وغيرها، وتوفي سنة ٥٤٣.

٦- ابن الهبارية[٤]:

الشريف أبو يعلى محمد بن محمد، الشاعر البغدادي المشهور. كان مجيدًا، حسن المقاصد، خبيث اللسان، كثير الهجاء. تلمذ لأبي زكرياء التبريزي، وتوفي سنة ٥٠٤ أو ٥٠٩.

٧- الجواليقي[٥]:

أبو منصور موهوب بن أحمد. إمام في اللغة بغدادي ثقة متدين، كثير الفضل،

---

(١) إرشاد الأريب ٧: ٢٤٣- ٢٤٧ ووفيات الأعيان ٥: ١١٩- ١٢٦ وشرح المفضليات ورقة ٢٦٢.

(٢) إنباه الرواة ٣: ٣٥٦- ٣٥٧ وبغية الوعاة ص ٤٠٧ - ٤٠٨ وتعريف القدماء ص ٥٦٩ عن الإنصاف والتحري.

(٣) أزهار الرياض في أخبار عياض ٣: ٦٢- ٦٥ والصلة ص ٥٣١- ٥٣٣ وتذكرة الحفاظ ٤: ٨٦- ٩٠ وفهرسة ابن خير ص ٤١٢ و ٤١٥- ٤١٦.

(٤) إرشاد الأريب ١: ١٧٥ ووفيات الأعيان ٤: ٧٧- ٨١ وشذرات الذهب ٤: ٢٤- ٢٦.

(٥) الأنساب ورقة ١٣٩ وبغية الوعاة ص ٤٠١.

قرأ الأدب على الخطيب، وتوفي سنة ٥٣٩.

٨- الحافظ السلامي[١]:

أبو الفضل محمد بن ناصر البغدادي. محدث أديب لغوي. قرأ الأدب على التبريزي توفي سنة ٥٥٠.

٩- الخطيب الحصكفي[٢]:

يحيى بن سلامة، فقيه نحوي شاعر كاتب. قدم بغداد فأخذ فيها الأدب عن أبي زكرياء، ثم ولي الخطابة بميافارقين. توفي سنة ٥٥١.

١٠- السلفي[٣]:

أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد الحافظ الأصبهاني. رحل إلى بغداد سنة ٤٩٣، وأخذ فيها عن التبريزي. توفي سنة ٥٧٦.

يضاف إلى هؤلاء الأعلام كثير من أمثال:

أحمد بن المبارك بن عبد العزيز الأزجي[٤].

ابن خطاب[٥].

ابن كهبار الفارسي[٦].

أبي الثناء هبة الله بن محمد الفارسي[٧].

أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي[٨].

---

(١) إنباة الرواة ٣: ٢٢٢ وشذرات الذهب ٤: ١٥٥- ١٥٦.

(٢) إرشاد الأريب ٧: ٢٨١ وخريدة القصر ٢: ٤٧١- ٥٤٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤: ٩٠ - ٩٦ وشذرات الذهب ٤: ٢٥٥.

(٤) التعريف بالقدماء ص ٥٠ وإنباه الرواة ١: ٦٨.

(٥) منتهى الطلب ورقة ٩ (لا له لي).

(٦) إنباه الرواة ١: ٦٩.

(٧) نسخة تهذيب الألفاظ بليدن ورقة ٢ أ.

(٨) الأنساب ونزهة الألباء ووفيات الأعيان وإرشاد الأريب ٧: ٢٨٦ و ٢: ١١- ١٢ وتكملة الصلة ص ٧١٤.

أبي طاهر محمد بن محمد بن عبد الله السنجي[(١)].
أبي العثمان المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري.
أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري[(٢)].
أبي محمد الحسن بن الفرج الأديب[(٣)].
أبي محمد الحسن بن القاسم[(٤)].
أبي المعالي أحمد بن علي المعروف بابن السمين[(٥)].
أبي المعالي أحمد بن الحسن بن علي بن أبي عيسى[(٦)].
أبي منصور محمد بن الفضل بن دلال الشيباني[(٧)].
إسماعيل بن هبة الله بن طاهر.
الخطيب أبي الفضل عبد الله بن أحمد الموصلي[(٨)].
الخطيب أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي[(٩)].
الشيخ أبي علي الحسن بن علي[(١٠)].
عبد الله بن عبد العزيز العسقلاني[(١١)].

---

(١) الأنساب وشذرات الذهب ٤: ١٥٠.
(٢) النظام ١: ٩- ١٠.
(٣) التعريف بالقدماء ص ٥١٣، ٥٤٣، ٥٥١ حيث ذكر أنه «الحسن بن القاسم البختري» وذكر قبلُ أنه «الجندي» و «البحتري» !
(٤) وهو البختري أو البحتري ويختلط اسمه باسم الحسن بن الفرج ولعلهما واحد. انظر التعليقة السابقة.
(٥) شرح المقصورة للتبريزي ورقة ٢٤ ب وانظر شرح القصائد العشر والملخص في إعراب القرآن.
(٦) شرح اللمع ص ٢٤٧.
(٧) إرشاد الأريب ٥: ٣٢ والطرائف الأدبية ص ٤٦.
(٨) تعريف القدماء ص ٥٤٢ عن الإنصاف والتحري. ولعل هذا الخطيب والذي بعده واحد صحفت نسبته.
(٩) بغية الطلب في تاريخ حلب ١: ١٧٨- ١٧٩.
(١٠) نسخة تهذيب الألفاظ بليدن ورقة ٢ أ.
(١١) شرح المفضليات للتبريزي ورقة ٢٦٢.

محمد بن الحسن بن أبي الوفاء[١].

ومما يذكر هنا أن التبريزي «حدث عنه الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب»[٢] البغدادي، ولكن المستشرق بلسنر عندما ترجم للتبريزي وهم في فهم هذه العبارة وظن أن التحديث يعني التلمذة فقال[٣]: «وجاء في كثير من المراجع أن الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد كان من تلاميذه»، ثم حاول أن يرد ما ذكرته المراجع لأن الخطيب البغدادي هو شيخ للخطيب التبريزي، يكبره بثلاثين سنة، ولم يخصه بترجمة في كتابه تاريخ بغداد كما ترجم لشيوخه.

والحق أن رواية الشيوخ عن تلاميذهم ظاهرة مألوفة في حضارة الإسلام. وها هو ذا الخطيب البغدادي نفسه يروي عن تلميذ له آخر هو ابن خيرون البغدادي[٤]. فلقد كانت اعتبارات السن والطبقة العلمية لا تحول دون تلقي الكبير من الصغير، والشيخ من التلميذ، ما دام هناك علم يستحق الرواية والسماع.

فإذا عدنا بعد هذا إلى أسماء تلاميذ التبريزي، نتصفحها من زاوية تأثر أصحابها به في حياتهم العلمية، بدا لنا أن القلة هم الذي ظهر فيهم هذا التأثر، كالجواليقي، وابن الشجري، وابن الأشقر، وابن العربي. أما سائر تلاميذه فقد لبثت آثار التبريزي فيهم دون أن تتعدى التثقيف والتعليم.

على أن ثمة طبقات من العلماء، عاشت بعد عصر أبي زكرياء، أو لم تلقه، كان له تأثر به أظهر منه في كثير من تلامذته الذين عاصروه، إنهم أولئك المصنفون الذين شرحوا من الأشعار واللغة ما شرح التبريزي، فقد اقتبس هؤلاء عنه كثيرًا من أقواله، ونقلوا من مؤلفاته إلى مصنفاتهم النصوص، بعباراته وألفاظه، منسوبة إليه أو غير منسوبة. فقد نقل عنه أمثال:

ابن المستوفي في شرح ديوان أبي تمام وشرح ديوان المتنبي.

---

(١) شرح المفضليات للتبريزي ورقة ١.

(٢) الأنساب ووفيات الأعيان وشذرات الذهب وطبقات النحاة ومسالك الأبصار.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٥٦٨- ٥٦٩.

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ٤: ٧.

ابن السيد البطليوسي في شرح سقط الزند.

ابن هشام في شرح بانت سعاد.

الخوارزمي في شرح سقط الزند.

الخويي في شرح تنوير السقط.

السيوطي في شرح شواهد المغني وفي المزهر.

عبد العزيز بن محمد بن خليل في شرح بانت سعاد.

عبد القادر البغدادي في الخزانة وشرح شواهد المغني.

عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في شرح بانت سعاد.

العكبري في شرح ديوان المتنبي.

وحسبنا هذا دليلا على أن تلاميذ الخطيب التبريزي لم تنقطع سلسلتهم بوفاته، وإنما توالت منهم الأجيال بعد الأجيال حتى يومنا هذا.

وفاته

أقام الخطيب التبريزي في بغداد بعد عودته من مصر، وبدأ تأليف تصانيفه في رحاب مدينة العلم والعلماء. وقد طال به المقام في تلك الديار حتى مله، وآلمه لؤم بعض رجالها، مما يجعله يحن إلى أيام الترحال والأسفار قائلا:

فمن يسأم من الأسفار ... فإني قد سئمت من المقام

أقمنا بالعراق على ... لئام ينتمون إلى لئام

ولكن هذا السأم لم يستطع أن يحمله على مغادرة بغداد. فقد أدركه الكبر وهدته الشيخوخة، فلبث في تلك المدينة إلى أن توفاه الله فجأة يوم الثلاثاء، لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ٥٠٢، عن عمر يناهز الثمانين، ودفن في مقبرة باب أبرز(١).

(١) هذا هو الراجح. وقيل: إنه مات في جمادى الأولى (بغية الوعاة ومفتاح السعادة) وقيل: في سنة ٥٠١ (النجوم الزاهرة) وقيل: دفن في تبريز (الأنساب) والراجح أن في هذه الأقوال تحريفًا أو تصحيفًا أو خطأً.

سورة يوسف مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنــزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[الآيات: ١-٤].

أي: هذه آيات القرآن، وقيل: المعنى: هذه الآيات، تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة، ﴿الْمُبِينِ﴾ أي: الذي يَبِينُ، لمن تدبره أنه من عند الله ﴿إِنَّا أَنــزَلْنَاهُ﴾ أي: أنزلنا الكتاب، ويجوز أن يكون أنزلنا خبر يوسف، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب، لعلكم تفقهون معانيه، و﴿قُرْآنًا﴾ حال من الهاء في ﴿أَنــزَلْنَاهُ﴾ مجموعا، ﴿عَرَبِيًّا﴾ حال أخرى، ويجوز أن يكون ﴿قُرْآنًا﴾ توطئة للحال، وعربيا هو الحال كما تقول: مررت به رجلا صالحا، فرجل توطئة للحال، وصالح هو الحال.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: نبين لك أحسن البيان، وقيل: أجمله - بوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبل وحينا إليك لمن الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ موضع إذ "إذ" نصبٌ، المعنى: نقص عليك إذ قال يوسف، وقيل: الغافلون، هو العامل؛ كأنه - وإن كنت من قبله لمن الغافلين - إذ قال يوسف، ويجوز: على، اذكر إذ قال يوسف، الآية.

عن قتادة[١] "الكواكب" إخوته، والشمسُ والقمرُ أبواه، وقرأ ابن عامر[٢]: ﴿يَا أَبَتَ﴾ بفتح التاء في كل القرآن.

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، كان أحفظ أهل البصرة، عالماً بالقراءات والحديث، وكان رأسًا في العربية واللغة والأنساب، مات سنة١١٨هـ.

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي ، أحد القراء السبعة المشهورين، تولى قضاء دمشق في خلافة الوليد بن الملك، مات سنة ١١٨هـ.

وقرأ الباقون بكسر التاء حيث وقعت، وكان ابن كثير[١] وابن عامر يقفان عليه "يا أبه" بالهاء، والباقون: "يا أبت" بالتاء.

فمن قرأ بالكسر فعلى الإضافة إلى نفسه، وحذف الياء، لأن ياء الإضافة قد تحذف في النداء، وقيل: التاء بدل من ياء الإضافة، ولا يجوز اجتماعهما، وكسرت لتدل على أنه موضع إضافة، ومن قرأ بالفتح، فعلى أنه أبدل من ياء الإضافة ألفًا، ثم حذف الألف كما تحذف الياء.

وعن أبي عثمان[٢]: أراد: "يا أبتاه" فحذف الألف، ومن وقف بالهاء فلأنها تاء التأنيث لحقت الأب في باب النداء خاصة، فكان الوقف عليها بالهاء، ومن وقف بالتاء فلاتباع المصحف، لأنها مكتوبة فيه بالتاء، ولأن ياء الإضافة مقدرة بعدها.

والأصل ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾: أحد وعشرة، فَجُعِلِ الاسمان اسمًا واحدًا، ليكون على منهاج أسماء العدد، خمسة وعشرة، وبُنِيَ لتضمنه معنى الحرف -وهو الواو- وغير اللفظ للبناء وألزم الفتح، لأنه أخف الحركات.

و﴿كَوْكَبًا﴾ نصب على التمييز، وكرر ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ توكيدًا لّما طال الكلام، وجاز: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وحقيقته لمن يعقل، لأنها وصفت بفعل من يعقل من السجود، كما قال: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٣].

و﴿سَاجِدِينَ﴾ حال من الهاء والميم من ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لأنه من رؤية العين.

---

(١) هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد، أحد القراء السبعة المشهورين، ولد بمكة، وتوفي بها سنة ١٨٨هـ.

(٢) إمام العربية أبو عثمان، بكر بن محمد بن عدي، البصري، صاحب "التصريف" والتصانيف. أخذ عن: أبي عبيدة، والأصمعي. روى عنه: الحارث بن أبي أسامة، وموسى بن سهل الجوني، ومحمد بن يزيد المبرد، ولازمه، واختص به. وقد دخل المازني على الواثق بالله، فوصله بمال جزيل. قال المُبَرِّد: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني. وقال القاضي بكار بن قتيبة: ما رأيت نَحْوِيًّا يشبه الفقهاء إلا حَبَّان بن هلال والمازني. مات المازني سنة و٢٤٨ سبع أو ثمان وأربعين ومائتين.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٦٣.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الآيات: ٥-٦].

﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ أي لا تخبرهم بها، فيحتالوا لك ويغتالوك، **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** أي مظهر للعداوة، وهو **﴿يَجْتَبِيكَ﴾** أي يختارك، وهو مشتق من: "جبيت الشيء" إذا حصلته لنفسك، وموضع الكاف من **﴿كَذَلِكَ﴾** نصب، المعنى: ومثل ما رأيت تأويله يجتبيك ربك **﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾** عن مجاهد(١): عبارة الرؤيا، **﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾** النبوة، **﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾** نسله **﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾** يقال الأحد عشر كوكبا إخوته، والشمس والقمر أبواه، فالقمر: الأب، والشمس: الأم، وأنه يكون نبيا، وإخوته يكونون أنبياء لقوله: **﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾**: **﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾** حيث يضع النبوة، و**﴿حَكِيمٌ﴾** في صنعة خلقه.

قوله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الآيات: ٧-١٠].

أي فيما كان من أمرهم مواعظ لمن سأل، ورُوي أن قومًا من اليهود قالوا

---

(١) هو أبو بكر ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباسي التميمي، من أكابر علماء عصره في القراءات واللغة، من أهم تصانيفه: كتاب السبعة في القراءات، وقد قام بتحقيقة الدكتور العلامة شوقي ضيف، وكتاب في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. توفي عام ٣٢٤هـ، لمزيد من التفاصيل حول حياته انظر ترجمته؛ طبقات القراء للذهبي ٣٣٣/١.

للمشركين: سلوا محمدًا: لم انتقل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف؟ فأنـــزل الله ذلك، فأخبرهم بقصتهم، وهو عنها غافل لم يأته إلا من جهة الوحي جواب ما سألوه.

وفي وزن "آية" أربعة أقوال: قال سيبويه: هي "فعلة"، وأصلها أية، ثم أبدلوا من الياء الساكنة ألفًا، ومثله "عنده" غاية، واعتلال هذا عنده شاذ، لأنهم أعلوا العين، وصححوا اللام، والقياس إعلال اللام، وتصحيح العين.

وقال الكوفيون: "أاية" هي فعله، بفتح العين، وأصلها "أَيَيَه" فقلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو شاذ في الإعلال، إذ كان الأصل أن يعل الياء الثانية، ويصحح الأولى، فيقال: "أياه.

وقال بعض الكوفيين: "أاية" فَعلة، وأصله "أيِيَة" فقلبت الأولى ألفا لانكسارها، وتحرك ما قبلها، وكانت الأولى أولى بالعلة من الثانية لثقل الكسرة عليها وهذا قول صالح جار على الأصول.

وقال ابن الأنباري(١): "آية" فاعله، أصلها، "أَايِيهْ" فأسكنوا الياء الأولى

---

(١) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين. وسمع في صباه باعتناء أبيه من: محمد بن يونس الكديمي، وإسماعيل القاضي، وأحمد بن الهيثم البزاز، وأبي العباس ثعلب، وخلق كثير. وحمل عن والده، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدين، وسعة الحفظ. حدث عنه: أبو عمر ابن حيويه، وأحمد بن نصر الشذائي، وعبد الواحد بن أبي هاشم، أبو الحسن الدارقطني، ومحمد بن عبد الله بن أخي ميمي الدقاق، وأحمد بن محمد بن الجراح، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وآخرون.

قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن. قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقا دينا من أهل السنة

من كتبه: "الوقف والابتداء"، وكتاب "المشكل"، و"غريب الغريب النبوي"، و"شرح المفضليات"، و"شرح السبع الطوال"، وكتاب "الزاهر"، وكتاب "الكافي" في النحو، وكتاب "اللامات"، وكتاب "شرح الكافي"، وكتاب "الهاءات"، وكتاب "الأضداد"، وكتاب "المذكر والمؤنث"، وكتاب "رسالة المشكل" يرد على ابن قتيبة، وأبي حاتم، =

استثقالا للكسرة على الياء، وأدغموها في الثانية، فصارت "آيَّة" مثل لفظ دابة ووزنها، ثم خففوا الياء، كما قالوا: "كينونة" بتخفيف الياء ساكنة، وأصلها كيِّنونة، ثم خففوا الياء الأولى المتحركة استثقالا للياء المشددة مع طول الكلمة، وهذا بعيد من القياس، إذ ليس في الآية طول يجب الحذف معه كما في "كينونة".

وقرأ ابن كثير: "آية" على التوحيد، والباقون: "آيات" على الجمع، فمن قرأها على التوحيد فلأنها رويت في غير هذا المصحف ﴿**عبرة للسائلين**﴾ ومن قرأ على الجمع فلأن عبرا قد كانت فيه، ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ**﴾ أي بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه، وأمهما "راحيل" وهي خالتهم، ﴿**وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا**﴾ أي قدم ابنين صغيرين في المحبة علينا، ونحن جماعة نفعنا أكثر من نفع هذين، والعصبة: الجماعة، وقيل: إنها من العشرة إلى الأربعين.

﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ أي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة، وقيل: في غلط من تدبير الدنيا، إذ نحن أنفع له منهما لقيامنا بأمواله ومواشيه، و﴿**أَرْضًا**﴾ منصوبة على إسقاط "في" وإفضاء الفعل، لأنها، ليست من الظروف المبهمة، ﴿**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾ أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف ﴿**تَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ أي تتوبون بعد قتله أو تعذيبه، وهما مجزومان على جواب الأمر.

﴿**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ**﴾ قيل: القائل يهوذا، وقيل: شمعون، والغَيَابةُ: كل ما غاب عنك أو غيب عنك شيئا، والجب: البئر التي لم تُطْوَ، لأنها قُطِعَتْ قَطْعًا من غير طَيٍّ، وقرأ نافع(١): "غيابات" على الجمع وكذلك الحرف الذي بعده، والباقون على

=

وكتاب "الرد على من خالف مصحف عثمان " بأخبرنا وحدثنا، يقضي بأنه حافظ للحديث، وله أمالي كثيرة، وكان من أفراد العالم. وله كتاب "خلق الإنسان "، وكتاب " خلق الفرس، وكتاب " الأمثال "، و"المقصود والممدود "، و "غريب الحديث". مات سنة أربع وثلاث مائة.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي النعيم الليثي المدني، وهو أحد القراء السبعة المشهورين،
=

التوحيد في الموضعين، فمن قرأ على الجمع أراد أن البئر لها غيابات، ومن قرأ على التوحيد فلأن المعنى فيهما واحد.

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ أي: يخرجه من الجب، ويقال: إن الالتقاط توافق شيء بغتة، والسيارة: المارة، وقرأ الحسن[١]: "تلتقطه" بالتاء، وأجاز ذلك جميع النحويين، لأن بعض السيارة سيارة، فكأنه قال: يلتقطه سيارة بعض السيارة:

وأنشدوا:

وتَشْرَقُ بالقوْل الذي قد أذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدَّمِ[٢]

﴿إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: عازمين.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾[الآيات: ١١-١٤].

﴿مَا لَكَ﴾ أي: أيّ شيء لك، ﴿تَأْمَنَّا﴾ أصلها تأمننا، ثم أدغمت النون الأولى في الثانية، وبقي الإشمام يدل على ضمة النون الأولى، والإشمام: ضمك شفتيك من غير صوت يسمع، فهو بعد الإدغام، وقبل: فتحة النون الثانية.

وابن كيسان[٣] يسمى الإشمام الإشارة، ويسمي الروم إشمامًا، والروم: صوت

=

انتهت إليه رياسة القراء، وتوفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ.

(١) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، كان إمام أهل زمانه علمًا وفقهًا، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.

(٢) هذا البيت للأعشي، انظر ديوان الأعشى، ص ١٨٣.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم، المعروف بابن كيسان، كان عالـمًا بالنحو واللغة، أخذ عن المبرد وثعلب وسمع من إسماعيل القاضي، وإبراهيم الحربي، وجماعة. وأخذ عنه أبو علي بن شاذان، وأبو نعيم الحافظ، من مؤلفاته: معاني القرآن، غريب الحديث، ما

=

ضعيف يذكر خفيا، يكون في المرفوع والمخفوض والمنصوب الذي لا تنوين فيه، والإشمام لا يكون إلا في المرفوع، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ في الرحمة والحب.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[1] وابن عامر "نرتع ونلعب" بالنون فيهما، وقرأ الباقون بالياء فيهما، وكان ابن كثير ونافع يكسران العين من "نرتع"، والباقون بسكونها، فمن قرأ بالنون، فلقولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، إذ الظاهر أهم حين أسندوا الاستباق إلى جماعتهم كانوا أسندوا جميع ذلك إليهم، ومن قرأ بالياء فإن القوم لم يريدوا إعلام يعقوب بما لهم من الرفق في خروج يوسف معهم، وإنما أرادوا أن يروه ما ليوسف في ذلك، ليكون داعيا له إلى إرساله معهم، فكان الوجه إسناد ذلك إليه، ومن كسر العين جعله من "ارتعينا نرتعي"، كأهم قالوا: نرعى ماشيته ونلعب، فنجمع النفع والسرور، ومن أسكن العين جعله من "رتعت أرتع" أي يتسع في الخصب، وهما مجزومان على جواب الأمر، وحقيقته على الجزاء، المعنى: أرسله إن ترسله يرتع ويلعب، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي لا نغفل عنه بل نحفظه من كل شيء تخافه عليه.

وقرأ الكسائي[2]: "الذيب" بغير همز حيث وقعت، والباقون بالهمز حيث وقعت،

=

اختلف فيه البصريون والكوفيون. توفي في شوال سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة.

(١) هو أبو عمرو زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة المشهورين، وإمام من أئمة اللغة والأدب، مات سنة ١٥٤هـ.

(٢) الإمام، شيخ القراءة والعربية أبو الحسن علي بن حمزة، بن عبد الله، بن بهمن، بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه. تلا على ابن أبي ليلى عرضا، وعلى حمزة. وحدث عن جعفر الصادق، والأعمش، وسليمان بن أرقم، وجماعة. وتلا أيضا على عيسى بن عمر المقرئ. واختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع. وجالس في النحو الخليل، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربية، فقيل: قدم وقد كتب بخمس عشرة قنينة حبر. وأخذ عن يونس. قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي. قال ابن الأنباري: اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحد في علم القرآن، كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم

=

فمن قرأ بالهمز فلأنه مأخوذ من تذأيت "الريح": إذا أتت من كل جانب، ومن قرأ بغير همز فلأنه قد اختلف فيه، وليس ينقص تركه من عدد الحروف شيئا، لقيام الياء مقامه.

وقوله: ﴿أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ و﴿أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ "أن" الأولى في موضع رفع بـ"يحزنني" و"أن" الثانية في موضع نصب بـ"أخاف"، والخاسرون: الهالكون.

قوله عز وجل:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[الآيات:١٥-١٨].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي إلى يوسف، وعن الحسن: أعطاه الله النبوة وهو في الجب ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ أي لتخبرهم، وفي قوله: ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ قولان؛ أحدهما: وهم لا يشعرون بأنه أوحي إليه، والآخر: وهم لا يشعرون أنه يوسف في وقت ينبئهم بأمرهم، وقيل: أوحينا إلى يعقوب، وجواب "لما" محذوف تقديره: كبر ما قصدوه،

=

ويجلس على كرسي، ويتلو وهم يضبطون عنه حتى الوقوف. قال إسحاق بن إبراهيم: سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين. وعن خلف، قال: كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يتلو، وينقطعون على قراءته مصاحفهم. تلا عليه: أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأحمد بن أبي سريج، وأحمد بن جبير الأنطاكي، وأبو حمدون الطيب، وعيسى بن سليمان الشيزري. وله عدة تصانيف منها: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، وكتاب النوادر الكبير، ومختصر في النحو، وغير ذلك. كان الكسائي ذا منــزلة رفيعة عند الرشيد، وأدب ولده الأمين، ونال جاها وأموالا. سار مع الرشيد، فمات بالري بقرية أرنبوية سنة تسع وثمانين ومائة عن سبعين سنة، وفي تاريخ موته أقوال، فهذا أصحها.

وقيل: إن الواو مقحمة، والمعنى: "وأوحينا إليه"، و﴿عِشَاءً﴾ نصب على الظروف، وهو في موضع الحال المضمر في ﴿جَاءُوا﴾.

و﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي ننتضل من السباق في الرمي، ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ وما أنت بمصدق لنا، ولو كنا عندك من أهل الصدق لاهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبناك، و﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي مكذوب فيه، إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير "ذي كذب"، الفراء يجعل المصدر واقعا موقع مفعول، كما يقع مفعول موقع المصدر، من قولهم: "ليس له عَقْد رَأي، أي معقود رَأي".

وعن ابن عباس(١): كان دم سخلة، فقال: لو أكله الذئب لخرق القميص وقرأ الحسن: "دم كذب" بالدال، قال أبو الفتح(٢): أصل هذا من الكذب وهو الفوف، أعني البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث، فكأنه دم قد أثر في قميصه، فلحقته أعراضه كالنقش عليه.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي: في قصة يوسف، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: صبر لا شكوى فيه إلى الناس، "صبر جميل" مرفوع من وجهين، المعنى: فشأني صبر جميل، والذي أعتقده صبر جميل، ويجوز أن يكون على: فصبري صبر جميل؛ نعت للصبر، ذكره قطرب(٣)، ويجوز النصب، ولم يقرأ به على

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حبر الأمة وصحابي جليل وترجمان، ولد بمكة، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أحاديث كثيرة.

(٢) إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف. ولد قبل الثلاثين وثلاث مائة. كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الموصلي. وله ترجمة طويلة في "تاريخ الأدباء" لياقوت. لزم أبا علي الفارسي دهرا، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد، وتخرج به الكبار. وله "سر الصناعة" و"اللُّمع"، و"التَّصْريف"، و"التلقين في النحو"، و"التعاقب"، و"الخصائص"، و"المقصور والممدود"، و"ما يذكر ويؤنث"، و"إعراب الحماسة"، و"المحتسب في الشواذ". خدم عضد الدولة وابنه، وقرأ على المتنبي "ديوانه"، وشرحه، وله مجلد في شرح بيت لعضد الدولة. أخذ عنه: الثمانيني، وعبد السلام البصري. توفي في صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة.

(٣) محمد بن المستنير، أبو علي النحوي، المعروف بقطرب، لازم سيبويه، وكان يدلج إليه، فإذا =

المصدر على تقدير: فأنا أصبر صبرا، والرفع الاختيار فيه، لأنه ليس بأمر، ولو كان أمرا لكان الاختيار فيه النصب، ويجوز أن يكون مبتدأ، والتقدير: فصبر جميل أولى من الجزع، وأنشدوا في الرفع:

يشكو إليَّ جملي طول السُرَى
يــا جملي ليس إليَّ المشتَــكَى
صــبر جــميل فكلانا مُبْتَلى

و"صبرا" نصب على: فأصبر صبرا ﴿**وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ**﴾ أي: به أستعين، ﴿**عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ أي: تقولون، وقيل: تكذبون.

قال عز وجل:

﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾[الآيات: ١٩-٢٠].

﴿**سَيَّارَةٌ**﴾ أي: قوم يسيرون، و﴿**وَارِدَهُمْ**﴾ الذي يرد الماء ليستقي لهم، ﴿**فَأَدْلَى دَلْوَهُ**﴾، أي: أرسل دلوه ليملأها، وقال يا بشرايَ هذا غلام؛ وذلك أن يوسف تعلق بالحبل حين أرسله، وقرأ أهل الكوفة بُشْرَى على "فُعْلَى" من غير إضافة، وقرأ الباقون: "بشراي"؛ بياء مفتوحة بعد الألف على الإضافة، فمن قرأ هذه القراءة فعلى أن المراد: "يا بشارتي"، وكانت الألف ألف تأنيث، فأتوا بياء الإضافة بعدها، وتركوها مفتوحة لسكون الألف، مثل: "رؤياي" ما أشبه ذلك، ويكون على هذا في موضع نصب لأنه منادى مضاف.

=

خرج رآه على بابه فقال له: ما أنت قطرب ليل، فلقب به، أخذ عن عيسى بن عمر. من مؤلفاته: المثلث، النوادر، العلل في النحو، الأضداد، خلق الإنسان، إعراب القرآن، المصنف الغريب في اللغة، توفي سنة ٢٠٦هـ.

ومن قرأ بالقراءة الأخرى فعلى أنه اسم إنسان، فقد روي عن السدي[١]: فنادى المُدْلي صاحبه، وكان اسمه "بُشْرَى"، وقيل: يجوز أن يكون أضاف البشرى إلى نفسه، ثم حذف ياء الإضافة وهو يريدها، فيكون فيها الاحتواء على المعنيين، وهو أوفقهما لخط المصحف، وعلى هذا يكون مبنيا على الضم، لأنه منادى مفرد.

وقيل: إنه إنما نادى البشرى؛ كأنه قال: أيتها البشرى هذا زمانك، وعلى هذا المعنى قرأ القراء: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[٢] بالتنوين؛ كأنه نادى الحسرة، وقرأ ابن أبي إسحاق[٣] وغيره بياء مشددة من غير ألف، وعلة ذلك أن ياء الإضافة حقها أن ينكسر ما قبلها، فلما لم يكن ذلك في الألف قلبت ياء، وأدغمت في ياء الإضافة، ومثل "هداي".

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ عن ابن عباس: كان إخوته حضروا، فقالوا: غلام لنا أبق[٤]، فاشتروه منهم، أي: أسروه بكتمان أنه أخوهم والبضعة: القطعة من المال تجعل للتجارة، وهي نصب على الحال من يوسف، ومعناه: مبضوعا، كأنه قال: أسروه: جاعليه بضاعة، وقيل: إن الوارد الذي التقطه قال للذين كانوا معه: إن سألكم أصحابكم عن هذا الغلام فقولوا: أبضعناه أهل الماء لنبيعه بمصر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بيوسف وأبيه.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعه إخوته، عن ابن عباس، وعن قتادة: الذين باعوه هم الذين أخرجوه من البئر ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: خسيس، بخس به البائع، وعن ابن عباس: "حرام" ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عن ابن عباس: كانت عشرون درهما، وعن

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٨هـ.

(٢) سورة يس: آية ٣٠.

(٣) هو عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري، أبو بحر بن أبي إسحاق، أحد أئمة القراءات والعربية أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وروى عن أبيه عن جده. مات سنة ١٢٧هـ.

(٤) أبق يأبق أبقا وإباقا فهو آبق: هرب.

السدي: اثنان وعشرون درهما، وقيل: كانوا لا يزنون الدراهم حتى تبلغ أوقية، وأوقيتهم أربعون درهما، فلذلك قال: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ وقيل: معناه قليلة، لأن الكثير قد يمتنع من عدده لكثرته، و﴿دَرَاهِمَ﴾ في موضع خفض على البدل من "ثمن".

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يقول: لم يعلموا منــزلته من الله، و﴿فِيهِ﴾ ليست بصلة للزاهدين، وإنما تقديره: وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين، وجاز ذلك؛ لأن الظروف أقوى من حذف العامل من غيرها.

قوله عز وجل:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[آية: ٢١].

مثواه: مقامه، والمعنى: أحسني إليه في طول مقامه عندنا ﴿عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أي: نتبناه ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا﴾ أي ملكناه أرض مصر، و﴿تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ عبارة الرؤيا، وقيل: "تأويل أحاديث الأنبياء" أي: الكتب، ﴿اللهُ غَالِبٌ﴾ أي: على ما أراد من قضائه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ غيبه، وما يريد بخلقه.

ووجه التشبيه في ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا﴾ أنه شبه التمكن له في الأرض بالتوفيق للأسباب التي صار بها النجاة من الهلاك، وحملت اللام في ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ على معنى الكلام المتقدم بتقدير: دبرنا ذلك لنمكنه ونعلمه.

قوله عز وجل:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[الآيات: ٢٢-٢٣].

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان.

ذكره ابن قتيبة[١] قال: وأشُدّ اليتيم غير أشد الرجل، وإن كان اللفظان واحدًا، لأن أشد الرجل الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله، وأشد الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى شبابه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من نحو سبع عشرة إلى الأربعين.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي: جعلناه حكيمًا عالما، وهو الذي يستعمل علمه، ويمتنع من استعمال ما يجهل فيه، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفناه من تعليم يوسف نثيب أي ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

وراودت: هو من راد يرود، إذا جاء وذهب، ومنه رائد الكلا لأنه ينظر ويطلب، والمعنى: روادته عما أرادت، مما يريد النساء من الرجال ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ مخافة أن يغشاها أحد، والتشديد لتكثير الإغلاق والمبالغة من الإيثاق.

وقرأ ابن كثير: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ مفتوحة الهاء مضمومة التاء، وقرأ نافع وابن عامر: "هِيْتَ لك" مكسورة الهاء مفتوحة التاء، وقرأ الباقون مفتوحة الهاء والتاء، وكل ذلك لغات بمعنى: هَلُمّ إلى ما أدعوك إليه.

فمن فتح الهاء والتاء فلأنها بمنـــزلة الأصوات ليس منها فعل يتصرف، ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء قبلها، ومثله "أين" و"كيف"، ومن كسر الهاء وفتح التاء فحجته مثل ذلك، ومن ضم التاء فلأنها في معنى الغايات، كأنها قالت: "دعائي لك" فلما حذفت الإضافة وتضمنت "هيت" معناه بنيت على الضم، والفتح أكثر، قال الشاعر:

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب واللغة، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها، ومن مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، أدب الكاتب، عيون الأخبار، الشعر والشعراء، تأويل مشكل القرآن، تفسير غريب القرآن، توفي سنة ٢٧٦هـــ.

أبلغ أمير المؤمنين ابن الزبير إذا أتيتا
إن العراق وأهله سلْمٌ إليك فهيت هيتا

أي: أقبل وتعال، وحكى قطرب: أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة[1]:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة: هيت
هم يجيبون واهلم سرعا كالأبابيل لا يغادر بيت

وروى عن ابن عباس أنه قرأ "وهئْتُ لك" مهموزة من الهياء مكسورة الهاء كأنها قالت: تَهَيّأتُ لك، و﴿مَعَاذَ اللهِ﴾ أي: استجير بالله أن أفعل هذا، وهو منصوب على المصدر، والمعنى أعوذ بالله معاذا منه ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني العزيز ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي: بسط يدي، ورفع منزلتي، ولا أخونه، وقيل يجوز أن يكون المراد أن الله ربي تولاني في طول مقام و﴿رَبِّي﴾ في موضع خبر إنه، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ الهاء للحديث، وهي اسم إن، وما بعدها الخبر.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[آية: ٢٤].

قال عبد الله بن مسلم: ﴿هَمَّتْ﴾ بالمعصية هم نية واعتقاد، وهمَّ همًّا عارضًا بعد طول المراودة، وعند حضور الشهوة، وقال أبو إسحاق: الذي عليه المفسرون أنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة، وقال قوم: الهاء من ﴿بِهَا﴾ كناية عن الكره، وسياق الكلام يدل على خلاف ذلك.

﴿لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي: لولا رؤيته البرهان لأمضى ما هم به، وفي البرهان الذي رآه عدة أقوال، وعن ابن عباس أنه رأى صورة يعقوب عاضا على إصبعه، وعن قتادة: نودي: يا يوسف أتهم بفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟.

---

(١) انظر المحتسب لابن جني ج١: ص ٣٣٧، وهي غير موجودة في ديوان طرفة.

وقيل: قامت إلى صنم فسترته بثوب، فقال: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا، فقال يوسف: تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي أنا من ربي السميع البصير؟.

وقوله: ﴿**لَوْلاَ أَن رَّأَى**﴾ "أن" في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف، وحكم "لو" أن تدخل على الأفعال لما فيها من معنى الشرط، ولا يجزم بها الأفعال، وإن كان فيها معنى الشرط، لأنها لا تغير معنى الماضي إلى الاستقبال، كما تفعل حروف الشرط، ومعناها: امتناع الشيء لامتناع غيره، فإن وقع الاسم ارتفع على إضمار فعل، إلا "أن" فإنها يرتفع ما بعدها بالابتداء، لأن الفعل الذي في صلتها يغني عن إضمار فعل قبلها، فإن وردت معها "لا" زال منها معنى الشرط، ووقع بعدها الابتداء، والخبر مضمر في أكثر الكلام، ولابد لها من جواب مضمر أو مظهر، ولا يليها إلا الأسماء، ويصير معناها: امتناع الشيء لوجود غيره، فتقدير الآية: إلا أن رأى برهان ربه في ذلك الوقت لكان منه كذا وكذا، فالخبر والجواب محذوفان.

﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ**﴾ الكاف في موضع رفع على إضمار مبتدأ تقديره: أمر البراهين كذلك، ويجوز أن يكون في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره: أريناه البراهين رؤية كذلك ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ**﴾ أي: خيانة صاحبه ﴿**وَالْفَحْشَاءَ**﴾ أي: ركوب الزنا، ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿**المُخْلِصِين**﴾ بكسر اللام حيث وقعت، والباقون بفتح اللام، فمن قرأ بالكسر أراد: الذين أخلصوا دينهم لله، ويشهد له قوله: ﴿**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[(١)]، إذ هو بالكسر بلا خلاف، ومن قرأ بالفتح أراد: الذين أخلصهم الله تعالى، ويشهد له قوله: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾[(٢)].

(١) سورة غافر، آية: ١٤.

(٢) سورة ص، آية: ٤٦.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ.يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[الآيات: ٢٥-٢٩].

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ تبادرا إليه، هرب يوسف وطلبته هي، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي: بعلها، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ أي: شقته من خلف، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ أي: هي التي أرادت الشر، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ أي: حكم حاكم، وقيل: رجل حكيم من أهلها، وقيل: صبي في المهد، ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ﴾ الآية، أي: إن كان هو المقبل عليها وهي الدافعة له عن نفسها فيجب أن يكون خرقت القميص من قُبل، وإن كان هو المتباعد عنها وهي التابعة له من استبقاها، فيجب أن يكون قدّ القميص من دبر.

﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أي: أن قولكِ: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا من كيدكن، فأما دخول "كان" مع "إن" الجزاء، وكون الفعل بعدها لما مضى، ففيه قولان:

قال محمد بن يزيد: كان لقوتها، وأنها عبارة عن أفعال لم يغيرها إن الجزاء الخفيفة، ومعنى هذا أنّ "إن" للشرط وهي ترد الأفعال الماضية إلى معنى الاستقبال إلا كان لقوة "كان"، وكثرة تصرفها، وذلك أن يعبر بها عن جميع الأفعال.

وأما القول الثاني: فإنّ "كان" عبارة عن الأفعال، وإنّ "كان" في معنى الاستقبال هاهنا عبرت عن فعل ماض، المعنى: إن يكن قميصه قُدّ، أي: لمن يعلم قميصه قُدّ، فالعلم ما وقع بعد، فكذلك الكون لا يكون، لأنه مؤدّ عن العلم أن كيدكن عظيم، يقال: إن ذلك من قول الشاهد، وهو ابن عم المرأة، حكاه الفراء، وقيل: من قول زوج المرأة.

﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ أي: لا تذكر هذا الأمر واكتمه، ﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾ أي: استغفري زوجك لذنبك، عن ابن عباس: هو من قول زوجها ﴿**إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ أي: قد أثمت، يقال: خطئ إذا تعمد، وأخطأ: إذا غلط ولم يتعمد.

﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[الآيات: ٣٠-٣١].

﴿**فَتَاهَا**﴾ أي: عبدها وغلامها، و﴿**شَغَفَهَا**﴾ أي: قد بلغ حبه شغافها وهو غلاف القلب، كأنه خرق شغافها فأصاب القلب، يقال: شَغَفْتُ فلانا، إذا أصبت شغافه، وقيل: الشغاف سويداء القلب، وقيل: عظم لاصق بالقلب ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ في سفاهة بينة ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ**﴾ أي: قولهن وعيبهن، وقيل: مكرن لتريهن يوسف: وقيل: كانت أطلعتهن واستكتمتهن فمكرن بها وفشين سرها، ﴿**أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ**﴾ أي: دعتهن ﴿**وَأَعْتَدَتْ**﴾ أي أعدت لهن من العتاد ﴿**مُتَّكَئًا**﴾ أي ما يتكأ عليه، وهو "مُفْتَعل" من: توكأت، أصله موتكأ، مُؤْتَزَنٌ من الوزن، وقيل: تريد طعامًا، يقال: اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا، قال جميل:

فظللنا بنعمة واتكأنا وشَرِبْنا الحلال من قلله

والأصل أن من دعوته ليطعم عندك أعتدت له المتكأ للمقام والطمأنينة، فسمي الطعام متكأ للاستعارة، ذكره ابن قتيبة، وعن مجاهد: طعاما يحز حزا، ﴿**وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا**﴾ ليحززن به من طعامهن، وقال بعضهم: ﴿**وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا**﴾ الواحدة متكة، وهو الأترج، وقالت ليوسف: ﴿**اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**﴾ أي: أعظمنه وأجللنه، وقيل معناه حضن، وأنشد فيه بيت هو[1]:

---

(١) نقل أبو حيان في البحر المحيط ج٥: ص ٣٠٣ عن ابن عطية قوله: إن البيت مصنوع.

يأتي النساء على أطهارهن، ولا يأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

وأنكر أبو عبيدة[١] وغيره من علماء اللغة ذلك، والهاء في "أكبرنه" تمنع من ذلك، لأن "حِضْنَ" لا يتعدى إلى مفعول، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي خدشنها من إعظامه، وهذا مستعمل في الكلام، يقول الرجل: قطعت يدي، يعني خدشتها، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ الأصل في "حشا" أن يكون بالألف، لكن وقعت في المصحف بغير ألف اكتفاء بالفتحة من الألف، كما حذفت النون من "لم يك" وحاشى فعل على فاعل، مأخوذ من "الحشا" وهو الناحية، كما قال الهذلي[٢]:

بأي الحشا صار الخليط المباين؟

أي بأي ناحية، ولا يحسن أن يكون حرفًا عند أهل النظر، وأجاز ذلك سيبويه، ومنعه الكوفيون، لأنه لو كان حرف جر ما دخل على حرف جر، ولأن الحروف لا يحذف منها إلا إذا كان فيها تضعيف، نحو: لعلّ وعلّ.

ومعنى "حاشا" بَعُد يوسف من هذا الذي يُرمى به لله: أي لخوفه لله ومراقبته له، وقال المبرد: يكون حاشا حرفًا ويكون فعلا، واستدل على أنها تكون فعلا بقول النابغة:

---

(١) الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف. ولد في سنة عشر ومائة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. حدث عن: هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء وطائفة. ولم يكن صاحب حديث، وإنما أوردته لتوسعه في علم اللسان، وأيام الناس. حدث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وعمر بن شبة، وعلي بن المغيرة الأثرم، وأبو العيناء. حدث ببغداد بجملة من تصانيفه. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني ذكر أبا عبيدة، فأحسن ذكره، وصحح روايته، وقال: كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح. وقال يحيى بن معين: ليس به بأس. وهو أول من صنف غريب الحديث، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد وقرأ عليه، توفي ٢١٠ هـ. من مصنفاته: مجاز القرآن، الأمثال في غريب الحديث نقائض جرير والفرزدق، ما تلحن فيه العامة، معاني القرآن.

(٢) هذا عجز بيت منسوب إلى المعطل الهذلي، انظر: شرح المفصل ٢: ٨/٨٥: ٤٨.

ولا أحاشي من الأقوام من أحد

فـ"من أحد" في موضع نصب بأحاشي، وقال غيره: حاشى" حرف و"أحاشي فعل أخذ من الحرف، ويبنى من حروفه، كما قالوا: "لا إله إلا الله" ثم اشتق من حروف هذه الجملة فعل، فقالوا: هلل الرجل، وبسمل إذا قال: "بسم الله الرحمن الرحيم، وقال الزجاج: معنى حاشا لله، أي: برأه الله، فمعناه: قد نجّي يوسف من هذا الذي رمي به.

وحكى أهل اللغة: حاشا لله، يحذف الألف، بحذف الألف الأولى، وهي لغة، والنصب بحاشى عند المبرد في الاستثناء أحسن، لأنها فعل في أكثر أحوالها، وسيبويه يرى الخفض بها لأنها حرف جر.

وقرأ أبو عمرو: "حاشا لله" بالألف في الوصل، وكذلك في الموضع الأخر، والباقون بغير ألف فيهما وصلا ووقفا، فمن قرأ بالألف قال: يقال: حاشاك وحاشا لك، ولا يقال: حاش لك، ذكره اليزيدي[1] ومن قرأ بغير ألف قال: فيها لغتان، حكى عن الفراء أنه قال: حاش لله، لغة أهل الحجاز، وهي مكتوبة في المصحف بغير ألف، فكانت هذه القراءة أولى.

﴿**مَا هَٰذَا بَشَرًا**﴾ أي: ما هو من بني آدم، ما هو إلا ملك من الملائكة، وشددت النون في ﴿**مكرهن**﴾ وما أشبهه، لأنها عوض من حرفين، وهما الميم والواو إذا قلت: مكرهمو، وخففت في ﴿**قُلْنَ**﴾ لأنها بدل من حرف واحد، وهو الواو في قولك: "قالوا" و﴿**بَشَرًا**﴾ نصب خبر "ما" في لغة أهل الحجاز.

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد اليزيدي، النحوي المقرئ اللغوي، حدث عن أبي عمرو والخليل، وعنهما أخذ العربية، توفي سنة ٢٠٢هـ.

قوله عز وجل:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الآيات: ٣٣-٣٤].

﴿لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي: لحقتني ملامتكن في افتتاني به، **﴿فَاسَتَعْصَمَ﴾** أي امتنع **﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾** أي المذلين، ونون "ليكونن" هي النون الخفيفة للتأكيد، والوقف عليها بالألف، **﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾** أي من ركوب المعصية، ووزن "يدعونني" يفعلنني، ونسب ذلك إليهن فيما ذكر قلن لها: نحن نسأله أن يفعل ما دعوته إليه، وقيل: إنهن دعونه إلى ما دعته امرأة العزيز إليه، و**﴿كَيْدَهُنَّ﴾** مكرهن، و**﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾** أي أتابعهن وأمل إليهن، والجاهلون: المذنبون، **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ﴾** أي أجابه، وجاز ذلك وإن لم يتقدم دعاؤه، لأن في قوله: **﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾** معنى الدعاء بصرف كيدهن عنه، **﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** دعاء عباده، **﴿الْعَلِيمُ﴾** بنياهم ومصالحهم.

قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ * وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الآيات: ٣٥-٣٦].

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي ظهر لهم، والفاعل مضمر على تقدير: "بدا لهم بدء" أي تغير رأي عما كان عليه، وأكثر العرب يقول: بدا لي، ولا يذكر بدءًا لكثرته ولدلالة الكلام عليه، وعند سيبويه فاعل "بدا" محذوف قام مقامه **﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾**، وقال المبرد: فاعله المصدر الذي يدل عليه "بدا" وقيل: الفاعل محذوف ولم يعوض منه شيء، تقديره: ثم بدا لي رأى، والآيات: "قد القميص" و"أثر السكين".

وقوله: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ يريد انقطاع المقالة، وما شاع في المدينة من حديث الفاحشة، وقيل: "حتى حين" أي: سبع سنن، ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ﴾ عن ابن عباس: عبدان للملك، كان أحدهما على شرابه، والآخر على طعامه، بلغه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه، وظن أن الآخر، مالأه، ولم يقل: "فحسبا"، لأن قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ﴾ دليل على ذلك، وكانوا يسمون فتى، فيجوز أن يكونا حدثين أو شيخين.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي﴾ في النوم، ولم يذكره لأن الحال عليه، ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يقال عنبا، قال الأصمعي: خبرني معمر أنه لقي أعرابيا معه عنب، فقال له: ما معك؟ قال: خمر، وتكون الخمر بعينها، كما تقول: عصرت زيتا، وإنما عصرت الزيتون، ﴿وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾ عن مجاهد: كانا رأيا ذلك قبل أن يدخلا السجن.

وعن السدي: قال يوسف: إني أعبر الأحلام، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا، وعن أبي مجاز[1]: كان المصلوب كاذبا، ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِه﴾ أي بتأويل ما رأينا ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي العاملين، قد أحسنت العلم، ذكره الفراء، وجاء أنه كان يعين المظلوم، وينصر الضعيف، ويعود العليل.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِه قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[الآيات: ٣٧-٣٨].

عن الحسن: يعني أنه يخبر بما غاب، كما كان عيسى، وعن ابن جريج[2]: كان

(١) هو أبو مجاز لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز: ١٠٦هـ. انظر ترجمته في كتاب المعارف لابن قتيبة ص٤٦٦.

(٢) هو أبو خالد عبد الملك عبد العزيز بن جريج، فقيه الحرم المكي، ولد في مكة، وكان إمام =

الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاما، فأرسل به إليه، عن السدي: ﴿**لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ**﴾ في منامكما، ﴿**إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ**﴾ في اليقظة، أي أنا عالم بتعبير الرؤيا، ويقال: عدل عن الجواب لأنه كره أن يخبرهما لما على أحدهما فيه، فلم يدعاه حتى فعل، وقيل: أحب أن يدعوهما إلى الإيمان، ويعلمهما ما خصه الله به من النبوة، ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾ أني لست أخبركما على جهة التكهن، وإنما أخبركما بوحي من الله، ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ**﴾ أي: دين قوم لا يؤمنون بالله، أي: أن هذا لا يكون لمن يكفر بالله وبالبعث، وكرر على جهة التوكيد، ﴿**مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ**﴾ يريد أن الله عصمنا أن نشرك به شيئا، ﴿**ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ**﴾ أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا وبفضله علينا ﴿**وَعَلَى النَّاسِ**﴾ علينا أن جعلنا أنبياء ﴿**وَعَلَى النَّاسِ**﴾ أن جعلنا إليهم رسلا، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ أي لا يعرفون قدر نعم الله عليهم.

قوله عز وجل:

﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ [الآيات: ٣٩-٤٣].

يقول: "أأملاك متباينون خير أم المالك القاهر للجميع"؟ يدعوهما إلى توحيد

=

أهله في عصره، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر ترجمته في كتاب المعارف لابن قتيبة ص٤٨٨.

الله، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي سوى الله ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾، أي أنتم جعلتم هذه الأصنام آلهة، وأصل "سَمّى" أن يتعدى إلى مفعولين، يجوز حذف أحدهما، والثاني هنا محذوف تقديره: سميتموها آلهة، و﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للثاني في ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ ليحسن العطف عليها ﴿مَّا أَنــزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي حجة، و﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ما للمطيعين من الثواب، وما للعاصين من العقاب.

﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ -يريد صاحب الشراب، والآخر صاحب الطعام- ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ أي: هذا تأويل ما رأياه ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، يروى أن صاحب الطعام قال: ما رأيت شيئا، فقال لهما: ذلك، أي: قد وقعت على ما أولت.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أي: علم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ أي ينجو من الحبس: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾ يقال: أنسى الشيطان يوسف أن يجعل مستغاثه إلى الله، ويقال: نسى الساقي أن يذكر يوسف لمولاه، فلبث يوسف في السجن بضع سنين، قيل: لبث سبع سنين، وقيل: لبث سبعًا بعد قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ولبث قبل ذلك خمس سنين، والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع، وعن الأصمعي، وعن قطرب: إلى السبع، وعن أبي عبيدة: ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، يريد ما بين واحد إلى الأربعة، وهو من "بَضَعْتُ" أي قطعت، كأنه القطعة من العدد.

﴿وقال الملك إني أرى في المنام سبع بقرات﴾ الآية، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ أي الذين يرجع إليهم في الأمور ﴿أَفْتُونِي﴾ ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تخبرون آخر ما يؤول إليه أمرها، من قولك: عبرت النهر، إذا بلغت إلى عبره، إلى شطه، وهو آخر عرضه، ويقال: دخلت اللام مع إن الفعل يتعدى، لأنه إذا تقدم المفعول ضعف العمل، فجاز إدخال حرف الإضافة لهذه العلة.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الآيات: ٤٤-٤٦].

الأضغاث: واحدها ضغث، وهو الحزمة من الحشيش ونحوه، والأحلام: واحدها حلم، وهو الرؤيا، وارتفاع "أضغاث" على: هذه أضغاث أحلام، أي حزم أخلاط ليست برؤيا، وليست بالرؤيا المختلطة، "ما" عندنا تأويل ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي صاحب الشراب، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: حين، ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: إلى السجن، فثم يوسف وهو عالم بتفسير الرؤيا، فأرسلوه، فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي: يا يوسف، والصديق المبالغ من الصدق والتصديق ﴿أَفْتِنَا﴾ أي أخبرنا عن الحكم ﴿فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ الآية ﴿سِمَانٍ﴾ نعت لبقرات، و﴿خُضْرٍ﴾ نعت لسنبلات ﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ في موضع جر عطفاً على "السبع"، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويل رؤيا الملك، وقيل: يعلمون بمكانك، فيكون سبب خلاصك.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[الآيات: ٤٧-٤٩].

﴿دَأَبًا﴾ أي جدا في الزراعة ومتابعة، وهو نصب على "يدأبون دأبا"، لأن ﴿تَزْرَعُونَ﴾ يدل على ذلك، وقرأ حفص[1] بفتح الهمزة، والباقون بالإسكان، وهما

---

(١) هو أبو عمرو جعفر بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، راوي عاصم، قال عنه يحيى بن

واحد مثل: الظَعْن والظَعَن، وكذلك سائر ما فتح أوله وثانيه حرف من الحروف الستة، يثقل ويخفف، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من الزرع ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يقول: ما أردتم أكله فدوسوه، ودعوا الباقي في سنبله لا يتسوس، والمعنى: أنه أول البقرات السنين ذوات الخصب، ثم أشار عليهم بما فيه الصلاح، ثم تأتي سنون مجدبة وهي السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: ما قدمتم فيه من الزرع، وخبأتموه لهن، ووصفت السنون بأهن يأكلن، لأنها بمنـزلة ما يؤكل لوقوع الأكل فيها، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي تحرزون ﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أي يمطرون ﴿وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يعني العنب والزيتون والسمسم، عن ابن عباس، وعنه أيضا: "يحلبون" يكون لهم خصب وألبان، وعن أبي عبيدة وغيره.

"لا ينجون" كأن المعنى: ينجون من البلاء ويعتصمون بالخصب والعصرة المنجاة، قال(١):

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

وقرأ حمزة والكسائي: "تعصرون" بالتاء، والباقون بالياء، فمن قرأه بالتاء رده إلى المخاطبة المتقدمة، من قوله: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ومن قرأ بالياء فلأنه قرب من ذكر الناس، فرده إليهم.

قوله عز وجل:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[الآيات ٥٠-٥٢].

لما أُعلم مكانه من العلم بالتأويل، طلبه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى

=

معين: الرواية الصحيحة التي رويت لقراءة عاصم هي رواية حفص. توفي سنة ١٨٠هـ.

(١) البيت منسوب لأبي زبيد الطائي، انظر: المحتسب ١: ٣٤٥، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٠.

رَبِّكَ﴾ الآية، أي: سله أن يستعلم براءتي مما قرفت به، قال قتادة: أن لا يخرج من السجن حتى يكون له عذر.

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي الله تعالى، وقيل: السيد **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾** أي ما شأنكن؟ وقوله: **﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾** أي برز وتبين، وهو من قولهم: حصَّ شعره، إذا استأصل قطعه، ومنه الحصة: القطعة من الشيء والمعنى: انقطع الحق عن الباطل بظهوره، **﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾** من قوله: **﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾** **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾** هذا من قول يوسف، وجاز ذلك لظهور الدلالة على المعنى، و**﴿ذَلِكَ﴾** مرفوع بالابتداء، والمعنى أردت التبيين للملك أمر امرأته والنسوة **﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾** وإن شئت على خبر الابتداء، أي أمر ذلك، وعن مجاهد: معناه: ليعلم الله أني لم أخنه بالغيب.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[الآيات: ٥٣-٥٥].

عن ابن عباس: لما قال: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾** غمزه الملك فقال: ولا حين همت به؟ فقال: **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾** أي لا أنسبها إلى البراءة ولا أزكيها، والأمارة: الكبيرة الأمر، **﴿بِالسُّوءِ﴾** القبيح **﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾** "ما" في موضع نصب استثناء منقطع مما قبله، يقول: إن النفس أمارة بالسوء، فإذا جاء العزم من الله كانت هذه التي تدعو إلى الخير، **﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي أجعله خالصا لي، ولا يشركه فيه أحد، وهو جزم على جواب الأمر، و**﴿مَكِينٌ﴾** ذو مكانة، و**﴿أَمِينٌ﴾** معروف بالأمانة والبراءة مما قذفت به، **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾** أي على أموالها، ويقال: إن الألف واللام بدل من الإضافة، كأنه قال: خزائن أرضك، **﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** أي أحفظها

وأعلم وجوه متصرفاتها، وإنما أسأل ذلك لصلاح العباد بحسن تدبيره لها.

قوله عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنـــزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾[الآيات: ٥٦-٦٠].

في الأرض، أي: أرض مصر، نتبوأ: أي ننـــزل ونسكن منها **﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾** برحمتنا **﴿مَن نَّشَاءُ﴾** أي نفضل على من نشاء، ولا نبطل ثواب الموحدين، وقرأ ابن كثير: **﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾** بالنون والباقون بالياء، وهو الاختيار، يحسن معناه مع "مكنا له" **﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا﴾**.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ يريد كلهم، إلا بنيامين، وسبب مجيئهم إليه نـــزول القحط الذي كان ذكره في تفسير الرؤيا، فجاءوا يمتارون **﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾** وعن الحسن: ما عرفهم حتى تعرفوا عليه، **﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾** أي لا يعرفون أنه يوسف **﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾** أي: لما قضى حاجتهم، والجهاز: متاع التجار الذي يحمل من بلد إلى بلد، وهو ها هنا الطعام الذي اشتروه **﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾** وروي عن ابن عباس أنه سألهم: من أنتم؟ وكم لأبيكم من الولد، وما شأنكم؟ فقالوا: نحن بنو يعقوب بن إسحاق، وكان له اثنا عشر ولدا، ففقد ابنا له وكان أحبنا إليه، وهو الآن يسكن إلى أخيه وهو أصغرنا، فسألهم أن يأتوه به.

﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أي: لا أطفف؟ **﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنـــزِلِينَ﴾** أي: المضيفين، فإن لم تأتوني بأخيكم فلا ميرة لكم عندي، ولا تأتوني بعدها.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الآيات: ٦١-٦٤].

﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي نطلب إليه أن يرسله معنا، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي الذي تريده، وهو توكيد للجملة الأولى.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾ بالألف والنون، والباقون: "لفتيته" بالتاء من غير ألف، وهما جمعان للفتى، مثل: إخوان وإخوة، ويشهد للقراءة الثانية قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: قال يوسف لمماليكه: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ أي من الطعام الذي اشتروه ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أي الأوعية التي معهم، لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى مصر.

ويقال: فعل ذلك ليظهر كرمه في ردها زمان الجدب، وليعلموا أن طلبه لأخيهم ليس لرغبة في ما لهم فيرجعوه، وقيل: ليرجعوا لرد البضاعة، إذ كانت ثمن ما اكتالوه، وهم لا يستحلون إمساكها، وقيل: خاف أن لا يكون عندهم دراهم، فجعل البضاعة في رحالهم ليرجعوا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إن لم نأته بأخينا، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ هو جزم على جواب المسألة، فسكنت اللام للجزم، وسقطت الألف من "نكتال" لالتقاء الساكنين.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يكتل﴾ بالياء، والباقون بالنون، فمن قرأ بالياء أراد: يصيبه كيل لنفسه، يبين ذلك قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، ومن قرأ بالنون أراد: إن أرسلته اكتلنا، وإلا فقد مُنعنا الكيل، لقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من كل ما تخافه، ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ﴾ الآية.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿حَافِظًا﴾ بالألف، والباقون: ﴿حفظا﴾ بغير ألف، وهو منصوب على التمييز على قراءة من قرأ بغير ألف، لأنهم نسبوا إلى أنفسهم حفظ أخي يوسف، فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فرد عليهم يعقوب ذلك: "فالله خير حفظا من حفظكم"، ومن قرأ بالألف فهو منصوب على الحال، ويجوز أن يكون على التمييز أيضا، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: هو رؤوف بنا من كل أحد.

قوله عز وجل:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَــزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۞ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُّحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[الآيات: ٦٥-٦٦].

﴿مَا نَبْغِي﴾ "ما" يجوز أن يكون نفيا بمعنى: "لسنا نريد منك دراهم" ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾، ويجوز أن يكون استفهامًا في موضع نصب بــ"نبغي" المعنى أي شيء نريد، وقد ردت علينا بضاعتنا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نجلب لهم الطعام، يقال: مار أهله يميرهم ميرا: إذا حمل إليهم أقواهم من غير بلده ﴿وَنَــزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، لأنه كان يكال لكل رجل وقر، و﴿يَسِيرٌ﴾ أي سهل على الذي يمضي إليه، وقيل: معناه: قليل، فيحتاج أن يضيف إليه كيل بعير أخينا.

قوله: ﴿مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ﴾ أي: عقدًا مؤكدًا بالقسم بالله، لتردنه، على الإحاطة بكم، والإحاطة بهم: أن يحال بينهم وبينه، فلا يقدروا على الإتيان به، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ﴾ عهدهم ﴿قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي كفيل وشهيد.

قوله عز وجل:

﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ* وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الآيات: ٦٧-٦٩].

﴿**لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ**﴾ إذا دخلتم مصر، وقيل: إذا أتيتم "الفرما"(١) وهي مدينة على ساحل البحر، ﴿**وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ**﴾ عن قتادة: كانوا ذوي صورة وجمال، فخشي عليهم أنفس الناس، يريد العين وقيل أحب أن يلتقي يوسف أخاه في خلوة، وقيل: دخل بنو يعقوب على ملك مصر فقال لهم: إن كنتم من أهل قرية واحدة لتهلكن الناس، فكأنه أراد أنه فرق من اجتماعهم، لئلا يخشى الملك شدة بطشهم فيقتلهم خوفا على ملكه، والأول أكثر.

﴿**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ**﴾ يقول: إن أراد الله بكم أمرا لم أدفعه عنكم ولما دخلوا من الأبواب المتفرقة ﴿**مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم**﴾ الآية. عن مجاهد: خيفة العين على بنيه، والتأويل أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون، كما تصيبهم مجتمعين، ونصب ﴿**حَاجَةً**﴾، استثناء ليس من الأول، المعنى: لكل حاجة ﴿**فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾، ﴿**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ**﴾ لتعليمنا إياه، ويقال: إنه لذو حفظ ﴿**لِّمَا عَلَّمْنَاهُ**﴾.

و﴿**آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ**﴾ أي ضمه إليه، ويقال: إنه أنـزله عنده، و﴿**قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ**﴾ ويقول: لما خلا إليه قال: أنا يوسف، وعن وهب(٢): إنه لما قال: أنا أخوك

(١) الفرما: أحد المدن القديمة، وكانت تقع بين العريش والفسطاط على ساحل البحر، بناها الفرما أخو الإسكندر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ج٤: ص٢٥٦.

(٢) هو أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني، من علماء التابعين، اشتهر بالقصص والأخبار، =

مكان أخيك الهالك ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن بشيء فعلوه فيما مضى، وتبتئس: تفتعل، من البؤس.

قوله عز وجل:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ* قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ* قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُّجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[الآيات: ٧٠-٧٥].

السقاية: الصواع، عن ابن عباس: كان كهيئة الملوك، وعنه كان قدحا من زبرجد كان يشرب فيه الماء، وقيل: من فضة، وقيل: من ذهب.

وقوله: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أنث أيتها، لأنه جعلها للعير، والمراد: أهل العير، وهي الإبل التي تحمل الميرة، وقيل: كانت حميرًا.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فيه قولان: الأول: أن يوسف لم يأمرهم ولم يعلم به، وإنما كان أمر بجعل السقاية في رحل أخيه على ما أمره الله، فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها، والثاني: أنهم نادوهم على ظاهر الحال فيما على ظنونهم، ولم يكن يوسف أمر به، وإن علم أنهم سيفعلونه.

وقيل: تأويله ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ يوسف: ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ يقال: فقدت الشيء إذا غاب عنك ولم تدر أين هو وتفقدته: تطلبته عند غيبته، وإنما استفهموا للتثبيت في الأمر، وترك الإسراع إلى ما يجوز من القول.

وصُواع الملك: الصاع بعينه، ويذكر ويؤنث الصاع والصواع جميعا، ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام على الملك ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ يكون ضمانا من غيره،

=

وتوفي ١١٤هـ.

﴿قَالُوا تَاللهِ﴾ أي: والله، والتاء بدل من الواو، كما قالوا: في وراث تراث، والواو بدل من الباء والباء تدخل على كل مقسم به: مضمر ومظهر، والواو تدخل على المظهر دون المضمر، والتاء تدخل على اسم الله خاصة، لأنه بدل من بدل.

﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾ ذكر أنهم كانوا في طريقهم لا ينـــزلون بأحد ظلما، وينـــزلون في بساتين الناس فيفسدونها ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ قال: إنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، أي: من رد ما وجده كيف يكون سارقا؟ قالوا: فما عقوبته ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم، ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾.

عن ابن عباس: أن يسترق "جزاء" الأول مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: فقال إخوة يوسف: جزاء السارق عندنا كجزائه عندكم، وقيل: التقدير: جزاء السرق عندنا كجزائه عندكم، فالهاء تعود على السارق أو السرق، و"من" ارتفعت بالابتداء، وهي بمعنى الذي أو الشرط، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ ابتداء، وخبره في موضع خبر "من"، والفاء جواب الشرط أو جواب الإبهام الذي في "الذي"، وقيل: إن جزاء الأول ابتداء و"من" خبره على تقدير حذف مضاف تقديره: قال إخوة يوسف: جزاء السرق استعباد من وجد في رحله فهو جزاؤه، أي: فالاستعباد جزاء السرق، والهاء تعود على السرق لا غير في هذا القول، وقيل: إن "جزاؤه" الأول مبتدأ، و"من" ابتداء ثان، وهو شرط أو معنى الذي، و"فهو جزاؤه" خبر الثاني، والثاني وخبره خبر عن الأول.

و"جزاؤه" الثاني يعود على الابتداء الأول، لأنه موضع المضمر، كأنك قلت: هو هو كذلك، أي مثل ذلك الجزاء نجزي السارقين.

قوله عز وجل:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ * قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ * فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[الآيات: ٧٦-٨٠].

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا﴾ أي مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف، عن ابن عباس: أي ألهمنا يوسف هذا الكيد، ﴿دِينِ الْمَلِكِ﴾ سيرته وما يدين به، عن ابن عباس كان حكم الملك أن من سرق شيئا ضاعف عليه الغرم ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ موضع "أن" نصب، المعنى: إلا بأن يشاء الله، وبمشيئة الله، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ قرأ الكوفيون بتنوين "درجات"، ويكون "من" في موضع نصب بــ"نرفع"، وحرف الجر محذوف مع "درجات"، تقديره: نرفع من نشاء إلى درجات، ومن لم ينون "درجات" نصبها بــ"نرفع"، وأضافها إلى "من".

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ عن الحسن: ليس عالم إلا فوقه عالم، حتى ينتهي العلم إلى الله ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يعنون يوسف، عن ابن عباس: كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرا منهم، فيتصدق به من المجاعة، وقيل: كان غلاما صغيرا مع أمه عند خالته، فدخل كنيسة لهم، فأخذ تمثالاً صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه وألقاه، وقيل:خبأت جدته في ثيابه، مِنْطَقَة إسحاق لتملكه بالسَّرَق محبة لمقامه عندها.

و"سرق" فعل ماض محكي تقديره ﴿**فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ**﴾ إذ لا يجوز أن يقطعوا بالسرق على يوسف، إنما حكوا أمرًا قد قيل، ولم يقطعوا بذلك، ﴿**فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ**﴾ أي: أضمر الكلمة في نفسه، ولم يبدها لهم، وهذا إضمار على شريطة التفسير، لأن قوله: ﴿**قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا**﴾ بدل من "ها" في "أسرها" المعنى: فأسر يوسف في نفسه قوله: أنتم شر مكانا، ﴿**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ أي: الله أعلم أسرق أخ له أم لا؟.

قوله: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ أي ممن يحسن ولا يعامل بالتحديد في واجب ﴿**مَعَاذَ اللهِ**﴾ أي: أعوذ بالله ﴿**أَن نَّأْخُذَ**﴾ وموضع "أن" نصب، المعنى: من أخذ أحد، ﴿**إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ**﴾ أي: إذا أخذنا بريئا فنحن ظالمون.

﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ**﴾ أي يئسوا منه ﴿**خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾ "نجيا" نصب على الحال من المضمر في ﴿**خَلَصُوا**﴾ وهذا واحد يؤدي عن الجمع، أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم متناجين فيما يعلمون، وجمع "نَجِيّ" أَنْجِيَة.

فــ﴿**قَالَ كَبِيرُهُمْ**﴾ عن قتادة هو "روبيل"، وكان أكبرهم سنا، وعن مجاهد: كبيرهم في العقل وهو "شمعون" وقيل "يهوذا" ﴿**أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ**﴾ الآية، ﴿**وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ**﴾ أي قصرتم.

وفي موضع "ما" ثلاثة أوجه، الأول نصب: بــ"تعلموا" كأنه قال: ألم تعلموا تفريطكم في يوسف؟ والثاني: رفع بالابتداء، وخبره "من قبل"، كأنه: ومن قبل، هذا تفريطكم في يوسف، الثالث: أي تكون صلة لا موضع لها، كأنه: ومن قبل فرطتم في يوسف.

﴿**فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ**﴾ أي: أرض مصر ﴿**حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي**﴾ في الأوبة، ﴿**أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي**﴾ أي يقضي في أمري شيئا، ﴿**أَوْ يَحْكُمَ**﴾ عطف على ﴿**يَأْذَنَ**﴾ ويجوز أن يكون على الجواب، المعنى: إلا أن يحكم الله لي.

قوله عز وجل:

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[الآيات: ٨١-٨٣].

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ حيث رأينا الصواع قد استخرجت من وعائه، **﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾** حين أعطيناك الموثق: لنأتينك به، أي لم نعلم أنه سرق فيؤخذ، **﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** فيما خبرناك، و**﴿سَوَّلَتْ﴾** أي زينت **﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾** يوسف وبنيامين وروبيل، **﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾** شدة حزني، **﴿الْحَكِيمُ﴾** في صنعه وتدبيره لخلقه.

قوله عز وجل:

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[الآيات: ٨٤-٨٧].

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي علاهما بياض **﴿مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** مثل كاظم، وهو الممسك على حزنه لا يظهره ولا يشكوه، **﴿قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾** أي لا تزال تذكره، يقال: فتئ يفتأ فتئا وفتوءا، وجاز إضمار "لا" للإيجاز من غير أن يلتبس بالإيجاب: إذا كان الإيجاب لابد فيه من اللام والنون، **﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾** أي حتى تهرم، وقيل: حتى تكون فاسد لا عقل لك، وقيل: حتى تذوب غما فتقارب الهلاك.

وحرض: لا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر، وأصله فساد الجسم والعقل والبث:

الحزن، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ عن ابن عباس: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأجده، وقيل: أعلم من إحسان الله إلى ما يوجب حسن ظني به، ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾ أي تعرفوا حالهما، و﴿رَّوْحِ اللهِ﴾ فرجه، وقيل: رحمته.

قوله عز وجل:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الآيات: ٨٨-٩٠].

مزجاة: رديئة لا تؤخذ إلا بوكس، وقيل: كاسدة غير نافعة، وقيل: قليلة، وهي في اللغة: الشيء الذي يدافع به، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ أي: أفضل علينا بما بين البضاعة وبين ثمن الطعام ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يقال: إنهم عرضوا بنيامين للغم بانفراده عن أخيه لأبيه مع جفائهم به، حتى لا يمكنه أن يكلم واحد منهم إلا كلام الذليل العزيز، ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أي آثمون، وقيل: أراد جهالة الصبا لا جهالة المعاصي.

وقرأ ابن كثير: ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾ على الخبر، والباقون على الاستفهام وحجة القراءة الأولى أنهم لو استفهموا لقال لهم في الجواب: "نعم" وإنما أرادوا تحقيق ما كان في حكم المجحود، فقال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ لأجل ذلك، وحجة القراءة الثانية: أن هذا موضع استبصار، كما تقول أنت صاحبنا منذ اليوم، أنت الرامينا منذ الليلة، فدخل ألف الاستفهام استثباتًا، وقوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ دال على أنهم استثبتوه فثبتهم، ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ أي أنعم، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ﴾ أي يتق الله ويصبر على المصائب، وعن المعاصي، وقيل: يتق الزنا، ويصبر على الغربة، فإن الله لا يبطل ثواب المحسنين.

وقرأ ابن كثير بإثبات الياء والباقون بحذفها، فمن قرأ بالياء فلأن مجازه أنه جعل

"من" بمعنى "الذي" فرفع "يتقي" لأنه صلة لـــ"من"، وعطف "ويصبر" على معنى الكلام؛ لأن "من" وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ولذلك تدخل الفاء في خبرها في أكثر المواضع، فلما كان فيها معنى الشرط عطف "ويصبر" على ذلك المعنى فجزمه، كما قال: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ حملا على معنى ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لأنه بمعنى "صدق" مجزومًا، لأنه جواب التمني، وقد قيل: إن من في هذه القراءة للشرط والضمة مقدرة في الياء "من يتقي" حذفه للجزم، كما قال[1]:

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بني زياد؟

وفي هذا ضعف؛ لأن أكثر ما يجيء هذا التقدير في الشعر، ومن قرأ بغير ياء - وهو الاختيار - فلأن اللغة المعروفة حذف الياء في مثل ذلك، وبه نـــزل القرآن قال: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾[2] في نظائر كثيرة كذلك.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الآيات: ٩١-٩٣].

﴿**لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ**﴾ أي لا بأس عليكم ﴿**الْيَوْمَ**﴾ بما سلف منكم؛ وقيل: لا تقتير عليكم، وقيل: لا إفساد، ولا يجوز أن يكون العامل في "اليوم" لا تثريب؛ لأنه يصير من تمامه، وقد بني "تثريب" على الفتح، ولا يجوز بناء الاسم قبل تمامه، ولكن تنصب "اليوم" على الظروف، وتجعله خبر لـــ"تثريب" و"عليكم" صفة لتثريب، و"على" متعلقة بمضمر هو صفة - في الأصل - تثريب، تقديره: لا تثريب ثابت عليكم اليوم على الاستقرار، ويجوز أن يكون نصب "اليوم" بعليكم، وتضمر خبر لتثريب، لأن "عليكم" وما عملت فيه صفة لتثريب، ويجوز أن تجعل عليكم بمنـــزلة

(١) البيت منسوب لقيس بن زهير، انظر: أمالي ابن الشجري ١: ٨٤.

(٢) سورة طه: آية ٧٤.

خبر تثريب، وتنصب "اليوم" بعليكم، والناصب لليوم في الأصل هو ما تعلقت به على المحذوف.

﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ دعاء لهم بأن يغفر ذنبهم ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ قيل: لأنه كان من الجنة، وليس شيء من الجنة يلقى على شيء إلا حيي وبرأ ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقيل: كان أهل يعقوب حين قدموا مصر ثلاثة وتسعين من بين رجل وامرأة.

قوله عز وجل:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون * قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الآيات: ٩٤-٩٨].

﴿فَصَلَتِ﴾ أي قطعت بالمجاوزة من مصر، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي قال لمن عنده من ولده: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ يروى أن ذلك كان من مسيرة ثماني ليال ﴿لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قيل: تسفهون، وقيل: تهرمون وتعجزون وتكذبون، ﴿لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾ من حب يوسف.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ "أن" تزاد مع "لما، وحتى" للتوكيد، و﴿بَصِيرًا﴾ نصب على الحال، أي: عاد ذا بصر، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من صحة رؤيا يوسف، وقيل: من رحمة الله ورأفته بأوليائه، قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: أخرهم إلى السحر ليلة الجمعة، وإنما أراد المبالغة في الاستغفار، والتعهد له وقت الإجابة.

قال عز وجل:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الآيات ٩٩-١٠١].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ يعني أباه وخالته، لأن أمه ماتت وتزوج أختها أبوه، فأقامها مقام أمه، وقيل: بل كانت أمه تحيا، وإياها عنى، **﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾** في أمن، وقيل: خرج يستقبل يعقوب، فلما رجع قال ذلك، والعرش يراد به السرير **﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾** **﴿سُجَّدًا﴾** حال من المضمر في "خروا"، وقيل: كانت تحية الملوك السجود، وقيل: كأنه أراد أنهم سجدوا تكرمة له وعبادة لله تعالى أنهم فعلوا ذلك شكرا لله عند قبول توبتهم.

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ عن الحسن: كانت المدة بين الرؤيا وتأويلها ثمانين سنة، وقيل: أربعين سنة، **﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾** أي صدقا **﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾** أي أنعم علي، **﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾** عن ابن عباس: من فلسطين، وعن قتادة: كانوا بأرض كنعان أهل مواش وبرية، **﴿نَّزَغَ الشَّيْطَانُ﴾** أي دخل بالحسد بيني وبين إخوتي، **﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾** أي لطيف ليوسف حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، **﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾** بخلقه **﴿الْحَكِيمُ﴾** في صنعه **﴿أَنتَ وَلِيِّي﴾** أي ناصري، **﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾** أي أمتني على الإسلام **﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** أي بمراتبهم من رحمتك وغفرانك.

و"من" في قوله: **﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾** يجوز أن تكون للتبعيض، أي آتيتني بعض

الملك، وعلمتني بعض التأويل، ويجوز أن تكون لتخليص الجنس، أي آتيتني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث.

وفيما ينتصب "فاطر" وجهان: أحدهما على الصفة لقوله:"رب"، لأنه نداء مضاف في موضع نصب، والآخر على نداء ثان.

قوله عز وجل:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ❋ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ❋ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ❋ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[الآيات: ١٠٣- ١٠٦].

﴿ذَلِكَ﴾ أي الذي قصصنا عليك من الأخبار التي كانت غائبة عنك دلالة على إثبات نبوتك، وموضع "ذلك" رفع بالابتداء، و**﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾** الخبر، و**﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾** خبر ثان، **﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾** أي عزموا عليه، **﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾** بيوسف، **﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾** أي على أن تهديهم، عن ابن عباس: أراد قومه، **﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾** أي على القرآن وتلاوته، وقيل: على الإيمان والدخول فيه، **﴿مِنْ أَجْرٍ﴾** أي مال يعطونكه، **﴿إِنْ هُوَ﴾** أي ما هو إلا وعظ لمن بعثت إليه، **﴿وَكَأَيِّن﴾** أي كم من آية، عن الحسن: من الآيات إهلاك من أهلك من الأمم، **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾** في إقراره بأن الله خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكتاب، معهم شرك وإيمان.

قوله عز وجل:

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[الآيات: ١٠٧-١٠٩].

﴿غَاشِيَةٌ﴾ أي ما يغمرهم من العذاب، و﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بها و﴿سَبِيلِي﴾ أي ديني ودعوتي، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي يقين، و﴿أَنَا﴾ توكيد لـــ"ما" في أدعو على بصيرة، ويجوز أن يكون "على بصيرة أنا" جملة غير متصلة بالكلام الأول، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ عن ابن عباس: يريد فيهم امرأة، وعن قتادة: من أهل الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم من أهل البادية، وقرأ حفص ﴿نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ بالنون وكسر الحاء في كل القرآن، والباقون بالياء وفتح في كل القرآن فمن قرأ بالنون فلقربه من قوله: ﴿أرسلنا﴾، ومن قرأ بالياء فلأن لفظ ما لم يسم فاعله يحتوي على معنى ما تقدمه من الكلام وعلى غيره.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالشام واليمن فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الذين كذبوا رسل الله، و"دار الآخرة" الجنة، و﴿اتَّقَوْا﴾ أي وحدوا الله واتقوا الشرك، قال الفراء: أضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة، وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، وقال غيره التقدير: ولدار الآخرة، لأن الناس حالين: حال الدنيا وحال الآخرة، وقيل: إنه من إضافة الموصوف إلى صفته، لأن الدار وصفت بالآخرة، كما قال في موضع آخر: ﴿الدار الآخرة﴾[1] على الصفة.

---

(١) سورة البقرة: آية ٩٤، سورة القصص: آية٧٧، ٨٣.

قوله عز وجل:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الآيات ١١٠-١١١].

﴿اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ أي يئسوا من إيمان قومهم، وقرأ أهل الكوفة: **﴿كُذِبُوا﴾** بالتخفيف والباقون بالتشديد، فمن قرأ بهذه القراءة جعل **﴿وَظَنُّوا﴾** فعلا للرسل، ويكون الظن بمعنى اليقين، المعنى: وأيقنوا أن قومهم كذبوهم، وفيه وجه آخر وهو أن يكون المعنى: وظن الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، ومن قرأ بالقراءة الأولى جعل **﴿وَظَنُّوا﴾** فعلا للمرسل إليهم، التقدير: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي أخلفوا ما وعدوا به من النصر، وفيه وجه آخر: أن يكون المعنى: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبتهم، وعن ابن عباس أنه قال: كانوا بشرا، يعني أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا، وأنه تلا: **﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾**(١).

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ أي من العذاب، وقرأ ابن عامر: فنجي: بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقون **﴿فننجي﴾** بنونين وتخفيف الجيم وإسكان الياء، فمن قرأ بالتشديد فبمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، ويكون "من" رفعًا ويعلم بالمعنى أن الله نجاهم، وحجته أنه مكتوب في المصحف بنون واحدة.

ومن قرأ بالتخفيف فعلى الاستقبال، والنون الأولى نون الاستقبال، والثانية هي الأصلية، إلا أنها خفيت للغنة، فحذفت خطأ، وتكون "من" نصبا.

﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي عذابنا عن القوم المكذبين، **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾** أي فيما قصصناه من حديث يعقوب وبنيه معتبرا لذوي العقول، وانتصب **﴿تَصْدِيقَ﴾** على

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٤.

خبر كان مضمرة، تقديره: ولكن ذلك تصديق الذي تقدمه من الكتب، ويقال: إنما قيل لما قبله من "بين يديه"؛ لأنه قد وجد، فكأنه حاضر له، وقيل: لأنه قريب منه كقرب ما بين يدي الإنسان.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي تبين كل شيء من الحلال والحرام.

فأما الياءات، فقرأ ابن كثير: ﴿حَتَّى تُؤْتُونِي﴾ بالياء في الوصل والوقف، وقرأ أبو عمرو بالياء في الوصل دون الوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والوقف، قرأ ابن كثير ونافع: ﴿لَيَحْزُنُنِي أَن﴾ بفتح الياء، والباقون بالإسكان.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿رَبِّي أَحْسَنَ﴾ ﴿أَرَانِي أَعْصِرُ﴾ ﴿أَرَانِي أَحْمِلُ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ ﴿أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ﴾ ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ بفتح الياء فيهن، والباقون بالإسكان.

وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿إني أراني﴾، ﴿وربي﴾، و﴿ما أبرئ نفسي﴾، ﴿إن ربي﴾ ﴿إنه ربي﴾، ﴿وقد أحسن بي إذ﴾، بفتح الياء فيهن، والباقون بالإسكان.

وقرأ أهل الكوفة: ﴿آبائي إبراهيم﴾، ﴿لعلي أرجع﴾ بإسكان الياء فيهما، والباقون بالفتح.

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿وحزني إلى الله﴾ بفتح الياء، والباقون بالإسكان، وقرأ نافع وحده: ﴿أني أوفي الكيل﴾، و﴿سبيلي أدعو﴾ بفتح الياء فيهما.

سورة الرعد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر تلْكَ آيَاتُ الْكتَاب وَالَّذي أُنــزلَ إلَيْكَ من رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمنُونَ * اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَاوَات بغَيْرِ عَمَد تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَات لَعَلَّكُمْ بلقَاء رَبِّكُمْ تُوقنُونَ﴾[الآيات: ١-٢].

﴿تلْكَ﴾ أي: هذه آيات الكتاب، أي القرآن، أو أن يراد آيات الكتاب التي تقدمت صفتها، وعن مجاهد وقتادة يعني به التوراة والإنجيل، كأنه قيل: الذي أنــزل قبل القرآن آيات الكتاب، **﴿وَالَّذي أُنــزلَ إلَيْكَ من رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾** و(الذي) في موضع رفع على العطف على آيات أو على إضمار هو و(الحق) نعت للذي، ويجوز أن يكون (الذي) رفعا على الابتداء وخبره (الحق)، ويجوز أن يكون (الذي) في موضع جر على العطف على الكتاب ويكون (الحق) رفعا على إضمار مبتدأ.

﴿وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ عامة أهل مكة، **﴿بغَيْرِ عَمَدٍ﴾** أي لا أعمدة لها تستقل بها، **﴿تَرَوْنَهَا﴾** أي تشاهدونها بغير عمد، لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر، وقيل: ترونها، من نعت العمد، أي بغير عمد مرئية، ويكون المعنى أن ثم عمدا، ولكن لا يرى، ويجوز أن يكون (ترونها) في موضع نصب على الحال من السموات، والمعنى أن ليس ثم عمد البتة، ويجوز أن يكون (ترونها) لا موضع له من الإعراب على معنى وأنتم ترونها، ولا يكون أيضا ثم عمد.

وقال الفراء: العرب قد تقدم الحجة من آخر الكلمة إلى أولها فيكون جائزًا أن يريد أن التقدير: خلقها بعمد لا ترونها البتة، أي ترون تلك العمد، قال وأنشدني بعضهم:

إذا أعجبتك الدهر حال من امرئ فــدعــه وواكــل حاله والليالیا

يجين على مــا كــان من صالح به وإن كان فيما لا يرى الناس آليا

معناه: وإن كان فيما يرى الناس لا يألو، وقال آخر:

ولا أراهـا تـزال ظـالمة تحدث لي نـكبـة وتنكـؤها

معناها أراها لا تزال ظالمة.

﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ أي ذللها، وكل مقهور لا يملك التخلص من القهر فهو مسخر، أي كل واحد منهما يسير بمقدار ومدة معلومة، وقيل الأجل المسمى يوم القيامة، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ أي يقضيه بحكمته ويبين الآيات لعلكم توقنون بالبعث؛ لأنهم كانوا يجحدون فبين الآيات التي تدلهم على قدرته عليه من السموات، ثم دلهم بآيات الأرض.

قال عز وجل:

﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[الآيات: ٣-٤].

﴿**مَدَّ الأَرْضَ**﴾ أي: بسطها عرضا وطولا، وذلك أنها كانت مدورة، والرواسي والجبال الثابتة، ﴿**جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ**﴾ أي ضربين ونوعين، وقيل: يريد لونين حلوا وحامضا، ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾ أي: يلبس الليل فتظلم الأرض بعد إضاءتها، ﴿**قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ**﴾ يقول: إنها تتجاور وفيها اختلاف، هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تخرج شيئا.

وعن قتادة قال: قرئ متجاورات قريب بعضها من بعض، والصنوان من النخل والنخلات يكون أصلهن واحد، ﴿**وغَيْرُ صِنْوَانٍ**﴾ متفرق الأصول، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص: ﴿**وزرع ونخيل**﴾ بالرفع وكذلك جميع ما عطف عليه، وقرأ الباقون جميع ذلك بالجر.

فمن قرأ بالرفع فعلى العطف على جنات واختار ذلك؛ لأن الجنات لا تكون

من زرع، ومن قرأ بالجر فبالعطف على الأعناب على أن معنى ذلك الإخبار عما في الجنان من الأشجار والزرع، وقوله: ﴿في الأكل﴾ أي: في الثمر الذي يؤكل.

وقرأ ابن عامر وعاصم يسقى بالياء، والباقون بالتاء فمن قرأ بالتاء ذهب إلى تأنيث الجنات وما بعدها، ويؤيده قوله: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ﴾.

ومن قرأ بالياء ذهب إلى النبت، ذلك كله يسقى بماء واحد، وأكله مختلف حامض وحلو، وفي هذا آية، ومثله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[1].

وقرأ حمزة والكسائي ويفضل بالياء، وقرأ الباقون بالنون.

فمن قرأ بالياء ردها إلى قوله: ﴿يغشي الليل النهار﴾ إذا كانت في سياقه.

ومن قرأ بالنون فعلى الاستئناف من الله تعالى بالخبر عن نفسه، لانفصال الكلام عما تقدمه.

قوله عز وجل:

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الآيات: ٥-٦].

أي: هذا موضع عجب أنهم أنكروا البعث وقد بين لهم ما يدل على قدرته عليه، والعامل في إذا فعل محذوف دل عليه معنى الكلام تقديره: أنبعث إذا، ومن قرأ على لفظ الخبر، كان تقديره: لانبعث إذا كنا، لأنهم أنكروا البعث فدل إنكارهم على هذا الحذف ولا يجوز أن يعمل كنا في إذا، لأن القوم لم ينكروا كونهم ترابا إنما أنكروا البعث بعد كونهم ترابا، ولا بد من إضمار يعمل في إذا، إذ به يتم المعنى، وقيل لا يعمل كنا في إذا، لأن إذا مضافة إلى كنا، والمضاف لا يعمل في المضاف إليه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بربهم يعني: أن المستفهم عن ذلك بعد البرهان على

(١) سورة يس: آية ٣٤.

جهة الإنكار كافر، أولئك الأغلال والسلاسل في أعناقهم، وقيل:أغلالهم أعمالهم كقولك: هذا غل في عنقك للعمل السيئ أي هو لازم لك وأنت مجازى عليه بالعذاب.

﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ أي: بالعقوبة قبل العافية، وقيل: ما يسوءهم من العذاب قبل الإحسان بالأنظار، و﴿**الْمَثُلاَتُ**﴾ العقوبات في غيرهم ممن مضى، وأصل المثلة الشبه والنظير، ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ زعم قوم أنه منسوخ بقوله ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ وآخرون أنه غير منسوخ ومعناه: إن ربك لذو مغفرة للناس على ذنوبهم التي هي دون الشرك، وعن ابن عباس يقول: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإن ربك لشديد العقاب لمن أصر على الشرك.

قوله عز وجل:

﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ* اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[الآيات: ٧-٩].

أي: هلا أنــزل عليه آية من ربه على ما يقترحونه، ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ أي: نبي يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يقترحونه، وقيل:الهادي هو الله تعالى، وعن أبي العالية: الهادي القائد، والقائد الإمام، والإمام العمل، وقيل إمام يتبعونه إما بحق وإما بباطل، وعن بعضهم أن قوله:﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ**﴾ منسوخ بآية السيف وكذلك قوله ﴿**إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ**﴾.

وعن آخرين أنه غير منسوخ؛ لأنه خبر فلا يتوجه نحوه النسخ.

و﴿**هَادٍ**﴾ ابتداء وما قبله خبره وهو لكل قوم، واللام متعلقة بالاستقرار وبالثبات، ويجوز أن يكون هاد عطفًا على منذر فتكون اللام متعلقة بمنذر وبهاد تقديره: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم.

﴿**اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى**﴾ أذكر هو أم أنثى، وواحد أم اثنان.

﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ الغيض النقصان يقول: ما ينقص من التسعة الأشهر التي هي وقت الحمل وما يزيد على التسعة، وقيل ما نقص عن أن يتم حتى يموت وما زاد حتى يتم الحمل، وقيل ما ينقص الأرحام من الدم عند الولادة و(ما) إن جعلتها بمعنى الذي كانت في موضع نصب بيعلم والهاء محذوفة من يحمل، تقديره: يحمله، وإن جعلت (ما) استفهاما كانت في وضع رفع بالابتداء ويحمل خبره، وتقديرها محذوفة، والجملة في موضع نصب بيعلم، وفيه بُعد لحذف الهاء من الخبر، وأكثر ما يجوز في الشعر، والأحسن أن تكون (ما) في موضع نصب بيحمل.

"المقدار" أي: في الرزق والأجل، وقيل جميع ما يعلم الله على مقدار من غير زيادة ولا نقصان، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ما غاب علمه عن المخلوقين وما شهد، وعن الحسن الغيب السر والشهادة العلانية.

قوله عز وجل:

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[الآيات: ١٠-١١].

﴿مَّنْ﴾ رفع بالابتداء، و﴿سَوَاءٌ﴾ خبر مقدم، والتقدير: ذو سواء منكم من أسر، ويجوز أن يكون بمعنى مستو فلا يحتاج إلى تقدير حذف، ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ مستقر بالليل، وسارب ظاهر في سربه أي طريقه، يقول الظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات، والجاهر منطقه والمضمر في نفسه علم الله فيهم سواء ذكره الزجاج.

﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ أي: ملائكة يعقبون يأتي بعضهم بعقب بعض، وجاز معقبات في المذكر على ملائكة معقبة ثم جمعت معقبات، ومنه رجالات قريش وابناوات سعد، وقيل هم الأمراء والولاة، والضمير في له يعود على (من) في أسر القول، وقيل على اسم الله تعالى في عالم الغيب، وقيل: على المعنى في إنما أنت منذر.

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي: بأمر الله وهو كما تقول: جئتك من دعائك

إياي أي بدعائك إياي، وعن مجاهد الحفظة من أمر الله فيكون على التقديم والتأخير كأنه قال: له معقبات من أمر الله يحفظونه، وقيل: المعنى حفظهم إياه من أمر الله أي: مما أمرهم الله بذلك، إن الله لا يغير ما بقوم أي: لا يسلب قوما نعمة حتى يعملوا بمعاصيه، يقال: عني به أهل مكة.

قوله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ * لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾[الآيات: ١٢-١٤].

أي: يظهر لكم البرق فتنظرون إليه خوفًا وطمعًا مصدران أي خوفا للمسافرين من أذاه وطمعا للمقيم في رزقه، وقيل: خوفا من الصواعق التي تكون معه وطمعًا في الغيث الذي يزول به القحط، وقيل: خوفا لمن يخاف ضر المضطر، لأنه ليس كل بلد ينتفع بالمطر فيه، وطمعا لمن يرجوا الانتفاع به، و﴿**السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ التي ثقلت بالماء، و﴿**الرَّعْدُ**﴾ قيل: هو ملك وصوته تسبيح فيسوق السحاب كالحادي يحدو بالإبل، وقيل: هو ريح والأشياء كلها تسبح بحمد الله كما قال ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ وإنما خص ذكر الرعد لعظم صوته، ﴿**وَالْمَلاَئِكَةُ**﴾ أي: وتسبح الملائكة من خيفته، وهم يجادلون في الله، جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو: من در من ياقوت؟

فجاءت صاعقة فأحرقته، وقيل: إن أربد أخو لبيد قال: أخبروني عن الله أمن حديد أم من نحاس؟ فأنـــزل الله صاعقة فأحرقته، فتكون الواو على هذا واو حال، والمعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله، وجائز أن يكون لما بين ما يدل على توحيده وقدرته على البعض، قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله، ﴿**وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ أي: الكيد والمكر، ويقال شديد القدرة يقال: ما حلت فلانا إذا قاومته

حتى يتبين أيكما أشد، والمحال الشدة، وقيل شديد الأخذ بالعقاب ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

استجب له، والذين يدعون من دونه، يعني الأصنام لا تستجيب لهم إلا كما يستجاب الذي بسط كفيه إلى الماء يدعوه إلى فيه، والماء لا يستجيب وما دعاء الكافرين الأصنام إلا في ضلال، لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر.

قوله عز وجل:

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا وظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الآيات: ١٥-١٦].

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ﴾ أي: يستسلم له من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من المؤمنين طوعا، ويستسلم من في الأرض من الكافرين كرها من خوف السيف، وظلالهم مستسلمة وهو مثل قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[1] وقيل: كل شخص وظله بالغداة والعشي يسجد وهو قوله تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ أي: فإن قالوا: فمن هو؟ قل الله، ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ تقول: كيف تسوون بين الله وبين الأحجار؟ وكيف تسوون بين الظلمات والنور، والظلمات الكفر والنور والإيمان؟.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿يستوي﴾ بالياء، والباقون بالتاء.

فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الظلمات، ومن قرأ بالياء فلأن الظلمات بمعنى الظلام، فتشابه الخلق عليهم أي: هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله من خلق

(١) سورة آل عمران: آية ٨٣.

غيره؟ قل: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا نظير له، القهار أي الغالب ذو القهر.

قوله عز وجل:

﴿أَنـــزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[الآيات: ١٧-١٨].

قوله: **﴿بِقَدَرِهَا﴾** أي على قدرها في الصغر والكبر، **﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾** أي ومن الذي يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو ابتغاء متاع، **﴿زَبَدٌ﴾** أي: خبث يعلوه مثله أي: مثل زبد الماء، و**﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾** ابتداء وخبر.

وقال الكسائي: **﴿زَبَدٌ﴾** مبتدأ مثله نعته، والخبر ومما توقدون الجملة، والذي توقد عليه ابتغاء حلية الذهب والفضة، والذي توقدون ابتغاء أمتعة الحديد والصفر والنحاس والرصاص، **﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾** أي: مثل الحق ومثل الباطل، فأما الزبد من زبد الماء، والزبد من خبث الحديد والصفر والنحاس، فيذهب جفاء أي: لا ينتفع به والجفاء ما جفاه الوادي أي ما رمى به، وأما ما ينفع الناس من الماء والفضة والذهب والحديد وما تقدم ذكره فيمكث في الأرض.

فمثل المؤمن في اعتقاده ونفع الإيمان كمثل الماء الذي ينتفع به نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذكرت، لأنها كلها تبقى منتفعا بها، ومثل الكافر في كفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء أو كمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة الذي لا ينتفع به.

وقال قوم: الماء مثل القرآن والأودية مثل لقلوب العباد، قبلته القلوب بأقدارها

وأهوائها، والذي يذهب لا ينتفع به مثل الكافر وكفره، و(ابتغاء) نصب مفعول له، وموضع لذلك نصب، و﴿**جُفَاءً**﴾ نصب على الحال من المضمر في يذهب وهو ضمير الزبد.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿**يوقدون**﴾ بالياء والباقون بالتاء.

فمن قرأ بالياء رده على قوله ﴿**جعلوا لله شركاء**﴾.

ومن قرأ بالتاء رده على المخاطبة من قوله ﴿**قل أفاتخذتم من دونه أولياء، للذين استجابوا لربهم الحسنى**﴾، أي: الجنة، ﴿**والذين لم يستجيبوا له أولئك لهم سوء الحساب**﴾ أي: يستقصي حسابهم، ولا يتجاوز لهم عن شيء من سيئاتهم، ومأواهم جهنم وبئس المهاد، أي بئس ما مهدوا لأنفسهم النار، أي وطنوا أنفسهم عليها.

قوله عز وجل:

﴿**أَفَمَن يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنــزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[الآيات: ١٩-٢٤].

﴿**كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾ أي: كمن جهل دينه وهو كالأعمى لحيرته، إنما يتعظ ذوو العقول، ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ**﴾ عن ابن عباس: هم الذين عوهدوا لما خرجوا من صلب آدم وفي تفسير الكلبي: الفرائض التي فرضها الله عليهم، ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ**﴾ عن ابن عباس: هو الإيمان بالأنبياء، وقيل: يريد صلة الأرحام، وسوء الحساب، والذين صبروا على ما أمروا به من الطاعة وعما نهوا عنه من

المعصية، و﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون بالحلم السفه كأنهم إذا سفه عليهم حلموا، وعن ابن عباس الحسنة لا إله إلا الله، والسيئة الشرك، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي عاقبة الدار، و﴿جَنَّاتُ﴾ بدل من عقبى، المعنى أولئك لهم جنات عدن، و﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ في موضع نصب مفعول معه، أو في موضع رفع على العطف على أولئك، أو على العطف على المضمر المرفوع بغير تأكيد لأجل ضمير المنصوب الذي حال بينهما، فقام مقام التأكيد، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب بالتحية والكرامة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ أي: يقولون: سلام عليكم فأضمر. لأن في الكلام دليلا عليه ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي هذه الكرامة لكم بما صبرتم، وقيل: المعنى سلمكم الله بما صبرتم ومعنى (ما) المصدرية كأنه قيل: بصبركم، وقيل: يكون بمعنى الذي كأنه قيل: الذي صبرتم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي الجنة.

قوله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنـــزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[الآيات: ٢٥-٢٩].

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي، و﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ شدة عذاب الآخرة، ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي: يوسعه لمن يشاء بسط الرزق له ويقدر أي: يضيق على من يشاء، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه من عرض الدنيا وما عرض الدنيا في نعيم الآخرة إلا تمتيع قليل.

وقوله: ﴿لَوْلاَ أُنـــزِلَ﴾ أي هلا أنـــزل عليه دلالة ومعجزة من ربه.

وقوله: ﴿تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ يقال: وصفت قلوبهم بالطمأنينة بذكر الله

مع وصفها في آية أخرى بالوجل من ذكر الله، لأن الأول يذكر ثوابه وإنعامه، والثاني يذكر عذابه وانتقامه، وقيل: معنى الطمأنينة هنا الإيقان وتطمين لفظ المستقبل.

والذي تقدمه لفظ الماضي، لأن الطمأنينة منهم كالدائم كأنك قلت: الذين آمنوا ومن شأنهم طمأنينة قلوبهم بذكر الله، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي تسكن وتوقن، ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ قيل: هي شجرة في الجنة، وقيل: حسنى لهم، وقيل: نعم لهم، وقيل: غبطة لهم وكرامة لهم من الله، وقيل: طوبى اسم للجنة بالهندية.

فهي فُعْلى عند النحويين من الطيب، والأصل: طيبـــى، فانقلبت الياء واوًا لانضمام ما قبلها.

والمعنى: العيش الطيب لهم، ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي مرجع، يرجعون إلى الكرامة التي أعطاهم الله.

و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ابتداء، و﴿طُوبَى﴾ ابتداء ثان، و﴿لَهُمْ﴾ خبر طوبى، والجملة خبر عن ﴿الذين﴾.

ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب على البدل من (من) أو على إضمار أعني، ويجوز أن يكون ﴿طُوبَى﴾ في موضع نصب على إضمار جعل لهم طوبى، وينصب حسن مآب ولم يقرأ به.

قوله عز وجل:

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الآية: ٣٠].

يريد كما أرسلنا الأنبياء قبلك في أمة قد مضت من قبلها أمم لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك من القرآن وهم يكفرون بالرحمن بإنكارهم أمرك.

وقيل: إن مشركي قريش قالوا: أما الله فنعرفه، وأما الرحمن فلا نعرفه، فلذلك قيل: وهم يكفرون بالرحمن قل: هو ربي، الآية، ومتاب أي: توبة.

قوله عز وجل:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لله الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[الآية: ٣١].

﴿سُيِّرَتْ﴾ أي: أزيلت به الجبال عن أمكانها، أو شقت به الأرض، أو أحيي به الأموات حتى تكلمهم، وجواب (لو) متروك، لأن أمره معلوم، والمعنى: لكان هذا القرآن.

وسبب ذلك فيما روي أن المشركين سألوا النبي ﷺ أن يفسح لهم في مكة، وأن يباعد بين جبالها حتى يتخذوا منها قطائع وبساتين، وأن يحيي لهم قصبا حتى يسألوه عنه، فأعلم الله أنه لو فعل ذلك بقرآن لكان هذا القرآن.

قال الفراء: ولو شئت جعلت جوابها متقدمًا كان التقدير على هذا، ولو أن قرآنا فعل به ذلك لما آمنوا به وترك، لأن قوله: وهم يكفرون بالرحمن يقتضيه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس ونـزل عليه قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَـزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ﴾**(١). **﴿قل لله الأمر جميعا﴾**، أي الأمور كلها بيد الله، **﴿أفلم ييأس﴾**، عن ابن عباس وغيره أفلم يعلموه ويقال: إنها لغة (للنخع) وأنشدوا:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدمِ

يعني فرسا، وقيل معناه: أفلم يعلموا علما ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه، وقيل: معناه: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله أنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء الله لهدى الناس جميعا.

﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ أي: بكفرهم وإخراجهم المؤمنين من مكة، **﴿قَارِعَةٌ﴾** أي: نازلة شديدة، ويقال: هي السرية من سرايا رسول

---

(١) سورة الأنعام: آية١١١.

الله ﷺ، أو تحل القارعة، وقيل: أن تحل أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة قبل القيامة، إن الله لا يُخْلِفَ لوعده.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الآيات: ٣٢-٣٣].

﴿**أمليت**﴾ أي: أمهلتهم وأطلت لهم، ثم أخذهم بذنوبهم، فكيف كان عقوبتي لهم، ومعنى الآية تسلية النبي ﷺ.

أفمن هو قائم على ﴿**كل نفس بما كسبت**﴾ أي: يأخذها بما جنت، وأصله أن المطالب بالشيء يقوم فيه، التارك له يقعد عنه، قال الأعشى:

يقوم على الوغم في قومه فيعفو إذا شاء أو ينتقم

والجواب محذوف، والمعنى كالأصنام التي لا تقدر على نفع ولا ضر، وقد بين ذلك فيما بعد.

﴿**وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ**﴾ أي الأصنام، ﴿**قل سموهم**﴾، أي اذكروهم لنا بأسمائهم التي بها تستحويه العباد لهم، ﴿**أم تنبئونه**﴾ أي: بل أتخبرون الله بما لا يعلم في الأرض أي: بما ليس في الأرض أم بظاهر من القول، أي: ظاهر اللفظ باطل في الحقيقة.

﴿**بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: زين لهم الشيطان ما أجمعوا عليه في دار الندوة من الوقوع برسول الله، وقرأ أهل الكوفة صُدوا بضم الصاد، والباقون بفتحها وكذلك الاختلاف الذي في المؤمنين.

فمن قرأ بالضم فلأنه أتى عقيب ما لم يسم فاعله وهو قوله: ﴿**زين**﴾ فأجراه على ذلك، ومن قرأ بالفتح فلأنهم أجمعوا عليه في قوله: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن**

﴿سَبِيلِ اللهِ﴾[١]. فحمله عليه، ومن يضلل الله أي يخذله عن طريق الرشد فما له من مرشد.

قوله عز وجل:

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللهِ من وَاقٍ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ * وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنــزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ * وَكَذَلِكَ أَنــزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾[الآيات: ٣٤-٣٧].

﴿**لَهُمْ عَذَابٌ**﴾ أي: انتقام من الله في الدنيا، ﴿**وَلَعَذَابُ الآَخِرَةِ أَشَقُّ**﴾ أي أشد وما لهم من يقيهم من عذاب الله، ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾ مثل ابتداء عند سيبويه، والخبر محذوف تقديره: وفيما يتلى عليكم أو فيما يقص عليكم مثل الجنة.

وقال الفراء: تجري من تحتها الأنهار، والخبر محذوف تقديره: حذف مثل، وزيادتها، وإن الخبر إنما هو عما أضيف إليه مثل لاعن مثل بعينه فهو ملغي والخبر عما بعده، فكأنه قال: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، كما يقال حلية فلان أسمر على تقدير حذف الحلية أي هو أسمر، وقال الزجاج: المعنى مثل الجنة التي وعد المتقون جنة تجري من تحتها الأنهار.

﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ**﴾ أي: ثمرها لا ينقطع وظلها دائم، ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ عن ابن عباس: هم أهل الكتاب، وعن قتادة هم الصحابة.

﴿**وَمِنَ الأَحْزَابِ**﴾ أي: اليهود والنصارى والمجوس، ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ**﴾ أي لا أجعل معه شريكا، ﴿**وَكَذَلِكَ أَنــزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾ أي وكما أنــزلنا

---

(١) سورة محمد: آية١.

إلى من تقدم من الأنبياء، أنــزلنا القرآن حكمًا عربيًا، الحكم فصل الأمر على الحق، والعربي من الكلام الجاري على مذاهب العرب في كلامها.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي: عملت بما يهوى هؤلاء الكفار، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنهم على باطل، مالك من الله من يلي أمرك فيقوم به ولا يقيك من تحاذر.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۞ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۞ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[الآيات: ٣٨-٤٠].

روي أنهم قالوا: إن محمد ليتزوج بعدة نساء فنــزلت هذه الآية، ﴿وما كان لرسول﴾، أي ما قدر رسول، كما قال: ما (كان) لكم أن تنبتوا شجرها أي ما قدرتم، وآية، دلالة ومعجزة، وإذن الله مشيئته وإطلاقه، لكل أجل كتاب أي: وقت قد كتب، يمحو الله ما يشاء عن ابن عباس يقول: يبدل ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله.

﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الناسخ والمنسوخ، وقيل: يمحو من كتب الحفظة، ما تكلم به الإنسان مما ليس عليه، ويثبت ما عليه.

وقيل يريد: من أتى أجله محي، ومن لم يمض أجله أثبت، وأم الكتاب أصله وهو اللوح المحفوظ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿ويثبت﴾ بإسكان الثاء وتخفيف الباء.

وقرأ الباقون بفتح الثاء والتشديد يصلح للقليل والكثير.

فمن قرأ بالتشديد، فلأن معناه يقره ويتركه على حاله، والإثبات كأنه فعل مستأنف.

﴿إِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يقول: إن أريناك بعض ما نعدهم في حياتك أو توفيناك قبل أن نريك ذلك فليس عليك إلا أن تبلغ، وعلينا أن نجازي، وزعم قوم أنها منسوخة بآية السيف، وعن آخرين محكمة لعدم التنافي بينهما.

قوله عز وجل:

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[الآيات: ٤١-٤٣].

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ عن الحسن هو ظهور النبي ﷺ على من قاتله أرضا فأرضا وقوما، وقيل: هو موت العلماء، وقيل بنقصان ثمرها، وقيل بخرابها.

﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: لا راد لحكمه إذا حكم شيئًا، والمعقب الذي يكر على الشيء، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة، وقيل: لأنه لا يحتاج لحفظه إلى إثبات شيء وتذكره، ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي بأنبيائهم، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي هو المجازي على مكرهم.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: الكافر على التوحيد، والباقون الكفار على الجمع فمن قرأ على التوحيد فعلى أنه اسم للجنس كما قال: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾(١). قيل: عني به أبو جهل بن هشام هنا.

ومن قرأ على الجمع فلأنها في حرف ابن مسعود ﴿وسيعلم الكافرون﴾ وفي حرف أبي ﴿وسيعلم الذين كفروا﴾.

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة الجميلة، وانتصب شهيدا على البيان.

---

(١) سورة النبأ: آية ٤٠.

و﴿**بِاللَّهِ**﴾ في موضع رفع، ومعناه بما أظهره لهم من الآية وآيات لهم من الدلالة، ﴿**وَمَـــنْ عِنْدَهُ**﴾ (من) في موضع رفع عطف على قوله: (بالله) أو في موضع خفض على العطف على اللفظ.

وعن ابن عباس يعني بـــ (من) الذين آمنوا من اليهود والنصارى منهم عبد الله ابن سلام، وقيل: يعني به جبريل، وقيل: (من) يعود على الله جل ثناؤه.

فأما الياءات فقرأ ابن كثير ﴿**المتعالي**﴾[1] بالياء في الوصل والوقف والباقون بغير يـــاء في الوصل والوقف، فمن قرأ بالياء فعلى الأصل؛ لأنها موضع اللام من الفعل، وإنما تحذف في حال التنوين لالتقاء الساكنين، ومن قرأ بغير ياء فلموافقة المصحف، مع أن كسرة ما قبلها يدل عليها.

وقرأ ابن كثير ولكل قوم ﴿**هادي**﴾[2] ﴿**ووالي**﴾[3] ﴿**وواقي**﴾[4] بالياء فيهن في الوقـــف وكذلك في النحل ﴿**وما عند الله باقي**﴾[5] وفي المؤمن ﴿**من واقي**﴾ ﴿**ومن هادي**﴾؛ لأن الياء من أصل الكلمة وإنما تحذف في الوصل لأجل التنوين.

والباقون جميع ذلك بغير ياء لموافقة المصحف، وبناء الوصل على الوقف.

---

(١) سورة الرعد آية: ٩.

(٢) سورة الرعد آية: ٧.

(٣) سورة الرعد آية: ١١.

(٤) سورة الرعد آية: ٣٤.

(٥) سورة الرعد آية: ٧.

سورة إبراهيم مكية

إلا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا﴾ إلى آخر الآيتين فإنه مدني.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الآيات: ١-٤].

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من الكفر إلى الإيمان، و﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب والمنيع، و﴿الْحَمِيدِ﴾ المستحمد إلى خلقه، و﴿كِتَابٌ﴾ يرتفع على الابتداء أي هذا كتاب.

و﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ في موضع النعت للكتاب، وقيل يرتفع بقوله ﴿الر﴾ و(الباء) في بإذن متصلة بتخرج ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ تبيين لقوله ﴿إلى النور﴾.

وقرأ نافع وابن عامر اللهُ بالرفع على الاستئناف، ولانفصاله من الآية، والباقون بالجر على اتباع الحميد لجودة المعنى فيه.

و﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي شاق يتضاعف آلامه وقوته، و﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي يؤثرون، و﴿سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه و﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يطلبون غير سبيل القصد وهو مصدر في موضع الحال. وقال علي بن سليمان هو مفعول يبغون واللام محذوفة من المفعول الأول، تقديره: يبغون لها عوجا.

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: ضياع عن طريق الخير، ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ لغة

قومه، أي لغة كانت، ليبين لهم أي: ليفهمهم ويلزمهم الحجة ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ أي: يوقع في الضلال من يشاء ويرشد من يشاء، وهو الغالب المنيع في ملكه الحكيم في خلقه، ورفع ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ لأنه مستأنف ويبعد عطفه على ما قبله، لأنه يصير المعنى أن الرسول إنما أرسله الله للبيان والضلال، وقد أجاز الزجاج نصبه على أن يحمل على مثل قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[1]، لأنه لما آل أمرهم إلى الضلال مع بيان رسول لهم كأنه إنما أرسل لذلك.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[الآيات: ٥-٦].

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، و(أن) يصلح أن يكون بمعنى أي التي للتفسير، كأن المعنى قلنا له أخرج قومك، ولا يكون له موضع من الإعراب، ويصلح أن يكون موضع نصب تقديره: بأن أخرجك قومك، وهذه توصل بالأفعال إلا أنها وصلت بلفظ الأمر للمخاطبة، والمعنى معنى الخبر، كما تقول: أنت الذي فعلت، والمعنى أنت الذي فعل، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ أي: بنعم الله، وقيل: بنقمه لعاد وثمود وأشباههم، ﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾ عطف على أخرج وهو يصلح للمعنيين كقولك: خذهم بالشدة واللين، إن في ذلك لآيات لكل صبار على طاعة الله، شكور لأنعمه، إذا أنجاكم، أي: خلصكم من فرعون وأتباعه، يسومونكم، أي: يولونكم سوء العذاب، أي قبيحه وشديده، ويذبحون أبناءكم، وفي موضع آخر ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ من غير واو، كأنه تفسير لسوء العذاب، ومعنى الواو أنهم يمسهم من

---

(١) سورة القصص: آية٨.

العذاب غير ذلك، ويستحيون أي يستبقون، نساءكم، أي: بناتكم وفي إنجاء الله إياكم منهم نعمة عظيمة، وقيل: فيما كان يصنع بكم من أصناف العذاب بلاء عظيم من البلية.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[الآيات: ٧-١١].

﴿تأذن﴾ أي: أعْلَم، ومثله أوْعَدَ وتوعّدَ، **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**، أي نعمة الله عليكم، وحميد مستحمد إليهم.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ ﴾ الآية، قيل: هو خطاب لهذه الأمة ، ذكرهم الله بذلك ، وقيل: بل هو متصل بالآية التي قبله ، **﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾** أي: من الأمم ، لا يعلمهم إلا الله، عن ابن عباس لكثرتهم، وجاء في الحديث: « **كذب النسابون** » أي: لأنهم لا يعلمون من كان بعدها ولا جاءتهم رسلهم البينات ، **﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾** أي: عضوا على أناملهم تغيظا عليهم ونحو ذلك قول الشاعر:

يَرُدُّوْنَ في فيه عشر الحَسُوْد

وعن ابن عباس كانوا إذا جاءهم الرسول فقال إني رسول: قالوا له: اسكت

وأشاروا بأصابعهم في أفواه أنفسهم ردًا عليه وتكذيبا له.

وعن الحسن: جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيبا لهم، وقيل: ردوا أيدي الرسل أي: هم الرسل، في أفواههم أي بأفواههم، كما قالوا: جلست في البيت والبيت.

قالت رسلهم الذين أرسلوا إليهم: أفي الله شك فاطر السموات والأرض لا عن مثال سابق، فكأنه أريد، أفي الله شك وقد دلت هذه الدلائل؟ يدعوكم إلى طاعته ليغفر لكم ﴿**مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ عن أبي عبيدة (من) زائدة وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب، وقيل: دخلت لتدل على الرغبة في غفران بعض الذنوب، فكيف غفران الجميع، وقيل: دخلت لتضمن المغفرة معنى البدل من السيئة، ﴿**وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ أي: الموت، يقول: ولا يمتكم ميتة المستأصلين بالعذاب، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله، أي ما قدرنا أن نأتيكم، وفي معنى هذا قولان، أحدهما: أنهم طلبوا آية مخصوصة، فذكروا أن ذلك إلى الله تعالى، والثاني: أن ما أتيناكم به بإذن الله؛ لأنه مما لا يقدر عليه البشر.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[الآيات: ١٢-١٤].

﴿**وَمَا لَنَا**﴾ أي: أي شيء لنا في ترك التوكل، و(أن) في موضع نصب على حذف الجار تقديره: ما لنا في أن لا نتوكل، و(ما) استفهام في موضع الابتداء و(لنا) الخبر وما بعد لنا في موضع الحال، كما تقول: ما لك قائما، وما لك في أن لا تتوكل، وقيل: معناه وليس لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا التي في سلوكها نجاتنا، ولنصبرن على ما آذيتمونا من النصب والهزؤ.

وقرأ أبو عمرو: ﴿**سبلنا**﴾ بإسكان الباء وكذلك في العنكبوت آية: ١٢ وقرأ

الباقون بضم الباء فيهما.

فمن قرأ بالإسكان، فلأنه استثقل توالي الضمتين مع ثقل الكلمة، ومن قرأ بالضمتين فعلى الأصل؛ لأنه جمع سبيل فبابه أن يكون على (فعل) بتحريك العين، وقوله لنخرجنكم، أي لنطردنكم من بلادنا إلا أن تعودوا فيما ننتحله من ديننا.

وقال الفراء: جعل في لَتَعُودُنَّ لا ما كجواب اليمين وهو في معنى شرط، ومثله في الكلام أن تقول: والله لأضربنك أو تقر لي، فيكون معناها معنى حتى أو إلا؛ إلا أنها جاءت بحرف نسق، فمن العرب من يجعل الشرط متبعا للأول، وإن كانت في الأول لام كان في الثاني لام، وإن كان في الأول مجزوم أو منصوب نسقوه عليه، كقوله أو لتعودن في ملتنا، ومن العرب من ينصب ما بعد أو ليؤذن نصبه بالانقطاع مما قبله.

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد، أي مقامه بين يدي وما أوعدت به من عصاني.

قوله عز وجل:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ * مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [الآيات: ١٥-١٨].

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ أي: استنصر الرسل، سألوا الله أن يفتح لهم، وقيل: هو استفتاح الكفار بالبلاء، وعنيد معاند لأمر الله.

﴿مِن وَرَائِهِ﴾ أي: أمامه ووراءه يكون خلف وقدام، وإنما معناه: ما توارى عنك أي: استتر، والصديد القيئ (والدم)، أي: يسقى الصديد مكان الماء كأنه قال: يجعل ماؤه صديدا، ويجوز أن يكون على التشبيه أي يسقى ماء كأنه الصديد، **﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾** أي: يأخذه في فمه جرعا **﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾** أي يبتلعه، قال الفراء:

العرب تقول: لا يكاد فيما قد فعل، وهذا كمن يقول فهو يسيغه، وقيل معناه: لا يقاربه وإنما يضطر إلى ذلك، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ عن ابن عباس أي: يأتيه العذاب من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقيل: من كل مكان من جسده حتى أطراف شعره، وما هو بميت أي: لا يقضى عليه بالموت فيستريح ﴿وَمِن وَرَائِهِ﴾ أي: قدامه، وقيل: تقديره: ما وراء ما يعد ربه عذاب غليظ، فالهاء على القول الأول تعود على الكافر، وفي القول الثاني تعود على العذاب.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المثل رفع الابتداء، والخبر محذوف تقديره عند سيبويه وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا، وقال الكسائي: ﴿كَرَمَادٍ﴾ الخبر على حذف مضاف تقديره: مثل أعمال الذين كفروا مثل رماد هذه صفته، وقيل ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ بدل من مثل، وكرماد الخبر، وقيل: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ابتداء ثان، وكرماد خبره، والجملة خبر عن مثل.

ولو كان في الكلام لحسن خفض الأعمال على البدل من الذين وهو بدل اشتمال، وقيل: هو محمول على المعنى؛ لأن الذين هم المخبر عنهم فالقصد إلى الذين.

ومثل مفخم، والتقدير، الذين كفروا أعمالهم، (فالذين) مبتدأ، و(أعمالهم) ابتداء ثان و(كرماد) خبره والجملة خبر عن الذين، وإن شئت جعلت أعمالهم رفعًا على البدل من الذين على المعنى، وكرماد خبر الذين تقديره: أعمال الذين كفروا كرماد هذه صفته.

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: ريحه عاصف، كما تقول: مررت برجل قائم أبوه، ثم تحذف الأب إذا علم المعنى، وقيل تقديره: في يوم ذي عصوف، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يجدون لما عملوا ثوابا، ذلك هو الضلال البعيد، أي الخسران المبين.

قوله عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[الآيات: ١٩-٢١].

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ قيل معناه: أنه خلقها بقوله وكلامه الذي هو الحق وقرأ الكسائي خالق بالألف، السموات والأرض بالجر، والباقون خلق بغير ألف.

خلق السموات والأرض نصبًا إلا أن الاختلاف لا يظهر في السموات، لأن الياء فيهما غير أَصلية، فمن قرأ على فاعل فلأنها تحتوي على معنى الفعل ومعنى المدح، ومن قرأ على فعل فلأن ما جاء في القرآن منه جاء على ذلك، نحو ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾[١] من نظائر لذلك.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يميتكم ويأت من بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا، وما إذهابكم وإتيان خلق جديد على الله بممتنع، ﴿وَبَرَزُوا﴾ أي: ظهروا، أي: يبعثهم الله ويجمعهم، ﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال من المضمر في يرزق، إنا كنا لكم تبعا أي: أتبعناكم فيما دعوتمونا إليه، (وتبع) جمع تابع مثل غايب وغيب، ويجوز أن يكون مصدرا سُمي به أي: كنا ذوي تبع، والضعفاء الأتباع، والمستكبرون المتبعون، فهل أنتم مغنون عنا من العذاب من شيء، قالوا: لو أرشدنا الله لأرشدناكم.

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا﴾ أي: من العذاب أم صبرنا عليه، ما لنا مهرب ولا معدل من العذاب.

و﴿سَوَاءٌ﴾ رفع بالابتداء، و﴿أَجَزِعْنَا﴾ في موضع الخبر، وإذا وقعت ألف الاستفهام مع التسوية على ماض دخلتم أم بعدها على ماض أو على مستقبل أو على جملة نحو: ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾[٢].

(١) سورة لقمان آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف: آية١٩٣.

وإذا أدخلت الألف بعد التسوية على اسم جئت بأو بين الاسمين، نحو سواء علي أزيد عندك أو عمرو، وإن لم تدخل الاستفهام جئت بالواو بين الاسمين، نحو سواء علي زيد وعمرو.

قوله عز وجل:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الآية: ٢٢]

﴿قُضِيَ الأَمْرُ﴾: فرغ منه فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، **﴿إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾** أي: وعد من أطاعه الجنة ومن عصاه النار، وكان ذلك حقا، **﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾** فلم أف لكم وما أظهرت لكم حجة، وقيل: ما كان لي عليكم ملكة آخذكم بها إلا أن أغويتكم فاتبعتموني، وقيل زينت لكم فاتبعتم شهواتكم و(أن) في موضع نصب، استثناء ليس من الأول، وما أنا بمصرخكم أي: بمغيثكم، إني كفرت بما أشركتموني.

قال الفراء: يعني بالله فجعل (ما) في مذهب ما يؤدي عن الاسم.

وقال الزجاج: إني كفرت بشرككم أيها التباع إياي بالله.

قال الله: **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾**(١)، من قبل أي: في الدنيا، إن الظالمين أي: المشركين لهم عذاب أليم، ذكر الله تعالى أمر إبليس وما يقوله في القيامة تحذيرًا من إغوائه.

قرأ حمزة **﴿بمصرخي﴾** بكسر الياء والباقون بفتحها، فمن فتح الياء فأصلها ياءان، ياء الجمع وياء الإضافة، فتحت لالتقاء الساكنين، وأصل هذه الياء الفتحة، وإنما اسكنت استخفافا فإذا سكن ما قبلها ردت إليها حركتها التي كانت لها كقوله:

---

(١) سورة فاطر: آية١٤.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾[1] وما أشبهه.

ومن كسر الياء وهي قراءة حمزة وبها قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب، فالأصل عنده في مصرخي ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة وياء زيدت للمد كما زيد في هي؛ لأن ياء المتكلم، كهاء الغائب، وقد زادوا ياء مع تاء المؤنث حيث كانت بمنـــزلة هاء الغائب، قال الشاعر:

رَمَيْتِيه فأصبتِ وما أخطأت الرميه

ثم حذفت الياء التي للمد، وبقيت الياء المشددة مكسورة كما تحذف الياء من هي وتبقى الهاء مكسورة، وقد كان القياس استعمال ذلك لثقل الكسرة على الياء.

فالقراءة بكسر الياء فيها بُعد من جهة الاستعمال، وهي حسنة على كل الأحوال، لكن الأصل إذا طرح صار استعماله مكروهًا بعيدًا، وقد ذكر قطرب أنها لغة في بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

ماض إذا ما هَمَّ بالمُضِي

قـــال لها هل لكِ يا تافِي

قالت له ما أنت بالمرضِيِّ

قال الزجاج: وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه ولا يعرف قائله.

قوله عز وجل:

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[الآيات: ٢٣-٢٦].

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾ ابتداء وخبر، والهاء والميم يحتمل أن يكونا في تأويل

(١) سورة طه: آية١٢٣.

فاعل، أي: يحيي فيها بعضهم بعضا بالسلام، ويحتمل أن يكونا في تأويل مفعول لم يسم فاعله أي: يحيون بالسلام على معنى تحييهم الملائكة بالسلام، ولفظ الضمير الخفض؛ لإضافة المصدر إليه، والجملة في موضع نصب على الحال من الذين وهي حال مقدرة، أو حال من المضمر في خالدين ولا يكون حالا مقدرة، ويجوز أن يكون في موضع نصب على النعت لجنات، مثل تجري من تحتها.

فأما ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ فيحتمل أن يكون حالا من الذين، حالا مقدرة، ويحتمل أن تكون نعتا لجنات أيضا، ويلزم إظهار الضمير، فيقول خالدين هم فيها، وإنما ظهر؛ لأنه جرى نعتا لغير من هوله، وحسن كل ذلك؛ لأن فيه ضميرين، ضميرًا للجنات وضمير للذين، وقد مضى نظائره فيقاس عليه وما شابهه، ونصب ﴿**جَنَّاتٍ**﴾ أتى على حذف حرف الجر، وهو نادر لا يقاس عليه، تقول: دخلت الدار، وأدخلت زيد الدار، تريد في الدار، والدليل على أن دخلت لا تتعدى أن نقيضه لا يتعدى وهو خرجت، فكل فعل لا يتعدى نقيضه لا يتعدى.

﴿**كَلِمَةً طَيِّبَةً**﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة يقال: هي النخلة أصلها ثابت وفرعها في السماء، عن ابن عباس يقول: قول لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن ويرفع الله به عمله إلى السماء، ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾ عن ابن عباس: غدوة وعشية كافية، ذهب إلى أن أكل النخلة الطلع والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وقيل: ﴿**حِينٍ**﴾ هاهنا شهران، لأن مدة إطعام النخل شهران، وقيل: ستة أشهر وذلك حين تصرم النخلة إلى حين تطلع، وقيل كل سنة، وقال الزجاج: جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أو قصرت.

والكلمة الخبيثة الشرك ، **والشجرة الخبيثة** الحنظلة ، عن أنس بن مالك وعن ابن عباس: يريد الثوم، وقيل: الكشوت، واجتثت استؤصلت وقطعت، وهو من الجنة أي: أخذت جثتها، والقرار الأصل، ابن عباس يقول: الشرك ليس له أصل ولا يقبل الله معه عملا .

قوله عز وجل:

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا للهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[الآيات:٢٧-٣٠].

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** أي: في القبر إذا أتاه الملك فقال: من ربك وما دينك ومن نبيك، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ: **﴿يُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾** عن قول لا إله إلا الله، ويفعل الله ما يشاء، أي لا تنكر له قدرة، ولا يسأل عما يفعل، **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾** هؤلاء كفار قريش، أسكنهم الله حرمه وأتاهم نعمه فبدلوا ذلك كفرا، وأحلوا قومهم دار البوار، أي: أنـــزلوا الذين اتبعوهم دار الهلاك، و**﴿قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾** مفعولان لأحلوا، و**﴿جَهَنَّمَ﴾** بدل من دار.

و**﴿يَصْلَوْنَهَا﴾** أي: يلزمونها، وأنداد أمثال، وقوله: **﴿قل تمتعوا﴾** وعيد وتهديد.

قوله عز وجل:

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ * اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنــزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[الآيات: ٣١-٣٤].

قوله: **﴿يُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾** تقديره عند أبي إسحاق: قل لهم ليقيموا، ثم حذف اللام لتقدم لفظ الأمر.

وقال المبرد: **﴿يُقِيمُوا﴾** جواب لأمر محذوف تقديره: قل لهم أقيموا الصلاة

يقيموا يوم لا بيع فيه ولا خلال يوم القيامة، (والخِلاَلُ) مصدر خَالَلْتُ فلانا مُخَالَّة وخِلالاً، والاسم الخُلَّة وهي الصداقة.

وقوله: ﴿دَائِبَيْنَ﴾ أي جاريين في أفلاكهما بلا فتور، و﴿دَائِبَيْنَ﴾ نصب على الحال من الشمس والقمر، وغلب القمر لأنه مذكر.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: جعلها لكم للسكون والابتغاء من فضله، وآتاكم من كل ما سألتموه موضع (ما) جر بالإضافة أي: من كل الذي سألتموه، وعند الأخفش (ما) نكرة وسألتموه نعت لما وهي موضع خفض، وقيل: (ما) و(سألتموه) مصدر في موضع خفض وقيل معناه: من كل ما سألتموه لو سألتموه، تقول للرجل لم يسألك شيئا لأعطينك بأي ما بلغته مسألتك وإن لم تسأل.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ أي: تروموا عدّها لا تطيقوا عدّها لكثرتها، ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ عن ابن عباس: يريد به أبا جهل، وقيل: يريد به الكافر، وهو اسم جنس، وزعم قوم أنها منسوخة بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). وليس بين الآيتين تناف يقتضي ذلك.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[الآيات: ٣٥-٣٧].

﴿هذا البلد﴾ يعني: مكة، و﴿آمنا﴾ أي ذا أمن، و﴿البلد﴾ بدل من هذا أو عطف بيان، و(آمنا) مفعول ثان يقال: جنبتهُ الشرِّ وجنبتهُ واجتنبتهُ بمعنى أي: جعلته ناجيًا وجانبًا منه، والمعنى ثبتني على اجتناب عبادتها، وقيل: إنه دعاء لبنيه الذين أذن

---

(١) سورة النحل: آية١٨.

الله في أن يدعو لهم فكأنه أراد وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم.

وعن سفيان بن عيينه ما عبد الله من ولد إسماعيل أحد صنمًا قط، يريد أن الأصنام التي كانت منصوبة بمكة أتى بها عمرو بن لحي وكان خزاعيًّا.

قوله: أضللن كثيرا، أي: ضلوا بسببها كما تقول: قد فتنتني هذه الدار أي: أحببتها وافتتنت بسببها، فمن تبعني أي: على ديني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم، قيل معناه: غفور رحيم له إن تاب وآمن.

وقوله: ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾: يعني أن أسكن إسماعيل مع أمه هاجر وادي مكة وهو الأبطح، فاجعل أفئدة من الناس أي: جماعة تهوي، أي: تنـــزع إليهم على هوى يهوي إذا ارتفع.

عن ابن عباس لو قال: أفئدة الناس، لأن (رحمته اليهود والنصارى) ولكن خصّ فجعلها أفئدة المؤمنين.

وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون نعمك عليهم.

قوله عز وجل:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[الآيات: ٣٨-٤١].

﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي: بعد المشيب وذهاب العمر الطويل، إن ربي لسميع الدعاء أي لمن أطاعه، **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾** أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة، **﴿وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾** يقال: دعا لأبيه قبل أن يتبين أنه عدو لله، وقيل: عني بها آدم وحواء.

و**﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾** يوم القيامة، و(يوم) منصوب بـــ **﴿اغفر لي﴾**.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[الآيات: ٤٢-٤٤].

وقوله: **﴿عما يعمل الظالمون﴾** يعني مشركي مكة.

تشخص فيه الأبصار إلى الهواء، **﴿مُهْطِعِينَ﴾** أي: مسرعين، يقال: أهطع إليهم في سيره واستهطع، عن ابن عباس: المهطع الدائم النظر، مقنعي رءوسهم أي: رافعي رءوسهم يكادون يضعوها على الأكتاد وهما حالان من الضمير المحذوف تقديره: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارهم، في هاتين الحالتين، لا يرتد إليهم طرفهم أي: نظرهم إلى شيء واحد، وأفئدهم هواء أي: منخرقة لا تعي شيئا من الخير، وقيل: منخوبة من الخوف والجبن.

و**﴿أفئدهم﴾** رفع بالابتداء، و**﴿هواء﴾** خبره، وأنذر الناس أي: خوفهم يوم ينـــزل بهم العذاب، **﴿يوم﴾** مفعول لأنذر، ولا يحسن أن يكون ظرفا للإنذار، لأنه لا إنذار يوم القيامة.

و**﴿فيقول﴾** عطف على يأتيهم ولا يحسن نصبه على جواب الأمر، لأن المعنى يتغير فيصير إن أنذرهم في الدنيا قالوا: ربنا أخرنا، وليس الأمر على ذلك، إنما قولهم وسؤالهم التأخير إذا أتاهم العذاب ورأوا الحقائق، فيقول الذين ظلموا، أي: أشركوا أخرنا أي: أمهلنا إلى مدة قريبة، نجب دعوتك أي: نوحدك.

﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾ أي: حلفتم في الدنيا ما لكم من انتقال عنها إلى الآخرة.

قوله عز وجل:

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[الآيات: ٤٥-٤٧].

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أي: صح عندكم كيف أهلكناهم، وضربنا لكم الأمثال، أي: مثلكم كمثلهم في الإهلاك إن أقمتم على ما أقاموا عليه من الفساد، وعند الله مكرهم أي: هو عالم به.

وقرأ الكسائي **﴿لتـــزول منه الجبال﴾** بفتح اللام وضم الثانية، والباقون بكسر اللام الأولى وفتح الثانية.

فمن قرأ بهذه القراءة فـــ(إن) بمعنى (ما)، والمعنى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، على التصغير والتحقير لمكرهم، أي هو أحقر وأضعف من ذلك، فالجبال في هذه القراءة تمثيل لأمر النبي ﷺ ونبوته ودلائله، وقيل: هي تمثيل للقرآن، والضمير في مكرهم لقريش.

ومن قرأ بفتح اللام الأولى وضم الثانية فاللام الأولى لام تأكيد على هذه القراءة، وإن مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة مع أن تقديره: وأنه كان مكرهم لتزول منه الجبال. فهذه القراءة تدل على تعظيم مكرهم وما ارتكبوا من فعلهم، والجبال أيضا يراد بها أمر النبي ﷺ وما أتى به مثل الأول، وتقديره: مثل الجبال في القوة والثبات.

والهاء والميم ترجع على كفار قريش، وقيل: إنها ترجع على نمرود بن كنعان في محاولته الصعود إلى السماء ليقاتل من فيها، والجبال هي المعهودة، كذا قال أهل التفسير.

وقد روي عن علي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرءا: **﴿وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال﴾**، بفتح اللام الأولى وضم الثانية وكاد في موضع

كان.

قال عكرمة وغيره هو نمرود بن كوش حين اتخذ التابوت وشدّه إلى النسور بعد أن أجاعها أياما، وجعل فيه خشبة في رأسها لحم، وجلس هو وصاحبه في التابوت فرفعتها النسور إلى حيث شاء الله، وهاب نمرود الارتفاع فقال لصاحبه صوب الخشبة فصوبها والحظ النسور، فظنت الجبال أنه أمر من عند الذي نزل من السماء فزالت عن مواضعها.

﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ أي: لا يخلفهم ما وعدهم من نصرهم وإظهار نبوتهم، وجر (الوعد) على الإضافة، ونصب (الرسل) على التأويل؛ لأن الفعل قد يأخذ كل واحد منهما ومثله: هذا معطي درهم زيدا، ومدخل الدار عمرا.

قوله عز وجل:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[الآيات: ٤٨-٥٢].

في نصب (يوم) وجهان: الأول أن يكون بدلا من قوله: **﴿يوم يأتيهم العذاب﴾**، الثاني: أن يكون منصوبا بقوله ذو انتقام، و(الأرض) مرفوعة على اسم ما لم يسم فاعله، و(غير) منصوب مفعول ما لم يسم فاعله، وعن ابن عباس: تكون أرضا بيضاء كالفضة، لم تعمل عليها خطيئة، وعن الحسن: هي هذه الأرض إلا أنها تتغير إلى صورة أخرى، وكذلك السموات، وبرزوا أي: خرجوا من قبورهم بارزين للحساب والجزاء.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين مقرنين، قرن بعضهم إلى بعض، ويقال: قرنت أيديهم إلى أعناقهم، و﴿الأَصْفَادِ﴾ الأغلال والقيود، الواحد صفد، والفعل منه صَفَدْتُ وأصفَدْتُ، وصَفَدْتُ أكثر.

و﴿**سَرَابِيلُهُم**﴾ قمصاهم، الواحد سربال، وإنما جعلت سرابيلهم من القطران؛ لأن النار تسرع إليه، وتغشى وجوههم النار، أي: تطيف بوجوههم كاللباس عليها وليجزي الله كل نفس ما كسبت من خير وشر، إن الله سريع الحساب، لا يحتاج إلى عتد ولا عد، ﴿**هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ**﴾ أي: هذا الذي أنــزل عليك يا محمد كاف بليغ للناس، ولينذروا به أي: لتخوف قومك به، وليعلموا إنما هو إله واحد لا شريك له.

فأما الياءات فقرأ أبو عمرو: أشركتموني بالياء في الوصل، وقرأ أبو عمرو وحمزة: وتقبل دعائي في الوصل، وقرأ الباقون بغير ياء فيهما في الوصل والوقف، فمن قرأ بغير ياء فلا تباع المصحف، ولأن قوله: دعاء رأس آية ورءوس الآي فواصل ومواضع قطع، فاختير الوقف عليها، وإذا وصلت فهو وصل في نية وقف، فشابه قوله: ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ وما أشبه، ومن قرأ بالياء فعلى الأصل، ولأن الياء في دعائي جاءت بعد همزة، وهي لا ينطق بها اللسان فيظهر كسرتها ظهورا تاما، فاستوثق بإثبات الياء خوفا من خفاء الكسرة الدالة عليها، وقرأ حفص وحده، ﴿**لي عليكم**﴾، بفتح الياء، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿**لعبادي**﴾ ﴿**الذين آمنوا**﴾[1]، بإرسال الياء والباقون بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر، ﴿**وإني أسكنت**﴾ بفتح الياء والباقون بالإسكان.

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٣١.

سورة الحجر مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الآيات:١-٣].

عن مجاهد وقتادة الكتاب الذي كان قبل القرآن من التوراة والإنجيل، وقيل: هو القرآن، وذكر بالوصفين لما فيهما من الفائدتين، ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: إذا حضر الكافر الموت وَدَّ لو كان مسلما، وقيل ذلك يوم القيامة، ودوا لو كانوا مسلمين، وقيل الكافر لمن في النار من أهل القبلة ما أغنى عنكم إسلامكم شيئا فيؤمر عند ذلك بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرج، فيقول الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين، وجاز ربما يَوَد مع أن رُبَّ لما وقع؛ لأنه لصدق الوعد كأنه عيان، وقيل: إن (ما) لما لحقت رُبَّ غيرته فدخلت على المستقبل، كما تدخل على المعرفة.

قال أبو داود: ربما يود وإن كان للتقليل إلا أنه أبلغ في التهدد كما تقول: ربما ندمت على هذا، وأنت تعلم أنه يندم ندما طويلا، أي يكفيك قليل الندم، فكيف كثيره، وقيل: شغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في القليل.

وقرأ نافع وعاصم: ربما بالتخفيف، والباقون بالتشديد وهما لغتان والاختيار التشديد، لأنه الأصل.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا﴾ أي: في الدنيا ويتمتعوا أي يتلذذوا بلذاتها، ﴿وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ أي: التمادي في الرجاء عن طاعة الله، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ حين يعاينون العذاب أنهم كانوا في خسار، وزعم قوم أنها منسوخة بآية السيف، وذهب آخرون إلى أنها محكمة ومعناها التهدد كقوله ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(١) وقوله: ﴿ذَرْهُمْ﴾ وزنه افعلهم، ،أصله أو ذرهم، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة في الأصل، وقيل: بين كسرتين في

---

(١) سورة فصلت: آية ٤٠.

الأصل، لأن ألف الوصل مكسورة، والذال وإن كانت مفتوحة في الاستقبال فحقها الكسر؛ لأن الماضي وذَرَ، ولا يأتي بفعل بالفتح من فَعَل إلا أن يكون فيه حرف حلق.

في وذر إنما فتحت الذال من يذر، لأنها محمولة على ما هو في معناها وهو يدع، فيدع فتحة حرف الحلق وأصل داله الكسر، فحذفت الواو من يدع على أصله ولم يلتفت إلى الفتحة أي: أخذها من حرف الحلق، فلما كان يذر بمعنى يدع ومحمولا عليه في فتحة عينه حذفت أيضا الواو على الأصل لو استعمل، فلما حذفت الواو لما ذكرنا استغني عن ألف الوصل فبقي ذرهم.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الآيات: ٤-٦].

كتاب معلوم، أجل مؤقت لا يتقدمه ولا يتأخر عنه.

قال الفراء: لو لم يكن في قوله (إلا ولها) الواو، كان صوابا، كما قال عز وجل في موضع آخر: **﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾**[1].

وهو كما تقول في الكلام ما رأيت أحدا عليه إلا ثياب، وإن شئت إلا وعليه ثياب، وكذلك كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا،، والكلام في النكرة تام فافعل ذلك، وبصلتها بعد إلا فإن كان النهي وقع على النكرة ناقصا فلا يكون إلا بطرح الواو من ذلك: ما أظن درهما كافيك، ولا يجوز إلا وهو كافيك، لأن الظن يحتاج إلى شيئين فلا تعترض بالواو فيصير الظن كالمكتفي من الأفعال باسم واحد وكذلك أخوات ظننت وكان وإن وأشباهها إذا جاء الفعل بعد إلا لم يكن فيه الواو، فخطأ أن تقول: إن رجلاً وهو قائم، أو ما كان رجل إلا وهو قائم، ويجوز في ليس خاصة أن تقول: ليس أحد إلا وهو كذا، لأن الكلام قد يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة ألا

(١) سورة الشعراء: آية٢٠٨.

ترى أنك تقول: ليس أحد وما من أحد، فجاز ذلك فيها و لم يجز في أظن، ألا ترى أنك لا تقول: ما أظن أحدًا.

وقال الشاعر:

إذا ما سُتُور البيت أُرْخِينَ لم يكن سراج لنا إلا ووجهك أنور

فلو قيل إلا وجهك أنور كان صوابًا، وقال الآخر:

وما مس كفي من يد طاب ريحها من الناس إلا ريح كفيك أطيب

فجاء بالواو وبغير الواو، ومثل قوله عز وجل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ**﴾[1]. فهذا الموضع لو كانت فيه الواو صلح ذلك، وإذا أدخلت في كان جحدًا صلح ما بعد إلا فيها بالواو وبغير الواو، وإذا أدخلت للاستفهام وأنت تنوي به الجحد صلح – ما بعد إلا – الواو وطرح الواو، كقولك: هل كان أحد إلا وله حرص على الدنيا؟.

فأما أصبح وأمسى وبات، فإن الواو فيهن أسهل، لأنهن تمام في حال، وكان ليس وأظن، بُنِين على النقص، ويجوز أن تقول ليس أحد إلا وله معاش، وإن ألقيت الواو فصواب، لأنك تقول ليس أحد فتقف فيكون كلاما، وكذلك لا في التبرئة وغيرها، لا رجل وما من رجل، يجوز فيما يعود بذكره بعد إلا الواو وغير الواو في التمام، ولا يجوز ذلك في أظن من قبل أن الظن خلفته الإلغاء ألا ترى أنك تقول: زيد قائم أظن فدخول أظن للشك، فكأنه مستغنى عنه وليس بنفي، ولا يكون غير النفي مستغنيًّا؛ لأنك إنما تخبر بالخبر على أنه كائن أو غير كائن، ولا يقال للجحد إنه فضل كما يقال للظن.

وقوله: ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ**﴾ أي: ما يتقدم الوقت الذي جعل أمدا لهلاكها ولا يتأخر عنه، وجاز تسبق، ويستأخرون؛ لأن الأمة لفظها مؤنث، فأخرج أولا الكلام على تأنيثها وآخره على معنى الرجال، قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ**﴾ يقال: هو كناية عما كانوا يخاطبونه به، إنك لمجنون في دعائك لنا إلى

---

(١) سورة الفرقان: آية ٢٠.

ترك ما نحن عليه.

قوله عز وجل:

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَــزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنْظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَــزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الآيات: ٧-٩].

أي هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدق قولك إن كنت صادقا في زعمك أنك نبي، ما تنــزل الملائكة إلا بالحق أي: بالرسالة، أو العذاب، عن مجاهد: وما كانوا منظرين أي: لو نزلت الملائكة لم يؤخروا، قرأ حمزة والكسائي وحفص، ننــزل بالنون، الملائكة نصبا، وقرأ أبو بكر تنــزل بالتاء مضمومة، الملائكة رفعا، الباقون تنــزل بالتاء مفتوحة الملائكة رفعا، فمن قرأ بالنون فشاهده **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَــزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ﴾**[1]، ومن قرأ بالتاء مضمومة فهو كالقراءة الأولى إلا أنها جاءت على ما لم يسم فاعله، ومن قرأ بالتاء مفتوحة فشاهده **﴿تَنــزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾**[2] قوله عز وجل: و**﴿وَمَا نَتَنــزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾**[3] والأصل فيها تتنــزل، **﴿إنا نحن نــزلنا الذكر﴾** أي القرآن، **﴿وإنا له لحافظون﴾**.

من الزيادة والنقصان، ويقال: إن الهاء لمحمد أي: إنا لمحمد حافظون، ذكره الفراء، و(نحن) في موضع نصب على التأكيد لاسم إن، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء ونــزلنا الخبر، والجملة خبر إن، ولا يجوز أن تكون فاصلة لا موضع لها من الإعراب؛ لأن الذي بعدها ليس بمعرفة ولا ما قارب المعرفة، بل هو مما يقوم مقام النكرة، إذ هو جملة والجمل تكون نعتا للنكرات فحكمها حكم النكرات.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١١١.

(٢) سورة القدر: آية٤.

(٣) سورة مريم: آية٦٤.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[الآيات: ١٠-١٥].

﴿فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾ أي: في أصحابهم وأممهم، والكاف في كذلك في موضع نصب لمصدر محذوف، والهاء في نسلكه تعود على التكذيب، أي كذلك نسلك التكذيب في قلوبهم أن لا يؤمنوا، وقال الزجاج: أي كما فعل بالمجرمين الذين استهزءوا بمن تقدم من الرسل، كذلك نسلك الإضلال في قلوب المجرمين، ثم بَيّن ذلك فقال: لا يؤمنون به و**﴿نَسْلُكُهُ﴾** أي: نجعله، يقال: سلكت الخيط في ثقب الإبرة، وأسلكته أي: جعلته فيها، **﴿سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾**: سيرهم في تكذيب الأنبياء، فهم مقتفون آثارهم تلك، وعن قتادة وقائع الله فيمن خلا من الأمم.

ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المكذبين بابا من السماء لصعدت الملائكة فيه والكفار ينظرون، قالوا إنما سكرت أبصارنا وسحرنا أي: غشيت (أعيننا)، وقيل: الضميران للكفار، أي لو فتح الله بابا من السماء فصعدوا هم فيه لم يؤمنوا، ولقالوا: سحرنا وسكرت أبصارنا، والهاء في (فيه) للباب.

وقرأ ابن كثير: سكرت بتخفيف الكاف، والباقون بتشديدها فقال قوم: سكرت، حبست وسكرت أغشيت، وقال آخرون: ليس في التثقيل أكثر من المبالغة مثل: قتلوه وقتلوه، وأصله الحبس، يقال: سكرت النهر، أي: حبست ماءه، وسكر السكران، أي: حبس قلبه عن الفهم.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[الآيات: ١٦-٢١].

بروجها، نجومها، ويقال: هي اثنا عشر برجا، وزيناها أي: زينا السماء بالكواكب للناظرين، ورجيم ملعون، مرجوم بالشهب.

﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ (من) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع، أي: لكن من استرق السمع، فأتبعه، أي لحقه شهاب مبين.

كوكب مضيء، عن ابن عباس: الشهاب تخيل وتحرت ولا يقتل، وعن الحسن هو يقتل، **﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾** أي: بسطناها، قيل: مدت من تحت البيت الحرام، والرواسي: الجبال الثوابت، **﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾** أي: في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس ونحوها، وقيل: وأنبتنا في الأرض من كل شيء مقدور، جري على وزن من قدر الله تعالى.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الأرض معايش، ومن لستم له برازقين، (من) في موضع نصب، يقال: جعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء، وقد جاءهم الوحوش والبهائم و(من) لا يفرد بها البهائم ولا ما سوى الناس فإن يكن ذلك على ما روى، فنرى أنهم أدخل فيهم المماليك على ملكناهم العبيد والإماء والغنم وما أشبهه فجاز ذلك، وقد يقال: إن (من) في موضع خفض يراد جعلنا لكم فيها معايش ولمن، هذا قول الفراء ولا يجوز العطف على المضمر المخفوض عند البصريين.

قال الفراء: ما ترد العرب حرفا مخفوضا على مخفوض قد كُني عنه.

قال الشاعر:

نعلق في مثل السواري سيوفنا   وما بينها والكعب غوط نقانف

فرد الكعب على بينها، وقال الآخر:

هلا سألت بذي الجماجم عنهم   وأبي نعيم ذي اللواء المحرق

فرد أبا نعيم على الهاء في عنهم.

وإنْ من شيء، أي: ما من شيء إلا هو عندنا، وقدر معلوم، أي حد ومبلغ معلوم، عن ابن جريج: هو المطر خاصة.

قوله عز وجل:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنـزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الآيات: ٢٢-٢٥].

عن الحسن وغيره: لواقح أي تلقح السحاب والشجر، كأنه على هذا في معنى ذات لقاح، كما قيل: هم ناصب، فيمن قرأ: وأرسلنا الريح لواقح وهو حمزة فجمع اللواقح والريح واحدة، لأن الريح في معنى جمع، ألا ترى أنك تقول: جاءت الريح من كل مكان، فقيل لذلك لواقح، كما قيل تركته في أرض أغفال وسباسب وثوب أخلاق، ومنه قول الشاعر:

جاء الشتاء وقميصي أخلاق

شـــراذم يضحك منه التواق

اسم ابنه، ويقال: إن الريح ملقحة، فكيف قال: لواقح؟ ففي ذلك معنيان: أحدهما أن يجعل الريح هي التي بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال ناقة لاقح، ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال: **﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾**(١). فجعلها عقيما إذا لم تلقح.

والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وإن كانت تلقح، كما قيل: ليل نائم

(١) سورة الذاريات: آية ٤١.

والنوم فيه، وسر كاتم، وكما قيل: الناطق المبروز والمختوم فجعله مبروزا، و لم يقل: مبرزا، بناء على غير فعل أي: أن ذلك من صفاء، فجاء مفعول لمفعل، كما جاز فاعل لمفعول، إذ لم يرد البناء على الفعل كمثل ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾[١]. وقال ابن قتيبة: إنما جعلوا الريح لاقحا أي حاملا؛ لأنها تحمل السحاب، وأنشد للطرماح:

قلق لأفنان الرياح للاقح منها وحائل

قال: اللاقح: الجنوب: والحائل: الشمال، ويسمونها أيضا عقيما، وقد روى عن ابن مسعود أنه قال: هي لاقحة لحملها الماء، وملقحة بإلقاحها الشجر والسحاب.

فأنزلنا من السماء ماء أي: من السماء مطرا فأسقيناكموه، أي: جعلناه لكم سقيا، وما أنتم له بخازنين، أي: بمانعين، يريد لستم بخزان ذلك الماء فتمنعوه، وإنما هو لله يسقيه من يشاء، ويمنعه من يشاء، ونحن الوارثون، أي: نرث الأرض ومن عليها.

ولقد علمنا المستقدمين منكم، سبب ذلك أن النبي ﷺ قال: إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأولى في الصلاة فابتدرها الناس، وأراد بعض المسلمين أن يبيع داره النائية، ليدنو من المسجد، فيدرك الصف الأول، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ الآية، أي نجزيهم على نياتهم فقر الناس، وعن ابن عباس: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ، وكان بعض المسلمين يستقدمون إذا صلوا وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم، ففيهم نزلت هذه الآية، وعن قتادة: المستقدمون في طاعته والمستأخرون عن معصيته، وقيل: المستقدمون من خلف، والمستأخرون من لم يخلف.

عن عكرمة وعن محمد بن كعب، المستقدمون، الميت والمقتول، والمستأخرون من لم يلحق بهم بعد، إنه حكيم عليم، أي: تدبيره يجري بحكم وعلم.

---

(١) سورة الطارق: آية٦.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[الآيات: ٢٦-٣٥].

خلقنا الإنسان، أي: آدم، الفراء، الصلصال طين حر خلط برمل فصار صلصالاً كالفخار، والمسنون المتغير كأنه أخذ من: سننت الحجر على الحجر الذي يخرج بما بينهما يقال له: السنين، وقال غيره: أخذ من أنه على سنة الطريق لا أنه إنما يتغير إذا قام بغير ماء جار، فكأنه من صل اللحم إذا تغير، وقيل المسنون، المصبوب من قولك: سننت الماء على الوجه وغيره إذا صببته.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني: إبليس خلقه من قبل آدم من نار السموم، أي: الريح الحارة.

وقال الحسن خلق الله عز وجل الجان أبا الجن من نار السموم، وهي نار دونها الحجاب، وهذا الصوت الذي تسمعونه عند الصواعق من انغطاط الحجاب، ونصب (الجان) بفعل مضمر، المعنى: وخلقنا الجان خلقناه.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك الآية، فإذا سويته، أي: صورته وأجريت فيه الروح فقعوا له ساجدين، سجود تحية وطاعة لا لربوبية، وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال الخليل: توكيد بعد توكيد، أجمعون معرفة توكيد لكن لا ينفرد كما ينفرد (كلهم) تقول: كل القوم أتاني، ولا تقول: أجمع القوم أتاني.

وقد قال المبرد: أجمعون، معناه غير مفترقين وهو وهم منه عند غيره لا يلزمه

أن ينصبه على الحال.

وقوله: ﴿**إلا إبليس**﴾ استثناء ليس من الأول عند من جعل إبليس ليس من الملائكة، لقوله ﴿**كان من الجن**﴾.

وقيل هو استثناء من الأول لقوله ﴿**إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ**﴾ فلو كان من غير الملائكة لم يكن ملوما؛ لأن الأمر بالسجود إنما وقع للملائكة خاصة.

وقد يقع على الملائكة اسم الجن لاستتارهم عن أعين بني آدم، وقد قال الله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾(١)، الجنة، الملائكة.

قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين؟ موضع (أن) نصب بإسقاط (في) المعنى: أي شيء لك في أن لا تكون؟ قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال أي: وقد خلقتني من نار السموم، والنار أفضل من ذلك، قال: فاخرج منها أي: من الجنة فإنك مرجوم بالذم والشتم، ويوم الدين، يوم الجزاء.

قوله عز وجل:

﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَّعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ**﴾[الآيات: ٣٦-٤٦].

قوله: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، أي لهلاك جميع الخلائق، وقيل: إنما سأل الإنظار إلى يوم القيامة، لئلا يموت، إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجب إلى ذلك، وأنظر إلى آخر أيام التكليف، قال رب بما أغويتني أي: بإغوائك إياي

---

(١) سورة الصافات: آية ١٥٨.

لَأُحَسِّنَنَّ لهم المعاصي في الأرض، ولأضلنهم عن الرشاد، إلا عبادك منهم المخلصين، فلا سلطان لي عليهم، قال: هذا صراط علي مستقيم أي: على إرادتي، ذكره الزجاج، وقال غيره يقول: مرجعهم إلي فأجازيهم كقول القائل لمن يتوعده: طريقك علي، وقرأ بعضهم: صراط علي على الصفة أي: رفيع قوله: ﴿**لها سبعة أبواب**﴾، عن عكرمة أي سبعة أطباق، وعن ابن جريج أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، لكل باب منهم، أي لكل طبق صنف ممن يعذب على قدر منــزلته في الذنب، وجهنم لا تنصرف، لأنه أعجمي معرفة، وقيل هو عربي ولكنه مؤنث معرفة، ومن جعله عربيًا اشتقه من قولهم: ركبة جهنام إذا كانت بعيدة القعر، فسميت النار جهنم لبعد قعرها، وقوله: ادخلوها، أي يقال لهم: ادخلوها بسلام أي: بسلامة آمنين من عقاب الله ومن سلب ما أوتيتموه.

قوله عز وجل:

﴿وَنزعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[الآيات: ٤٧-٥٦].

(الغل) الحقد ويروى أنه يخلص المؤمنين من النار، فيسحبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض، فيؤمر بهم إلى الجنة، وقد نقوا وهذبوا فخلصت نياهم من الأحقاد، وقوله: ﴿**مُّتَقَابِلِينَ**﴾ أي: لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه، و(إخوانا) حال من المتقين، أي: ومن المضمر في آمنين، ويجوز أن يكون حالا مقدرة من الهاء والميم في صدورهم، ﴿**لا يمسهم فيها نصب**﴾ أي لا ينالهم فيها تعب، وقوله: ﴿**أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ**﴾ جاء في

التفسير أن العبد لو علم قدر عفو الله لما أمسك عن ذنب، ولو علم مقدار عقوبته لما أقدم على ذنب، و﴿**ضيف إبراهيم**﴾ الملائكة الذين أتوه بالبشرى، فتوهمهم أضيافا، و﴿**سلاما**﴾ منصوب على المصدر كأنهم قالوا: سلمنا سلاما، والوجل: الخائف، وإنما كان وجله لامتناعهم من أكل طعامه، وقوله: بغلام عليم وصفه بأنه عليم إعلاما أنه يبلغ ويعلم، وقوله: ﴿**فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾ عن مجاهد عجب من ذلك لكبره، وقيل: استفهم بأمر الله تبشرون، بكسر النون والتشديد، وقرأ نافع بكسر النون والتخفيف، والباقون بفتح النون، فمن قرأ تخفيفًا، وحذفت الياء اجتزاء بالكسرة إذ كانت رأس آية.

ومن قرأ بكسر النون والتخفيف فهو كالقراءة الأولى، إلا أنه حذف إحدى النونين تخفيفا، ومن قرأ بالفتح فعلى أنه للمخاطبين لم يذكر له مفعول، ﴿**قالوا بشرناك بالحق**﴾ أي: باليقين ﴿**فلا تكن من القانطين**﴾، أي: البائسين من فضل الله، قال: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، أي: الذين أخطأوا سبيل الصواب وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون، وكذلك ﴿**إذا هم يقنطون**﴾(١) ﴿**ولا تقنطوا**﴾(٢) وقرأ الباقون بفتح النون فيهن.

فمن قرأ بالكسر فلأنهم أجمعوا على فتح النون في قوله ﴿**من بعد ما قنطوا**﴾(٣) وإذا كان الماضي مفتوح العين فالقياس أن لا يكون المضارع بالفتح في غير الحروف الستة.

ومن قرأ بالفتح فعلى أنهما لغتان معروفتان، قَنَطَ يَقْنِطُ وقَنِطَ يَقْنَطُ، فأتى الماضي بلغة والمضارع بأخرى.

---

(١) سورة الروم آية: ٣٦.

(٢) سورة الزمر آية: ٥٣.

(٣) سورة الشورى آية: ٢٨.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[الآيات: ٥٧-٦٥].

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم، قالوا إلى قوم مجرمين، أي بالعذاب إلا آل لوط إنا لمنجوهم أي مخلصوهم، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿مُنْجوهم﴾ بإسكان النون وتخفيف الجيم، والباقون بفتح النون وتشديد الجيم، وهما لغتان: نجى وأنجى.

و﴿آل لوط﴾ ونصب على الاستثناء المنقطع، لأن آل لوط ليسوا من القوم المجرمين، المتقدم ذكرهم، وقوله: إلا (امرأته)، نصب على الاستثناء من الهاء والميم وهم آل لوط، المعنى إنا لمنجوهم إلا امرأته وهي في التأويل ترجع إلى القوم المجرمين؛ لأنه استثناء رد على استثناء كان قبله، قدرنا، أي قضى الله أنها لمن الغابرين، أي الباقين في العذاب، وقيل: قدرنا دبرنا وقيل: كتبنا.

وقرأ أبو بكر قدرنا وفي النمل ﴿قدرناها﴾[1] بتخفيف الدال فيهما والباقون بتشديد الدال فيهما وهما لغتان، وفي التشديد مبالغة، وقوله: إنكم قوم منكرون، أي لا نعرفكم؛ وذلك لأنهم أتوه في صورة لم يكن عرفهم بها.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: بالعذاب، الذي كانوا يَشكّون في نزوله ﴿وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باليقين من العذاب، وإنا لصادقون في خبرنا، ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي كن من وراء من تسري بهم من أهلك، ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي لئلا يرى عظيم ما ينـزل بهم، وقيل: هو كما يقول القائل: امض لشأنك، ولا تعرج على شيء، وامضوا حيث تؤمرون أي: حيث يأمركم الله.

---

(١) سورة النمل آية: ٥٧.

قوله عز وجل:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[الآيات: ٦٦-٧٣].

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي: أعلمناه وأوحينا إليه، **﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾** أي: آخرهم وأصلهن مقطوع مستأصل، و(أن دابر) في موضع نصب على البدل من الأمر، إن كان الأمر بدلا من (ذلك) إن جعلت الأمر عطف بيان على ذلك، قال الفراء (أن) في موضع نصب على حذف الخافض أي بأن دابر، و(مصبحين) نصب على الحال، وجاء أهل المدينة وهي سدوم، يستبشرون بالأضياف، طمعا في ركوب الفاحشة، و(يستبشرون) في موضع الحال.

وقوله: **﴿لَا تُخْزُونِ﴾** أي: لا تذلوني بالتعرض لهم، قالوا: **﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** أي: عن ضيافة العالمين، وقوله: **﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾** الجواب محمول على المعنى، لأهم أرادوا الأضياف للفساد، والمعنى: إن كنتم مريدون لهذا الشأن فعليكم بالتزوج ببناتي، لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون، عن ابن عباس أنه قال: ما خلق نفسا أكرم على الله محمد، قال: وحياتك إن قومك من قريش، لفي سكرتهم يعمهون أي: ضلالتهم وغفلتهم يترددون ويتهددون، وارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمي، ولعمرك ما أقسم به والعَمْر والعُمْر لغتان، فاختاروا في القسم الأخف عليهم لكثرة استعمالهم إياه، فأخذتهم الصيحة مشرقين، أي أخذت قوم لوط الصيحة، أي العذاب، وقيل: الصيحة أي الهلكة يقال: صبح بهم أي: هلكوا، ومشرقين أي: مصادقين لطلوع الشمس، يقال: أشرقنا صادفنا شروق الشمس، كما يقال: أصبحنا أي صادفنا الصبح، ونصب مشرقين على الحال.

قوله عز وجل:

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الآيات: ٧٤-٨٤].

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ عن الحسن أخذت الحجارة قومًا منهم خرجوا من المدينة لحوائجهم، وقيل أمطرت عليهم الحجارة أولا ثم انقلبت بهم المدينة **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾** عن مجاهد المتفرسين، وعن قتادة المعتبرين وقيل: المتفكرين والناظرين والمتبصرين، وهو من السمة، يقال: توسمت في فلان كذا أي: عرفت سمة ذلك فيه، وإنها لبسبيل مقيم، أي: مدينة قوم لوط، بطريق معلم واضح، إن في ذلك لآية أي: علامة بينة للمصدقين، وإن كان أصحاب الأيكة، لم يختلف القراء في الهمز والخفض هنا وفي (ق)، وإنما اختلفوا في (الشعراء) و(ص) في فتح التاء وخفضها، فمن فتح التاء قرأ بلام بعدها ياء، وجعل الأيكة اسم البلدة فلم يعرفه للتأنيث والتعريف ووزنه فعله، ومن قرأ بالخفض جعل أصله أيكة اسما لموضع فيه شجرة ودوم ملتف، ثم أدخل عليه الألف واللام للتعريف فانصرف، وكان رسولهم شعيب أرسل إليهم وإلى أهل مدين، فأما مدين فأخذهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة فعذاب يوم الظلة.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ روي أنهم أخذهم الحر أياما، ثم اضطرم عليهم المكان نارًا فهلكوا عن آخرهم، **﴿وَإِنَّهُمَا﴾** أي: مدينة قوم لوط، وبقعة أصحاب الأيكة لبإمام مبين أي: بطريق واضح، وقيل للطريق: إمام؛ لأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده.

و﴿الحِجْرِ﴾ ديار ثمود، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ أي: حججنا على صحة ما بعث به صالح، فكانوا عنها معرضين، لا يعتبرون، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ أي: من عذاب الله، وقيل: من الموت، وقيل: من أن يسقط عليهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: الإهلاك مصبحين، حين أصبحوا، فما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من العدة والقوة، وقيل: من الأعمال الخبيثة.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[الآيات: ٨٥-٨٩].

قوله: ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق أي: للإنصاف، و﴿السَّاعَةَ﴾ القيامة، ﴿فَاصْفَحِ﴾ أي: أعرض عن قومك إعراضًا جميلاً، عن قتادة؛ ثم نسخ ذلك وأمر بقتالهم حتى يؤمنوا، وعن الحسن: هذا فيما بينهم وبينه لا فيما أمر به من جهادهم كأنه أراد أنها محكمة، إن ربك هو الخلاق الذي خلقهم، العليم بأعمالهم، (والسبع المثاني): فاتحة الكتاب، عن علي رضي الله عنه وعن النبي ﷺ نحوه، وقيل لها مثان؛ لأنها تثني في كل ركعة في الصلاة، وقيل: لأن فيها الثناء على الله تعالى، وتكون (من) للصفة، كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[١]، وقيل: للتبعيض، وهي سبع آيات في قول أهل المدينة وأهل العراق، وأهل المدينة يعدون ﴿أنعمت عليهم﴾ آية. وقال ابن عباس: بسم الله الرحمن الرحيم آية من الحمد، وكان حمزة يعدها آية، ويكون المثاني القرآن كله، كما قال ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾[٢]. لأن القصص والأنباء ثنيت فيه، وقيل: السبع من المثاني، السبع الطوال وقيل آل حاميم ونصب القرآن العظيم على: وآتيناك القرآن العظيم، وقوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي أصنافا

(١) سورة الحج: آية ٣٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٢٣.

منهم، يقول: لا تتمن ما أعطوه من متاع هذه الدنيا ولا تحزن على ما تمتعوا به من ذلك، وقيل: لا تحزن بما يصيرون إليه بكفرهم، وعن بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وعن آخرين أنه غير منسوخ، لأنه لا تنافي بين الآيتين، واخفض جناحك أي: ألن جانبك لمن آمن بك وبما أتيت به وقل: إني أنا النذير المبين، أي الذي قد أبان إنذارا لكم، قيل: النذير المبين عذابا.

قوله عز وجل:

﴿كَمَا أَنــزلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الآيات: ٩٠-٩٤].

قوله: **﴿على المقتسمين﴾** هم فيما حكى الفراء قوم اقتسموا طريق مكة ينفرون عن النبي ﷺ، وعن ابن عباس: هم أهل الكتاب اقتسموه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه كأن التقدير: أنــزلنا عليك الكتاب كما أنــزلنا على المقتسمين، وعن ابن زيد: هم قوم صالح تقاسموا لنبيته وأهله، وعن الفراء: لا واحد للمقتسمين، لأنه لا يقع إلا من اثنين فصاعدا، الذين جعلوا القرآن عضين، عن ابن عباس: هم أهل الكتاب جزؤوه فأمنوا ببعضه، وعن عكرمة: كانوا يستهزئون يقول: هذا إلى سورة البقرة وهذا إلى سورة آل عمران، وعن قتادة هم رهط خمسة من قريش عضهوا كتاب الله.

وهو عند أبي عبيدة من العضو يقال: عضيت الشيء إذا فرقته، وهو عند غيره من قولك: عضهت الرجل إذا رميته ببهتان، ويكون على هذه منقوصة الهاء وعلى الأول منقوصة الواو، فوربك لنسألهم أجمعين، يريد سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون، أي: في دنياهم.

عن أبي العالية يسأل العباد كلهم عن خلتين: ما كانوا يعبدون؟ وماذا أجابوا المرسلين؟ فاصدع بما تؤمر، أي: أظهر ذلك وأصله الفرق، يقول: افرق بين الحق والباطل، ومنه الصدع في الزجاجة، وهو أن يبين بعضه من بعض، والصديع: الصبح.

وعن مجاهد يقول: أجهر بالقرآن، وعن الكسائي بما تؤمر، ولم يقل: بما تؤمر

به، يريد أن به محذوفه، قال الفراء: أراد اصدع بالأمر ومثله قوله: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾[١]. كأنه قيل: افعل الأمر عن المشركين، أي: اكفف عن حربهم وأعرض، ثم نسخت بأي القتال، وقيل: هو ثابت غير منسوخ لإمكان الجمع بينهما.

قوله عز وجل:

﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[الآيات: ٩٥-٩٩].

عن عروة بن الزبير: المستهزئون خمسة نفر ذوو أسنان وشرف، الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحرث ابن الطلاطلة، وعن ابن عباس: ماتوا كلهم قبل بدر، إن الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله، ﴿**ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**﴾ من التكذيب والاستهزاء، ﴿**فَسَبِّحْ**﴾ أي: نزه الله عن كل سوء ﴿**وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾ أي: المصلين، وقيل: افرغ فيما نابك إلى الثناء على الله والشكر له والصلاة، يكفك الله، و﴿**الْيَقِينُ**﴾ الموت، وإنما سمي يقينا؛ لأنه يوقن به على طريق التوسع، والمعنى اعبد ربك أبدا.

أما الياءات: فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿**عبادي**﴾[٢]، ﴿**إني أنا**﴾[٣]، ﴿**وإني أنا النذير**﴾[٤]، بفتح الياء فيهن، وقرأ الباقون بالإسكان، وقرأ نافع وحده بناتي بفتح الياء.

---

(١) سورة الصافات: آية١٠٢.
(٢) سورة الزمر آية: ١٠.
(٣) سورة الأعراف آية: ١٨٨.
(٤) سورة الحجر آية: ٨٩.

سورة النحل مكية

سوى ثلاث آيات من أخرها نـــزلت في مُنْصرفه من أُحدُ، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾(١). وقوله ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾(٢). الآيتان مدنيتان.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَــزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الآيات: ١-٣].

﴿أَتَى﴾ بمعنى يأتي، وحسن لفظ الماضي في موضع المستقبل لصدق إتيان الأمر، فصار أتى أنه لا بد أن يأتي، بمنـــزلة ما قد مضى، وكان يحسن الإخبار عنه بالماضي وأكثر ما يكون هذا فيما يخبرنا الله به أنه يكون، فلصحة وقوعه وصدق المخبر به صار كأنه شيء قد كان، **﴿أَمْرُ اللهِ﴾** عقابه لمن أقام على الشرك، وقيل: يعني به القيامة، وقيل الأحكام والفرائض والحدود، والأول وجه التأويل؛ لأنهم استعجلوا فأعلموا أنه في قربه بمنـــزلة ما قد أتى، وفي الهاء وجهان، يجوز أن يكون الأمر، وأن يكون لله تعالى، وتعالى عما يشركون أي: ارتفع أن يكون له شريك، وقوله: **﴿بِالْرُّوحِ﴾** أي بما يحيا به الحق، عن ابن عباس: هو الوحي، وقيل: كلام الله وقيل: النبوة، على من يشاء من عباده أي: رسله، **﴿أن أنذروا﴾**، (أن) في موضع خفض بدل من الروح، أو في موضع نصب على حذف الخافض أي: بأن أنذروا، وخلق السموات أي: تفرد بإنشاء ذلك، **﴿تعالى عما يشركون﴾**، أي: عن الذين أشركوهم به؛ لأنهم لا يخلقون وهم يخلقون.

---

(١) سورة النحل: آية٤١.

(٢) سورة النحل: آية ١١٠.

قوله عز وجل:

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ من نُّطْفَة فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَّمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَد لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآيات: ٤-٩].

﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: من مـاء مهـين، و ﴿ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: يبين بمنطقه عن خصامه، (والدفء) اللباس، عن ابن عباس، وعن الحسن: ما استدفأت به من أوبارها وأصوافها وأشعارها، و﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: تردونها بالعشي إلى مباركها، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي: تخلونها بالغداة إلى مراعيها، يقول لكم زينة لها كما قال ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، وقوله: ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ أي: بمشقة وجهد، يقول لو تكلفتم بلوغها على غيرها لشق عليكم ذلك، وأراد بالبلد مكة، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ أي: وخلق كل شيء لتركبوها وزينة، و﴿وَزِينَةً﴾ نصب على إضمار فعل أي: وخلقها زينة، وقيل: مفعول من أجله أي: وللزينة، وعن ابن عباس: أنه كان يكره لحوم الخيل.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: مالم يخطر على قلب بشر، ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، عن ابن عباس: أن يبين الهدى والضلالة، وعن مجاهد: طريق الله على الله، ومنها، أي: من السبيل عادل عن القصد، يقال: هي اليهودية والنصرانية، ولو شاء لهداكم أجمعين، عن ابن أبي زيد، أي: لقصد السبيل الذي هو الحق.

(١) سورة الكهف: آية٤٦.

قوله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي أَنـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآيات: ١٠-١٣].

﴿مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ومنه مرعى فيه تسيمون، أي: ترعون، يقال: أسمت الإبل أرعيتها، وسامت هي تسوم إذا رعت، وقرأ أبو بكر: **﴿ننبت﴾** بالنون والباقون بالياء وهو الاختيار، لقربه من ذكر الله، وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان للسكن والمعاش، والشمس والقمر لصلاح معاشكم ومعرفة أزمنتكم، والنجوم مسخرات، أي: مذللات في أفلاكها بأمره.

وقرأ ابن عامر: الشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فيهن، وقرأ الباقون جميع ذلك بالنصب، فمن قرأ بالرفع جعل الواو واو حال ورفع ما بعدها بالابتداء والخبر؛ وإنما قطعها عن العطف على ما تقدم لمجيء مسخرات، ومن قرأ بالنصب فعلى: وجعل النجوم مسخرات، **﴿ما ذرأ﴾** أي: خلق لكم في الأرض، يعني من الشجر والثمار والدواب مختلفا ألوانه من أبيض وأسود وأخضر وأحمر.

قوله عز وجل:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الآيات: ١٤-١٨].

يريد باللحم الطري حيتان البحر، ويريد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والفلك

والسفن، و﴿**مَوَاخِرَ**﴾ أي: جواري تشق الماء، يقال: مخرت السفينة مخرًا ومخورًا، إذا شقت الماء فهي ماخرة والجمع مواخر، ﴿**ولِتَبْتَغُوا من فَضْلِه**﴾ أي: من التجارة، والرواسي الجبال الثوابت، أن تميد بكم، يقال: كانت قبل الجبال، تميد أي: لا تستقر، يقال: ماد يميد إذا مال وتحرك، و(إن) في موضع نصب مفعول من أجله، وقيل: تقديره كراهة أن تميد بكم وقيل: معناه لئلا تميد بكم، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون إلى المواضع التي تقصدونها، ونصب (أنهارًا وسبلاً) على: وجعل فيها ذلك لدلالة ألقى عليه، إذا كان معناهما واحدا، (وعلامات) عطف على قوله وأنهارا وسبلا، وهي معالم الطرق وقيل: الجبال وبالنجم يقال: الجدي والفرقدان والنجم والنجوم في معنى واحد، كما يقال: كثر الدرهم في أيدي الناس، أفمن يخلق كمن لا يخلق، أي كيف يكون الإله الخالق كمن لا يخلق أفلا يتعظون، وجعل (من) الثانية لغير الناس لما جعله مع الخلائق وقيل: لأنهم جعلوه كمن يعقل في العبادة له، وقوله ﴿**لا تحصوها**﴾، أي لا تطيقوا نكرها.

قوله عز وجل:

﴿**وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ من دُون اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ * أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾[الآيات: ١٩-٢٣].

يقول: الله يعلم ما تسرون في أنفسكم وما تعلنون بألسنتكم، وما تدعون من دون الله أي: الأوثان، وقرأ عاصم: يدعون بالياء، والباقون بالتاء وهو الاختيار للمخاطبة قبله، أموات غير أحياء إذ كانت لا أرواح لها، وترتفع (أموات) على هي أموات، وإن شئت رددته إلى أنه خبر الذين، فكأنه قال: والذين تدعون من دون الله أموات، وما يشعرون متى البعث، ويقال: بل هذا إخبار عن الكفار أنهم لا يدرون متى يبعثون، و(أيان) في موضع نصب بيبعثون، وقوله: ﴿**قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ**﴾ أي: تنكر ما نقص عليهم، هم مستكبرون، أي: متكبرون عن الإقرار لله بالوحدانية، ﴿**لاَ جَرَمَ**﴾ أي: حقا أن الله

يعلم ما يخفون وما يظهرون، إن الله لا يحب المستكبرين عن أن يوحدوه.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنـزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ * قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[الآيات: ٢٤-٢٦].

أي: وإذا قيل للمتكبرين: ماذا أنـزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين، أي يذكرون أنه منـزل أحاديث الأولين، وأكاذيبهم، ليحملوا أوزارهم أي: آثامهم، وآثام الذين يصدوهم عن اتباع النبي ﷺ، أعلم الله بذلك أهم يحملون آثام الذين كفروا بقولهم، ولا ينقص ذلك من إثم التابع، ألا ساء ما يزرون، (ما) في موضع رفع، كما يرفع بنعم وبئس، المعنى ساء الشيء وزرهم هذا كما تقول بئس الشيء، قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنياهم من القواعد، أي: من أساطين البناء التي تعد، فخر عليهم السقف، روى أن ذلك في قصة نمرود بن كنعان بنى صرحًا يمكر به فخر سقفه عليه وعلى أصحابه، وقيل: بخت نصر، وقال بعضهم هذا مثل، جعلت أعمالهم التي عملوها بمنـزلة الباني بناءً فسقط عليه، فصير عملهم كمضرة بناء الباني إذا سقط عليه، ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، أي يأتيهم منه العذاب.

قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآيات: ٢٧-٢٩].

يخزيهم أي: يذلهم بالعذاب، ويقول أين شركائي؟ أي: في قولكم، الذين كنتم

تشاقون أي: تخالفون فيهم، وقرأ نافع ﴿تشاقونِ﴾ بكسر النون وهو كقراءته ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1]. والباقون بفتح النون على أنه فعل لم يذكر له مفعول، قال الذين أوتوا العلم يعني الملائكة: إن الخزي والسوء أي: الهوان والعذاب على الكافرين الذين تقبض الملائكة أرواحهم ظالمي أنفسهم أي ناقصي أنفسهم حظوظها بكفرهم، والسلام، الاستسلام، والمعنى فانقادوا واستسلموا ما كنا نعمل من سوء أي: قالوا: ما كنا نعمل من شرك، بلى أي: يقال لهم بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون، أي: بشرككم، وقرأ حمزة: ﴿يتوفاهم﴾ بالياء، وكذلك الحرف الذي بعده والباقون بالتاء فيهما، فمن قرأ بالياء فلما روي أن عبد الله كان يذكر الملائكة في كل القرآن، ومن قرأ بالتاء فلتأنيث الجماعة.

قوله عز وجل:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآيات: ٣٠-٣٢].

قوله: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ نصب خيرًا ورفع أساطير الأولين؛ لأن الكفار جحدوا التنزيل، فقالوا: إنما هي أساطير الأولين، وأقر المؤمنون به فقالوا: أنزل ربنا خيرًا، وقولوا: ماذا أنزل ربكم؟ الأول (ما) موضع رفع بالابتداء، وهي استفهام بمعنى التقرير، و(ذا) بمعنى الذي وهو خبر (ما) وأنزل ربكم صلة (ذا) ومع أنزل (هاء) محذوفة تعود على (ذا) تقديره: ما الذي أنزله ربكم؟ ولما كان السؤال مرفوعًا جرى الجواب على ذلك، فرفع أساطير الأولين على الابتداء والخبر، تقديره: قالوا: هو أساطير الأولين، وأما الثاني، فـ(ما) و(ذا) اسم واحد في موضع نصب بأنزل وما استفهام

---

(١) سورة الحجر: آية ٥٤.

أيضا، ولما كان السؤال منصوبًا جرى الجواب على ذلك، فقال: قالوا خيرا، أي أنـزل خيرا، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، قيل: هو على جهة الحكاية كأنه تفسير لقوله خيرًا، وقيل: بل هو على الاستئناف وذكر ليدل على أن الذي قالوه اكتسبوا به حسنة، ﴿ولدار الآخرة﴾، أي: الذي أعد لهم في الآخرة خير مما عجل لهم في الدنيا، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: ولنعم مسكن أهل التقوى، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ قيل على الابتداء وخبره (نعم دار المتقين) وقيل يكون الخبر يدخلونها، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كجزاء الله لهم يجزي الله المتقين، الذين تتوفاهم الملائكة طيبين، و(طيبين) حال من الهاء والميم في تتوفاهم، أي: زاكين طاهرين من الشرك، ﴿يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ﴾ أي: تقول لهم الملائكة سلمتم مما فيه غيركم من الشرك، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون أي: بصنعكم الحسن في الدنيا.

قوله عز وجل:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[الآيات: ٣٣-٣٦].

أي: هل ينتظر أهل مكة إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك يريد ما وعدهم الله به من عذابه، وقيل: يعني القيامة، كذلك فعل الذين من قبلهم أي: كذلك فعلوا فأتاهم الله بالعذاب وما ظلمهم الله بإهلاكه إياهم، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، بارتكابهم ما به أهلكوا، ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي: جزاء

سيئات عملهم، ونـــزل بهم ما كانوا به يستهزئون أي: جزء استهزائهم، قوله: ﴿**ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء**﴾ أي: ما كنا نعبد هذه الأوثان ولم نكن نحرم ما لم نحرمه، وإنما ذموا؛ لأنهم كانوا يقولون ذلك على جهة الهزء، ﴿**كَذَلِكَ**﴾ أي: ككذبهم واستهزائهم فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلا الإبلاغ الذي يبينون معه أنهم أنبياء، والطاغوت الشيطان، وما يعدهم إليه، فمنهم من هدى الله يعني أنه يبعث الرسل بالأمر بالعبادة وهو من وراء الإضلال والهداية، فسيروا أي: سافروا واعتبروا كيف كان عاقبة المكذبين.

قوله عز وجل:

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[الآيات: ٣٧ -٤٠].

قرأ أهل الكوفة يهدي بفتح الياء وكسر الدال، والباقون بضم الياء وفتح الدال، فمن قرأ بفتح الياء أراد يهتدي اعتبارًا بقراءة أصحاب عبد الله ﴿**يَهْدِي**﴾، بتشديد الدال، ويكون المعنى فإن الله لا يهتدي من يضله، ومن قرأ بضم الياء أراد معنى قوله: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾ اعتبارا بقراءة أبي: ﴿**لا هادي لمن أضل الله**﴾، وما لهم من ناصرين أي: من ينصرهم، قوله: ﴿**بلى وعدا عليه حقا**﴾، أي: أوجب على نفسه إنجازه، ونصب (وعدا) على المصدر المؤكد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أي: لا يوقنون بذلك، لنبين لهم الذي يختلفون فيه، في هذا قولان، الأول: أن يكون المعنى بلى يبعثهم ليبين لهم وليعلموا أنهم كانوا كاذبين في قسمهم، والثاني: أن يكون ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم وأنهم كانوا من قبله على ضلالة، وقوله: كن فيكون أي: إذا أردنا الشيء نقول من أجله كن أيها المراد فيكون على قدر الإرادة، و﴿**قولنا**﴾ رفع بالابتداء وخبره أن نقول، والقراءة رفع فيكون، وقد قرئ

بالنصب، فالرفع على فهو يكون، على معنى ما أراد الله سبحانه فهو يكون، والنصب على ضربين، أحدهما: أن يكون قوله فيكون عطفًا على أن يقول، المعنى أن يقول فيكون، ويجوز أن يكون نصبًا على جواب كن.

قوله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنـزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نـزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الآيات: ٤١-٤٤].

ذكر أنها نـزلت في عمار، وصهيب وبلال ونظرائهم الذين عذبوا بمكة، لنبوئنهم أي: لنسكننهم، وقيل: لنرزقنهم، عن مجاهد، **﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** قيل: المدينة، وقيل: بأن صاروا مع النبي ﷺ إلى أن سمعوا ثناء الله تعالى عليهم، ولأجر الآخرة، أي: الثواب الذي لهم في الآخرة أعظم لو كانوا يعلمون، **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾** أي: على تعذيب الكفار إياهم وعلى الهجرة والمحاربة، **﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** أي: به يعتصمون، **﴿الَّذِينَ﴾** في موضع رفع على البدل من الذين هاجروا، أو في موضع النصب على البدل من الهاء والميم في لنبوئنهم، أو على إضمار أعني، **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾** أي: إلى الأمم إلا رجالا، إنما قيل لهم هذا؛ لأنهم أنكروا أن يرسل الله إلى الناس من الرجال، فاسألوا أهل الذكر، عن ابن عباس: يعني أهل الكتاب، كأن المعنى فاسألوا أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم فإن جميعهم يعرفون بأن الأنبياء بشر رجال، وقيل: يعني من آمن (من) أهل الكتاب، إن كنتم لا تعلمون يا أهل مكة بالبينات أي: الدلائل الواضحات وفي العامل في (الباء) قولان، أحدهما: أرسلنا المذكور بتقدير: وما أرسلناهم بالبينات، وأنـزلنا إليك الذكر أي: القرآن لتوضح لهم ما أنـزل إليهم لعلهم يعتبرون.

قوله عز وجل:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ من دَابَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[الآيات: ٤٥-٥٠].

مكروا السيئات أي: جنوها على أنفسهم، وقيل: هو مكرهم بالنبي أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون وغيره، أو يأتيهم بالعذاب من حيث لا يشعرون، أي: لا يعلمون كما فعل بعاد وثمود، أو يأخذهم في تصرفهم في البلاد على تخوف أي: تنقص، عن ابن عباس، ومعناه أن ينتقص من أطرافهم ونواحييهم حتى يهلكهم، قال الشاعر:

تَخوفَ السَّيْرُ منها تامِكًا قَرِدًا كما تَخوفَ عُوَد النَّبعَة السَّفَنُ

يصف ناقة بأن السير ينقص سنامها بعد اكتنازه، وعن الحسن: يهلك القرية فتخوف القرى الأخرى، فإن ربكم لرؤوف رحيم، أي: من رأفته ورحمته أن أمهل لم يباغث بالعذاب.

و﴿ **تتفيأ** ﴾ أي: تدور من جانب إلى جانب يقال: فاء الظل وتفيأ بمعنى عن اليمين، والشمائل أي: في أول النهار وآخره، ﴿**سُجَّدًا**﴾ أي: مستسلمة منقادة وقال قوم: كل شخص فظله بالغداة والعشي يسجد وعن ابن عباس: الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله، داخرون أي: خاضعون صاغرون، و(سجدا) حال، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿**أو لم تروا**﴾ بالتاء على المخاطبة في قوله: إن ربكم لرؤوف رحيم، والباقون ردا على الإخبار عن الغيب في قوله أو يأخذهم على تخوف، وقرأ أبو عمرو وتتفيأ بالتاء لتأنيث الجماعة والباقون بالياء على إرادة الجمع،

ولله يسجد أي: يخضع ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة تدب عليها، والملائكة أي: ويسجد ملائكة الأرض أيضا، وهم لا يتعظمون عن السجود، يخافون ربهم من فوقهم، أي: يخافون ربهم خوف معظمين مجلين، وقيل: يخافون عقاب ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة.

قوله عز وجل:

﴿وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ * وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[الآيات: ٥٢-٥٧].

﴿لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ أي: لا تجعلوا لي شريكا إنما هو إله واحد لا شريك له، **﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** أي: خافون، وذكر اثنين تأكيدًا لقوله إلهين، **﴿الدِّينُ﴾** الطاعة (والواصب) الدائم، ويقال: الخالص، وقيل الواجب، ونصبه على الحال، أفغير الله تتقون أي: ترهبون، **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾** أي: هو الذي من بذلك عليكم، وفي (ما) قولان أحدهما: أنها بمعنى الذي ودخلت الفاء؛ لأنه مضارع للجزاء، والثاني أنها في معنى الشرط، ولها فعل مضمر، كأنك قلت: ما حل بكم من نعمة فمن الله، و**﴿تَجْأَرُونَ﴾** أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، **﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾** أي: البلاء عنكم، إذا جماعة يجعلون له شريكًا، ليمجدوا نعمة الله عليهم فيما أعطاهم، **﴿فَتَمَتَّعُوا﴾** لفظه أمر ومعناه الوعيد، أي: انعموا بلذات هذه الدنيا الفانية، **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** سوء مغبة أعمالكم، ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا، يريد ما كانوا يجعلونه لآلهتهم من الحظ في زروعهم وأنعامهم، والمعنى لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم، وتفترون تختلقون من الإفك والباطل، و﴿**سبحانه**﴾ أي: تنزيها له عن

ذلك، ولهم ما يشتهون يعني البنين، و(ما) في موضع رفع على الاستئناف أي: ولهم الشيء الذي يشتهون وقيل: هي منصوبة على ويجعلون لهم الشيء الذي يشتهون، والأول الاختيار؛ لأن مثل هذا من الكلام يجعل مكانا لهم لأنفسهم.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الآيات: ٥٨-٦١].

﴿مُسْوَدًّا﴾ أي: متغيرا تغيير معتم، ومنه قولهم سودت وجه فلان، إذ لقي منك المكروه، **﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** أي حزين قد كظم فلا يشكو ما به، **﴿يَتَوَارَى﴾** أي: يتغيب عن أبصارهم من سوء ما بشر به أي: من مساءته إياه، أيمسكه على هون، أم يدسه في التراب، الهاء للمبشر به، والهون: الهوان، والدس في التراب أن يغيبه فيه، يقول (تمهل) بين أمريه أيصبر على مكروهها، أم يدفنها حية؟ وهي الموءودة، **﴿ألا ساء ما يحكمون﴾** أي: قبح هذا الحكم، ولله المثل الأعلى، جاء في التفسير قوله: لا إله إلا الله، تأويله أن الله سبحانه أمر بالتوحيد ونفي كل إله سواه، **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾** أي: بمعاصيهم ما ترك على الأرض من دابة، عن ابن مسعود: كاد الجعل يهلك في حجره بذنب ابن آدم، وعن ابن عباس، أي: من مشرك يدب عليها، وقيل: لو هلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء، وجاز الإضمار، لأن الدواب إنما هي في الأرض، وأجلهم، وقت هلاكهم.

قوله عز وجل:

﴿وَيَجْعَلُونَ لله مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ * تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنــزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللهُ أَنــزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[الآيات: ٦٢-٦٥].

﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ أي: البنات اللاتي يكرهونهم، وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم، (أن) بدل من الكذب، بدل الشيء من الشيء هو هو، أي يصفون أن لهم مع فعلهم هذا القبيح من الله الحسنى من الجزاء، وعن مجاهد: هو قول قريش لنا البنون، وقيل: الجنة، **﴿لا جرم﴾** أي: حقا، وقيل: جرم هنا اسم والمعنى لابد، وقيل: إنه فعل ماض، ولا رد لقولهم، المعنى ليس ذلك كما وصفوا، جرم أي: كسب فعلهم هذا أن لهم النار وأهم مفرطون، وفي الوجه الأول (يكون) في موضع نصب، وقرأ نافع **﴿مفرطون﴾** بكسر الراء والباقون بفتحها، فمن قرأ بالكسر أراد أهم أفرطوا في معصية الله تعالى فهم مفرطون، ومن قرأه بالفتح أراد أهم معجلون إلى النار، مقدمون إليها، ذكره اليزيدي، وهو من قولهم: أفرطنا فلانا إلى الماء أي: قدمناه لذلك، وفرط هو إذا تقدم، وقيل: يعني أهم متروكون منسيون، من قولهم أفرطت وراءك أحدا أي: ما خلفت، وهو يرجع إلى المعنى الأول، **﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين﴾** أي: حسن الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر والعصيان، فهو وليهم اليوم أي: الشيطان وليهم في الدنيا، ولهم عذاب أليم إذا صاروا إلى الآخرة، ونصب هدى ورحمة على المفعول، المعنى وما أنــزلنا عليك الكتاب إلا للبيان والهدى والرحمة، وقوله: **﴿فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك﴾** أي: في إحياء الأرض دلالة موضحة لقوم يسمعون هذا فيتدبرونه.

قوله عز وجل:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الآيات: ٦٦-٦٧].

قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ﴿**نسقيكم**﴾ بفتح النون وكذلك في (المؤمنون) والباقون بضم النون فيهما، فقال قوم سقى وأسقى لغتان في معنى واحد، وقال آخرون: سقيته ناولته شربة، وأسقيته جعلت له سقيًا، وأجازوا القراءة بالضم؛ لأنه شرب دائم، مما في بطونه عن الكسائي: أراد بطون ما ذكرنا، وعن الفراء: يرجع إلى معنى النعم إذ كان يؤدي عن الأنعام، وعن الزجاج: الأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، وقيل: الهاء في بطونه تعود على البعض؛ لأن (من) في قوله مما في بطونه دلت على التبعيض، وهو الذي لبن منها فتقدير ما في بطون: البعض الذي له لبن وليس لكلها لبن، وهو قول أبي عبيدة، وقيل: الهاء تعود على المذكور تقديره: نسقيكم مما في بطون المذكور، وقيل: إن الهاء تعود على المذكر خاصة، حكي هذا القول عن إسماعيل القاضي، ودل ذلك أن اللبن للفحل فشرب اللبن من الإناث واللبن للفحل، فيرجع الضمير عليه، واستدل بهذا على اللبن في الرضاع للفحل، ﴿**من فرث ودم لبنًا خالصًا**﴾ يعني أن اللبن كان طعاما فخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبن ذكره ابن قتيبة، ﴿**سائغا للشاربين**﴾، يقال: لا يشرق باللبن ولا يغص منه، والهاء في قوله: ﴿**تتخذون منه**﴾ تعود على واحد الثمرات التي تقدم ذكرها، فهي تعود على الثمر كما عادت الهاء في بطونه على واحد الأنعام وهو النعم، وقيل: بل يعود على ما المضمر؛ لأن التقدير من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه، والهاء لما، ودلت (من) عليها، وجاز حذف (ما) كما جاز حذف (من) في قوله: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ**﴾[1].

(١) سورة الصافات: آية ١٦٤.

أي إلا من له مقام، فحذفت (من) لدلالة من عليها في قوله وما منا، وقيل: الهاء في منه تعود على المذكور كأنه قال: تتخذون من المذكور سكرا، والسكر ما حرم منها، والرزق الحسن ما أحل منها، وقيل: السكر النبيذ، والرزق الحسن الزبيب، فنسختها هذه الآية ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾[١].

قوله عز وجل:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الآيات: ٦٨-٧٠].

﴿أوحى إلى النحل﴾ أي: ألهم، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ قيل: هي سقوف البيوت، وقيل: معناه يبنون، وهو ما يعرش الناس لها من الجبال والشجر، وهي تتخذ لأنفسها إذا كانت لا أصحاب لها، وذلك جمع ذلول، أي: قد ذللها الله لك وسهل عليك مسالكها، وقيل: ذلل، مطيعة فيكون من صفة النحل، ﴿شراب مختلف ألوانه﴾، العسل، هي تأكل الحامض والمر وما لا يوصف طعمه فيحيل الله من ذلك عسلا تلقيه من أفواهها فيه شفاء للناس، يقول في العسل دواء للناس، وقيل: الهاء للقرآن أي: فيه بيان الحلال والحرام، والأول وجه التأويل، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته، وأرذل العمر، الهرم؛ لأنه أسوأ العمر وشره، لكيلا يعلم بعد علم شيئا، أي: لا يعقل بعد عقله الأول شيئا لشدة هرمه، إن الله عليم بخلقه قدير على ما يريده.

---

(١) سورة المائدة: آية ٩٠.

قوله عز وجل:

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الآيات: ٧١-٧٤].

أي قد فضل الله الملاك على مماليكهم، فجعل المملوك لا يقدر على مولاه، والمالك لا يرد على مملوكه من فضل ما في يده حتى يستوي حالهما في الملك فقيل لهم: إن كلكم من بني آدم وأنتم لا تستوون بينكم فيما ملكت أيمانكم، وأنتم كلكم بشر، فكيف تجعلون بعض الرزق الذي رزقكم الله لله وبعضه لأصنامكم، فتشركون بين الله وبين الأصنام، وأنتم لا ترضون لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركة، وقرأ أبو بكر: **﴿أفبنعمة الله تجحدون﴾** بالتاء، والباقون بالياء، فمن قرأ بالتاء رده على الخطاب في قوله: **﴿والله فضل بعضكم على بعض﴾**، ومن قرأ بالياء رده على الخبر عن الغيب في قوله: **﴿فما الذين فضلوا برادي رزقهم﴾**، والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، قيل: إنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم، وقيل: من أنفسكم أي: من جنسكم، والحفدة هي الأختان، وقيل: الأعوان وقيل: الخدم، وقيل: بنو المرأة من زوجها الأول، ويقال: هم أولاد الأولاد، وقيل: البنات، وهو جمع حافد، وأصل الحفد الإسراع، حفد حفدا وحفدانا، **﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** أي: من أنواع الحبوب والثمار والحيوان، أفبالباطل يؤمنون؟ فيجعلون له شريكا وصاحبة وولدا، ونصب شيئا بوقوع وقيل: هو بدل من الرزق، **﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾** أي: ولا يرزقون أنفسهم شيئا، وجاء في أول الآية بملك على لفظ (ما) وفي آخرها يستطيعون على المعنى، فلا تضربوا لله الأمثال، أي: لا تجعلوا له الأشباه، فإنه لا مثل له، وأنتم لا تعلمون قدر عظمة الله تعالى.

قوله عز وجل:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الآيات: ٧٥-٧٨].

هذا مثل لمن جعل إلهًا من دونه أو معه؛ لأنه عاجز مدبر مملوك لا يقدر على ضر ولا نفع، ﴿**ومن رزقناه**﴾ الآية، هو مثله عز وجل؛ لأنه القادر الرازق عباده، جهرا من حيث يعلمون وسرا من حيث لا يعلمون، ﴿**هل يستوون**﴾ يقول: فكيف سوى بينهما، وقيل: هو مثل المؤمن والكافر فالعبد هو الكافر، والمرزوق هو المؤمن، والأول أكثر، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون، ابن عباس، علمهم كيف يحمدونه، ﴿**وضرب الله مثلا رجلين**﴾ الآية، الأبكم الذي ولد أخرس، ولا يَفْهم ولا يُفَهِّم، فكل عيال وثقل على وليه، أينما يوجهه في مطلب لا ينجح، وهو مثل ضربه لنفسه، وقيل: هو مثل للمؤمن والكافر، والغيب ما غاب عن العيون والله العالم، ولمح البصر، النظرة ينظرها الإنسان، وإنما يصف سرعة القدرة على الإتيان بها، وقوله: ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ لما أنعم الله به عليكم.

قوله عز وجل:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[الآيات: ٧٩-٨٠].

مسخرات مذللات، والجو الهواء البعيد من الأرض، ﴿**ما يمسكهن**﴾ أي: في

الجو دلهم على قدرته على أمر الساعة بما شاهدوا من تدبيره، وقرأ ابن عامر وحمزة: ﴿**ألم تروا**﴾ بالتاء، والباقون بالياء، فمن قرأ بالتاء رده على قوله: ﴿**والله أخرجكم**﴾، ومن قرأ بالياء رده على قوله: ﴿**ويعبدون من دون**﴾، وسكن موضع يسكنون فيه، والبيوت التي من جلود الأنعام، القباب من الأدم وغيرها، تستخفونها أي: يخف عليكم حملها، والأثاث متاع البيت، ولا واحد له، كما لا واحد للمتاع، وقال ابن دريد: واحدته أثاثه، وإلى حين أي إلى أجل، وقيل: إلى حين البلى، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿**ظعنكم**﴾ بفتح العين، والباقون بإسكان العين، والفراء، الظعن يخفف ويثقل، والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه أحد الستة مثل الشعر ونحوه، وعن أبي العباس: الإسكان المصدر، والظعن اسم لهذا العمل كقولهم: الطلب والهرب.

قوله عز وجل:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[الآيات: ٨١-٨٣].

قيل: أراد ظلالا من الشجر يستظلون به، وقيل: ظلال العمائم تقي من الشمس، والأكنان جمع كن وهو كل شيء صان شيئًا وستره، والسربال كل ما لبسته من قميص أو درع أو غيرهما، ﴿**تَقِيكُمْ**﴾ أي: تدفع عنكم الحر، ولم يقل البرد؛ لأنه معلوم أن ما يقي من الحر يقي من البرد أيضا، وقيل: إنما ذكر الحر؛ لأن الذين خوطبوا بهذا أهل حر في بلادهم، فحاجتهم إلى ما يقي الحر أشد، ﴿**وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ**﴾ **أي:** دروعا تقيكم بأس الحديد وغيره في الحروب، ﴿**لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾ أي: لتكونوا على رجاء أن تسلموا، ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ**﴾ أي: فلا يلزمك تقصير من أجل توليهم؛ لأن الذي عليك أن تبلغ إليهم ما أرسلت به، وتبين لهم إسلامهم، وزعم قوم أنها منسوخة بآية السيف، وعن آخرين أنها ثابتة لعدم التنافي بينهما وبين آية السيف، يعرفون نعمة الله أي: منته عليهم فيما أعطاهم من النعم، وقيل: نعمة

الله محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أي: إذا قيل لهم: من رزقكم قالوا: الله ثم يقولون بشفاعة آلهتنا، عن ابن عباس، وعن قتادة يقولون: كان هذا لآبائنا ورثناه نحن، وعن مجاهد قول الرجل: لولا ولأن كان كذا وما كان كذا.

قوله عز وجل:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ من كُلِّ أُمَّة شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[الآيات: ٨٤-٨٨].

شهيد، شاهد من الأنبياء يشهد عليهم، ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار ولا هم يستعتبون، قيل: ولا يعرضون للعتبى، وهو الرضا، وقيل: لا يلتمس منهم عمل ولا طاعة، وقوله: ﴿**فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون**﴾، وشركاؤهم الآلهة التي عبدوها من دون الله، وصفت بذلك؛ لأنهم جعلوها شركاء في العبادة، قيل: لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم وقوله: ﴿**نَدْعُو مِنْ دُونِكَ**﴾ أي: نعبدهم من دونك، ﴿**فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ**﴾ أي: ردت عليهم آلهتهم قولهم: ﴿**إنكم لكاذبون**﴾ أي لم ندعكم إلى عبادتنا، وقيل: لكاذبون في قولكم: إنا آلهة، وعن الضحاك: يريد إجابتهم الملائكة إنكم لكاذبون، ﴿**وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ**﴾ أي: استسلموا بالذل لحكم الله، وعن ابن عباس: أقروا لله بالربوبية، وذهب عنهم ما كانوا يكذبون من أن آلهتهم تشفع لهم، وقيل: ما كانوا يدعون أن لله شريكا أو صاحبة أو ولدا، زدناهم عذابا فوق العذاب، قيل: إنهم يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار، ﴿**بما كانوا يفسدون**﴾ أي: بفسادهم في الأرض.

قوله عز وجل:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآيات: ٨٩-٩١].

﴿**شَهِيدًا**﴾ أي: شاهدا عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء أي: على قومك، والتبيان، البيان، يقول: هو بيان لكل شيء من أمور الدين بالنصر عليه أو بالإحالة على ما يفيد العلم من بيان النبي ﷺ أو إجماع المسلمين أو الاستدلال.

وبشرى، بشارة للمسلمين، والعدل: الإنصاف ومجانبة الجور، والإحسان، المروءة وترك الإساءة، ﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ أي صلة الرحم، والفحشاء: الذنب القبيح، والمنكر ما تنكره القلوب، ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾ أي: بقسم الله إذا أقسمتم، عن أبي عبيدة وعن عمر أن الوعد من العهد، ﴿**وَلَا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ**﴾ أي: لا تنكثوها بعد إحكامها، والكفيل، الشهيد، إن الله عليم بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء كان ولا ما هو كائن.

قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[الآيات: ٩٢-٩٤].

﴿**مِن بَعْدِ قُوَّةٍ**﴾ أي: إبرام، أنكاثا واحدها نكث وهو ما نقض من غزل الشعر

وغيره، عن ابن عباس: كانت امرأة من قريش يقال لها ريطة، كان لها وسوسة وكانت تغزل عند الحجر يومها، ثم تغدو فتنقضه، و﴿أَنكَاثًا﴾ نصب على المصدر والعامل فيها نقضت؛ لأنه بمعنى مكثت نكثا، وأنكاث جمع نكث، قال الزجاج: أنكاث نصب، لأنه في معنى المصدر، قوله: ﴿دخلا بينكم﴾ أي: غشًا وخيانة، ونصب؛ لأنه مفعول له، والمعنى تتخذوها للغش، والأمة الجماعة، وأربى أي: أكثر من ربا يربو وقيل: أغنى، وقوله، أن تكون أمة (أن) في موضع نصب على حذف الخافض تقديره: بأن تكون أو لا تكون، قوله: ﴿هي أربى من أمة﴾ (هي) مبتدأ و(أربى) في موضع رفع خبر (هي) والجملة خبر كان، وأجاز الكوفيون أن تكون (هي) فاصلة لا موضع لها من الإعراب وأربى في موضع نصب خبر كان وهو قياس قول البصريين؛ لأنهم أجازوا أن هي وهو وأنت وأنا وشبه ذلك فواصل لا موضع لها من الإعراب مع كان وإن والظن وأخواتهن إذا كان بعدهن معرفة أو ما يقرب من المعرفة وأربى من أمة هو ما يقرب من المعرفة، لملازمة (من) لأفعل ولطول الاسم؛ ولأن (من) وما بعدها من تمام أفعل، وإنما فرق البصريون في هذه الآية و لم يجيزوا أن تكون (هي) فاصلة؛ لأن اسم كان نكرة فلو كان معرفة لحسن وجاز، والمعنى لا تتخذوها دخلا بأن تكون أمة أربى من أمة لتعتبروا بهم، وقال الفراء: بمعناه لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتهم، أو قلتكم وكثرتكم، وقد عزرتموهم بالإيمان فسكنوا إليها، بما يبلوكم الله به أي: يختبركم به قيل: بالكثرة وقيل: بالوفاء، وليبينن أي: ليوضحن الله بنافذ حكمه لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا، وأمة واحدة أي: أهل دين واحد وهو الإسلام، ولتسألن عما كنتم في الدنيا من خير وشر، وطاعة عصيان، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي: تدحض بعد الاستقامة في الدين، والسوء: العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ أي: بصدكم من صددتموه عن دين الله.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[الآيات:٩٥-١٠٠].

أي: لا تنقضوا العهد بشيء تأخذونه من عرض الدنيا، فإنه وإن كان عندكم كبيرا قليل؛ لأن كل ما يفنى قليل، وما عند الله من الثواب على الوفاء والتمسك بالعهد خير لكم إن كنتم توقنون به، ﴿**ولنجزين الذين صبروا**﴾ على ما أمروا به وعما نهوا عنه ﴿**بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ من الصبر، وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وهو الاختيار لقربه من ذكر الله تعالى، من عمل صالحا أي: عملا صالحا، وحياة طيبة أي: معيشة صافية غير كدرة، عن ابن عباس: هو الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني في الجنة، وقوله: بأحسن ما كانوا يعملون، قيل: معناه ينظر إلى أحسن ما عملوه فيثيبه بالحسنى وهي الجنة، فإذا قرأت القرآن، أي: إذا أردت أن تقرأ القرآن، فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقوله: ﴿**يتولونه**﴾ أي: يكونون أولياءه في طاعتهم له، والذين هم به أي: بالله مشركون، كذا روي عن الضحاك، وقيل: إن الهاء عائدة على الشيطان، والمعنى والذين هم من أجله مشركون بالله، كما يقال: صار فلان بك عالما أي: من أجلك. وقيل: المعنى والذين هم بطاعته فيما يدعو إليه من عبادة الوثن مشركون، فأتى به على الإيجاز، إذ كان المعنى مفهوما، والهاءان في قوله: ﴿**إنه ليس له سلطان**﴾، يعودان على الشيطان وقيل: الأول للحديث.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَـــزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * قُلْ نَـــزلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[الآيات: ١٠١-١٠٥].

﴿**بدلنا**﴾ أي: نسخنا آية بآية، بل أكثرهم لا يعلمون صدق ما جئت به، و﴿**روح القدس**﴾ جبرائيل، ﴿**بالحق**﴾ أي حقا لا مرية فيه، ﴿**ليثبت الذين آمنوا**﴾، أي: ليقرأه عليهم فتستقر قلوبهم وتثبت، ﴿**وهدى وبشرى**﴾، في موضع نصب على المفعول له، ﴿**إنما يعلمه بشر**﴾، عن مجاهد، تقول قريش إنما يعلم محمدا عبد بن الحضرمي ورمى صاحب كتب، وقيل: إن اسمه جبر، وقيل بلعام، وحكى الفراء أن المشركين قالوا: إنما يتقوله من نفسه ويتعلمه من عايش مملوك كان لحويطب بن العزي، أسلم وحسن إسلامه وكان أعجم، وقيل: بل قالوا ذلك في سلمان الفارسي، ﴿**لسان الذي يلحدون إليه**﴾ أي: يميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجمي، ﴿**وهذا**﴾ أي: القرآن عربي مبين، وذكر بأن لسان كما تقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان.

قوله عز وجل:

﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[الآيات: ١٠٦-١٠٧].

﴿**مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ**﴾ أي: ارتد عن دينه، إلا من أكره فخوف بالقتل أي: لم يرتد، وقلبه مطمئن بالإيمان أي: ثابت عليه وإن نطق لسانه كرها إنما نطق به من الكفر،

و(من) نصب على الاستثناء، ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ أي: فتح له صدره بالقبول، عن ابن عباس، ثم نسخ من ذلك واستثنى: إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا، وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعن آخرين ليس ذلك بنسخ ولا استثناء وإنما يتناول الآية من شرح بالكفر صدرا ومات عليه، فإن لم يذكر في الآية لقيام الدلالة عليه، وقوله: ﴿إلا من أكره﴾ عني به عمار بن ياسر ومن كفر (من) في موضع رفع على البدل من الكاذبين وقيل: بالابتداء، والجواب محذوفا قد كفى منه جواب (من) الثاني وهو قوله: من شرح فعليه غضب من الله من مبتدأ و(فعليه) الخبر، ذلك بأنهم استحبوا، أي: كانت الدنيا الفانية أحب إليهم من الآخرة الباقية.

قوله عز وجل:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الآيات: ١٠٨-١١١].

﴿هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أي: ذوو غفلة عن الحق وعما أعد لهم في الآخرة من العذاب، وقوله: ﴿جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ أي: على شدة البأس والبأساء، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ أي: من بعد تلك الفعلة، وقرأ ابن عامر: ﴿فتنوا﴾ بفتح الفاء والتاء، والباقون بضم الفاء وكسر التاء، فمن قرأ بالفتح فعلى أن المعنى ثم إن ربك للذين هاجروا مسلمين بعدما عذبوا المسلمين، ومن قرأ بالضم فالمعنى ثم إن ربك للذين هاجروا من المسلمين بعدما عذبوا يراد به عمار وأصحابه، ﴿يوم تأتي كل نفس﴾ أي: يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه، و(يوم) منصوب على واذكر يوم تأتي، وقيل: على معنى إن ربك من بعدها، يوم يأتي، وأنث كل لتأنيث ما أضيف إليه، إذ هو معتمد المعنى، ويروى عن الحسن: أن جهنم يوم القيامة لتزفر زفرة يخر منها كل ملك وصديق ونبي وشهيد جاثيا على ركبته حتى يقول إبراهيم: رب نفسي لا أسألك اليوم غيرها،

﴿وتوفى كل نفس﴾، أي تجازى على عملها أوفى جزاء، وهم لا يظلمون، أي: لا يزاد هم من إساءة المسيء ولا ينقص من إحسان المحسن.

قوله عز وجل:

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الآيات: ١١٢-١١٥].

﴿**آمنة**﴾ ذات أمن يعني مكة، لا يغار عليها كما تفعل العرب، وكانوا يتغاورون، ﴿**مطمئنة**﴾، أي: لا تنتقل كما ينتجع العرب للخصب بالنقلة من مكان إلى مكان، وفي واحد الأنعم ثلاثة أقوال، الأول: نِّعْمَة وأنْعُم، كشدة وأشد، والثاني: نِعَمُ وأنْعمُ، كود وأود، الثالث: نعمان وأنعم، كباساء وأبؤس، ﴿**فأذاقها الله لباس الجوع**﴾، يقال: إنهم ابتلوا بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا العظام المحرمة والجيف، ﴿**والخوف**﴾ من بعوث رسول الله ﷺ وسراياه، وأصل الذواق بالفم، ويضع موضع الابتلاء استعارة؛ لأنه يجد ذلك وجدان الذائق، وذكر لباس الجوع؛ لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، ﴿**بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ أي: بصنيعهم الشيء، وجاز يصنعون كأن المعنى على أهل القرية، ﴿**ولقد جاءهم**﴾ أي: أهل مكة العذاب، عذاب السيف والقتل، ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ**﴾ أي: أعطاكموه، عن ابن عباس: يعني من الغنائم واشكروا نعم الله بالرزق الحلال، وقيل: بالإسلام، ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**﴾ أي: باغيًا على إمام ولا عاديًا على أمته، فإن الله غفور رحيم دل على أنه لا يعاقبه.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الآيات:١١٦-١١٩].

﴿ولا تقولوا لما تصف﴾ (ما) بمعنى المصدر، و(الكذب) منصوب؛ لأنه مفعول والتقدير: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام، قيل: يريد قولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، ونحو ذلك من أقاويلهم، لتفتروا على الله الكذب فيما تقولونه، متاع قليل أي: متعناهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل، ومن رفع **﴿الكُذُبُ﴾** وضم الكاف والدال جعله نعتا للألسنة... وقرأ الحسن وطلحة ومعمر **﴿الكَذِبِ﴾** بالخفض وفتح الكاف جعله نعتا لـــ (ما) أو بدلا منها وعلى الذين هادوا أي: اليهود حرمنا ما قصصنا أي: ما ذكرناه في سورة الأنعام، **﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء﴾**، عن ابن عباس: هو الشرك قبل المعرفة بالله، قال: وعن مجاهد، كل عامل بمعصية الله جاهل حين يعملها، **﴿ثم تابوا﴾** أي: أقلعوا من بعد ذلك.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الآيات: ١٢٠-١٢٤].

﴿كان أمة﴾ أي: معلمًا للخير، عن ابن عباس، وعن مجاهد، كان مؤمنا وحده

والناس كفار كلهم، وقيل: جعل أمة لقيام الأمة به، قانتًا لله مطيعًا له، وقيل: هو والذي يداوم على العبادة لله، ﴿حنيفا﴾ أي: مائلا إلى الإسلام غير زائل عنه وقيل: أخذ بالختانة، ولم يك من المشركين، الذين يجعلون لله شريكا، شاكرا لأنعمه، أي لنعماء الله عليه فيما أتاه.

و﴿حنيفا﴾ حال من المضمر المرفوع في اتبع، ولا يحسن أن يكون حالا من إبراهيم؛ لأنه مضاف إليه. ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ أي: نبوة، عن الحسن، وعن قتادة تنويه الله تعالى بذكره حتى ليس أحد من أهل دين إلا وهو يتولاه ويرضاه، ﴿وَإِنَّهُ فِي الآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من الذين يدخلون الجنة، وفي هذا ترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبه إبراهيم، ومدح له إذ شرفت جملة هو منها، إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه، عن ابن جبير قال، باستحلالهم إياه، وعن مجاهد: أرادوا الجمعة فجعلوا السبت مكانه، وقال الزجاج: الكلام يدل على أنهم ألزموه أمد نبوة موسى عليه السلام، وجاء في التفسير أنه حرمه بعضهم وأحله بعضهم، وقوله: ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾، أي يتنازعون.

قوله عز وجل:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[الآيات: ١٢٥-١٢٨].

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ أي: إلى دين ربك، و﴿الحكمة﴾: ﴿النبوة﴾، ﴿والموعظة﴾ الحسنة القرآن، وقول ﴿بالتي هي أحسن﴾، أي: لا إله إلا الله، عن ابن عباس، وذهب قوم إلى أنها منسوخة بآية السيف، وقيل: هي محكمة، لأنها إنما وإن تجادلهم غير فظ ولا غليظ القلب، وذلك لا ينافي آية السيف، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أي: قابلتم على صنع وقع من أعدائكم، فقابلوا مثل ما صنعوا بكم، وسمى الأول عقوبة

وإنما العقوبة الثاني، لازدواج الكلام؛ ولأن الجنسين في الفعل بمعنى واحد، وذكر أنه لما كان يوم أُحُد مثل المشركون بقتلى المسلمين فوقف رسول الله ﷺعلى حمزة وقد مُثِّل به فقال: أما والذي أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك فنـــزلت هذه الآية فكَفَّرَ النبي ﷺ عن يمينه، وكف عما أراد، حكي عن ابن عباس: أنه منسوخ بآية السيف، وعن عطاء بن يسار: أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ**﴾، وعن مجاهد وابن سيرين: أنه غير منسوخ وهو الأشبه؛ لأنه لم يأمرهم بالعقوبة فينسخه بالصبر، ولا هو مناف لآية السيف، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، هو مثل: ﴿**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾[1] قال الفراء: أمره بالصبر عزمًا، وقال غيره: يريد اصبر فإنّ الله سينصرك ويظفرك، ﴿**وما صبرك إلا بالله**﴾ أي: بمعونة الله، ﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ أي: على من عصاك ولا يتبعك، ودل على ذلك قوله: يمكرون، وقيل: الضمير للشهداء الذين نزل فيهم: ﴿**وإن عاقبتم**﴾ إلى آخر السورة، أي: لا تحزن على قتل الكفار إياهم، ولا تك في ضيق، تخفيف ضيق كما يقال: مَيتٌ ومَيْت، ﴿**مما يمكرون**﴾ أي: من مكرهم، وقرأ ابن كثير: في ضيق بكسر الضاد، وكذلك في النمل آية ٧٠ والباقون بفتح الضاد ففيهما، فقال قوم: هما لغتان بمعنى واحد، وقال آخرون: الضيق بالفتح ما ضاق عنه صدرك، والضيق يكون في الذي يتسع مثل الدار والثوب وأشباه ذلك، ﴿**إن الله مع الذين اتقوا**﴾ أي: ما حرم الله عليهم، والذين هم محسنون فيما افترض عليهم، وقيل: يريد الذين اتقوا الشرك، والذين هم موحدون، ومعنى أن الله معهم أي: ناصرهم.

---

(١) سورة الشورى: آية ٤٠.

سورة بني إسرائيل (الإسراء)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الآيات: ١-٣].

سبحان الله تنــزيه لله من السوء، وهو مروي عن النبي ﷺ، وانتصب على المصدر، كأنه وضع موضع: سبحت لله تسبيحًا. وهو معرفة إذا أفرد وفي آخره زيادتان الألف والنون فامتنع من الصرف للتعريف وللزيادتين.

وحكى سيبويه أن من العرب من ينكره فيقول: سبحانا بالتنوين.

وقال أبو عبيدة انتصب على النداء كأنه قال: يا سبحان الله يا سبحان الذي، ويقال: إنما قيل ليلا؛ لأنه بمعنى بعض ليل على تقليل وقت الإسراء من المسجد الحرام.

عن الحسن وقتادة كان في نفس المسجد الحرام، وقيل كان في بيت أم هانئ، وجاز ذلك؛ لأن الحرم كله مسجد، إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وقيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، **﴿الذي باركنا حوله﴾** أي: بالثمار والأنهار، **﴿لنريه من آياتنا﴾**، أي: من العجائب التي فيها اعتبار، وقيل: أرى الأنبياء حتى وصفهم، **﴿إنه هو السميع﴾** أي: السامع قول عباده، البصير بأعمالهم.

عن الحسن قال: صلى النبي ﷺ المغرب في المسجد الحرام وسرى إلى بيت المقدس ليلا، ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام.

فلما أخبر به المشركين كذبوا ذلك، وقالوا: يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة، وعن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**»، وفي حديث آخر أنهم قالوا:

فإن لنا إبلا في طريق الشام فأخبرنا بأمرها، فقال: «**تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق**»، فغدوا في ذلك اليوم يستقبلونها فقال قائل: هذه والله الشمس قد طلعت ولم تأت، فقال آخر: هذه والله العير يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا.

﴿**وَجَعَلْنَاهُ هُدًى**﴾ أي: دللناهم به على الهدى، ووكيلا، ربا، عن ابن عباس، وشريكا، عن مجاهد، ويقال: كافيا، والمعنى واحد، أي: لا تتوكلوا على غيري، وقرأ أبو عمرو: ألا يتخذوا بالياء (و) الباقون بالتاء.

فمن قرأ بالياء، فعلى معنى جعلناه هدى لبني إسرائيل، لأن لا يتخذوا، ومن قرأ بالتاء فعلى، وقلنا لهم لا تتخذوا، وعلى، وآتينا موسى الكتاب ألا تتخذوا ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا**﴾ أي: في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن لم يخلق، وإنما ذكروا بنعم الله عندهم، أنه أنجى آباءهم من الغرق و(ذرية) مفعول ثان على قراءة من قرأ بالتاء، و﴿**وكيلاً**﴾ مفعول أول، وهو مفرد معناه الجمع، واتخذ يتعدى إلى مفعولين مثل قوله ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[1].

ويجوز نصب (ذرية) على النداء، فأما من قرأ يتخذوا بالياء فذرية مفعول ثان لا غير؛ لأن الياء للغيبة والنداء في الخطاب فلا يجتمعان، إلا على بعد، وقيل: (ذرية) في القراءتين بدل من وكيل، وقيل نصب على إضمار أعني.

و(أن) في قوله: ﴿**أن لا يتخذوا**﴾ في قراءة من قرأ بالياء في موضع نصب على حذف الخافض أي: لأن لا يتخذوا.

فأما من قرأ بالتاء فتحتمل أن ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن لا يكون لها موضع من الإعراب، وهي التفسير بمعنى أي: فيكون (لا) نهيا ويكون معنى الكلام قد خرج فيه من الخبر إلى النهي، والوجه الثاني: أن تكون (أن) زائدة، ليست للتفسير ويكون الكلام خبرا بعد خبر على إضمار القول، تقديره: وقلنا لهم لا تتخذوا، والوجه الثالث: أن تكون (أن) في موضع نصب، و(لا)

---

(١) سورة النساء: آية١٢٥.

زائدة وحرف الجر محذوف مع أن تقديره: وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا، أي: كراهة أن تتخذوا.

﴿**إنه كان عبد شكورا**﴾، أي: كثير الشكر لله تعالى.

قوله عز وجل:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيد فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[الآيات: ٤-٨].

﴿**قَضَيْنَا**﴾ أي: أعلمناهم، وقيل: قضينا عليهم في الكتاب، ﴿**وَلَتَعْلُنَّ**﴾ أي: لتعظمن، و﴿**وَعْدُ أُولاهُمَا**﴾ أي: عقوبة أولى المرتين، وهو أول الفسادين وذلك فيما ذكره السدي قيل: يحيى بن زكريا، بعثنا عليكم عبادا لنا، يعني طالوت وجنوده وعن السدي بعث الله ملكًا للنبط يدعا سنحاريب لبعث الجنود فتحصنت بنو إسرائيل، فتلطف بختنصر حتى دخل المدينة، فسمعهم يقولون: لو علم عدونا بنا قذف الله في قلوبنا من الرعب ما أرادوا قتالنا فرجع إلى الملك وقال: ليس القوم بشيء، فبعثه الملك إليهم، فقتلهم في الدور، وذلك قوله: ﴿**فجاسوا خلال الديار**﴾.

و﴿**خِلالَ**﴾ نصب على الظرف، يقول: قتلوكم بين بيوتكم، وطافوا في خلال الديار، هل بقي أحد لم يقتلوه.

والجوس طلب الشيء باستقصاء، يعني ديار بيت المقدس.

﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ**﴾ أي: الدولة عليهم يعني قتل داود جالوت، وقيل: على بختنصر فقتل وعاد إلى بني إسرائيل ملكهم.

والنفير: العدد وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته، والنفير والنافر واحد، كقدير وقادر، ويجوز أن يكون النفير جمع نفر، كما قالوا العبيد وهو منصوب على التمييز.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ أي: إن أطعتم الله فيما بقي عفا عنكم المساوئ المتقدمة، ﴿وإن أسأتم فلها﴾ أي: فعلى أنفسكم يقع الويل وقيل: المعنى وإن أسأتم فإليها، كقوله ﴿أَوْحَى لَهَا﴾[1]. أي إليها.

وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر، ليسوء بالياء وفتح الهمزة، وقرأ الكسائي بالنون وفتح الهمزة، والباقون بالياء وضم الهمزة وواو بعدها، فمن قرأ بالياء وفتح الهمزة أراد ليسوء الله أو ليسوء العذاب أو الوعد.

ومن قرأ بالنون حمله على قوله: جعلناكم أكثر نفيرا، ليتسق اللفظ على سياق واحد مع اشتمال ذلك على المعاني المذكورة فيها؛ لأن الله تعالى هو الفاعل لجميع ذلك على الحقيقة.

ومن قرأ بالياء وضم الهمزة والواو فعلى ليسوء هؤلاء القوم، وحجته أنها في المصحف بألف بعد الواو؛ (و) لأن بعدها وليدخلوا وليتبروا فدل على أنه جماع، والمعنى، ليقبحوا وجوهكم، وجواب إذا محذوف، والتقدير: بعثناهم ليسوءوا وجوهكم، والمسجد مسجد بيت المقدس.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي: يدمروا ما علوا، أي: في حال علوهم وما الفعل مصدر، أي: وليتبروا علوهم أي: وقت علوهم، أي: وليهلكوا ويفسدوا، ومن يمكنهم، فهو بمنـــزلة جئتك مقدم الحاج، أي: وقت ذلك وقيل: ليدمروا الذي علوه تدميرا.

ويقال لكل شيء منكسر من الزجاج والحديد والذهب تبر.

عسى ربكم أن يرحمكم، (أن) في موضع نصب، والرحمة هنا بعث محمد ﷺ، وعسى من الله تعالى واجبة، فقد كان ذلك، عن ابن جبير: فرحمهم ورد إليهم ملكهم، و﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ أي: بالمعصية عدنا بالعقوبة، عن قتادة: فعادوا فبعث الله

---

(١) سورة الزلزلة: آية ٥.

عليهم المؤمنين يذلوهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة.

وحصير، محبس من قولك: حصرت الرجل إذا حبسته.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[الآيات: ٩-١٢].

﴿يَهْدِي لِلَّتِي﴾ أي: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان برسله والعمل بطاعته.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ عطف على أن الأولى، وتكون على معنى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أنا أعتدنا لهم عذابًا أليمًا، ويدع الإنسان بالشر، حذفت الواو من يدع من الخط وهو موضع رفع؛ لأنها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين.

و**﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾** نصب على المصدر، وفي الكلام حذف تقديره: دعاء مثل دعائه بالخير، ثم حذف الموصوف وهو دعاء، ثم حذفت الصفة المضافة وقام المضاف إليه مقامها.

يريد أن الإنسان قد يدعو على نفسه وأهله وولده بالشر غضبا كما يدعو لنفسه بالخير، فلا يستجاب له في الشر، وذلك من نعم الله تعالى عليه، وعن ابن عباس: يعني النضر بن الحارث قال: **﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾**(١)، فأجيب له فضربت عنقه صبرًا، وكان الإنسان عجولا، ذا عجلة يستعجل

(١) سورة الأنفال: آية٣٢.

بالشر إذا غضب، وعن عكرمة: لما نفخ الروح في آدم، ذهب ينهض قبل أن تصير الروح في رجليه.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ أي: علامتين يدلان على أن خالقهما واحد، وعن ابن عباس: يعني شمسين فيهما ضياء، وخالف بينهما ليعرف الليل من النهار، والأيام والشهور والسنون، فمحونا آية الليل، عن علي عليه السلام: هو اللطخ في القمر، وقال الزجاج: أي جعلنا آية الليل دليلة عليه بظلمته، وقيل: جعلناها لا يبصر بها المرئيات كما لا يبصر بما محي من الكتاب، **﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾** أي: مضيئة لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم، **﴿كل شيء فصلناه﴾** أي: بيناه، لا يلتبس معناه بغيره، ونصب (كل) بفعل مضمر، الذي ظهر تفسيره، المعنى وفصلنا كل شيء.

قوله عز وجل:

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الآيات: ١٣-١٥].

طائره سعادته وشقاوته، وما قدره الله جل ثناؤه له وعليه.

وقال الزجاج: ما يتطير من مثله من شيء عمله، كما قال: **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**(١)، وقال غيره: جعل عمله من خير أو شر كالطائر الذي يجيء من ذات اليمين فيتبرك به، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال فيتشاءم به على مخاطبتهم بما يستعملون، فأضافه إلى العنق، لأن ما يزين من طوق أو يشين من غل يضاف إلى الأعناق، و(كتابا) نصب بيخرج ومعناه: ونخرج له طائره كتابا، يلقاه منشورا أي: غير مطوي، وهو منصوب على الحال.

وقرأ ابن عامر: يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، والباقون بفتح الياء

---

(١) سورة النحل: آية٢٥.

وإسكان اللام وتخفيف القاف وهما متداخلان في المعنى؛ لأنه لا يلقاه حتى يلقاه وإذا لقيه فهو يلقاه.

﴿**اقرأ كتابك**﴾، أي: يقال له اقرأ كتابك، كان قتادة يقول: يقرأه من لم يكن في الدنيا قارئًا. وحسيبًا قيل حاسبًا ومحاسبًا، وقيل شهيدًا (وحسيبًا) نصب على الحال وعلى البيان إن شئت. (بنفسك) في موضع رفع وإن كان مجرورا بالباء، وكان الحسن يقول: أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك. والوزر الإثم، وفي معنى ذلك قولان، الأول لا يؤخذ أحد بذنب غيره، والثاني لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم؛ لأن غيره عمله.

﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، أي: حين يبين ما به نعذب، وما من أجله ندخل الجنة.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الآيات: ١٦-٢٠].

المترف المنعم، وفي تأويل ذلك قولان، أحدهما أمرناهم بالطاعة ففسقوا؛ لأن المترف إذا أمر بالطاعة خالف إلى الفسوق، قال أبو إسحاق: ومثله أمرتك فعصيتني، والثاني كثرنا مترفيها ففسقوا فيها، يقال: أمر الشيء إذا كثر وآمرته وامرته وأمرته بالتخفيف إذا كثرته، ومنه قول النبي ﷺ: «**خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة**» أي كثيرة النتاج، والكثرة هاهنا يصلح أن يكون في العدد، وأن يكون في الجدة واليسار. ﴿**فحق عليها القول**﴾ أي: وجب عليهم العذاب، ﴿**فدمرناها**﴾ أي: أهلكناها. وكم أهلكنا من القرون، أي: أهلكنا عددا كبيرا، كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم. من كان يريد العاجلة أي: يريد بعمله الدنيا، ﴿**عجلنا له**﴾، أي: عجل الله

لمن أراد أن يعجل له ما يشاء. ويصلاها أي: يلزمها، ﴿**ومدحورا**﴾ أي: مباعدا من رحمة الله. يقال: دحرته دحرا ودحورا إذا باعدته عنك. وقوله: ﴿**وسعى لها سعيها**﴾، أي: عمل لها عملها. وقوله: ﴿**مشكورًا**﴾ أي: مضاعفا. وعن قتادة شكر لهم حسناتهم وعفا لهم عن سيئاتهم و(كلا) نصب بنمد، و(هؤلاء) بدل (كل) من كل والمعنى: يعطى المؤمنين والكافرين من عطاء ربك في الدنيا، والمحظور، الممنوع.

قوله عز وجل:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً * لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾[الآيات: ٢١-٢٢].

أي فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا والآخرة، أعلى منازل. و﴿**كيف**﴾ في موضع نصب بفضلنا، ولا يعمل، وفيه نظر؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله. و﴿**أكبر درجات**﴾ خبر الابتداء وهو الآخرة و﴿**درجات**﴾ نصب على البيان ومثله تفضيلا. وقوله: ﴿**مذموما مخذولا**﴾، أي: معيبًا غير منصور. وعن قتادة: مذمومًا مخذولا في عذابه. وفيمن خوطب بهذا الخطاب وجهان، الأول خطاب النبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والثاني خطاب الإنسان كأنه قيل: لا تجعل أيها الإنسان. وقيل إن قوله: فتقعد يراد به الذل والعجز، كما قال:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قوله عز وجل:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الآيات: ٢٣-٢٥].

﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ أي: أمر ألا تعبدوا إلا إياه، و(الباء) في بالوالدين تتعلق بقضى

أو بأوصى محذوفا، والمعنى متقارب، قرأ حمزة والكسائي: يبلغان بالألف وكسر النون، والباقون بفتح النون من غير ألف، فمن قرأ بالألف فلأن الوالدين قد ذكرا قبله، وارتفع أحدهما أو كلاهما على البدل من الضمير في يبلغان، ومن قرأ بغير ألف فعلى أنه لا ضمير فيه، وارتفع أحدهما به وكلاهما عطف عليه، وقرأ حمزة والكسائي كلاهما بالإمالة؛ لأن لها رجوعا إلى الياء تقول: إذا سميت رجلا بكلا ثم ثنيته كليان، وقرأ الباقون بغير إمالة؛ لأن الألف فيه تجري مجرى ألف الاثنين، وألف الاثنين لا تمال، وأف كلمة تدل على الضجر أي: لا تقل لهما كلاما تتبرم فيه بهما، وقيل: معناها النتن أي: يكون منهما إذا أسنا الحديث فلا تقذرهما كما كانا لا يقذرانك.

وقرأ ابن كثير وابن عامر: أف بفتح الفاء، ونافع وحفص مكسورة الفاء منونة، والباقون مكسورة غير منونة، وكذلك اختلافهم فيها حيث وقعت، وكل ذلك لغات فيها وهي غير متمكنة بمنــزلة الأصوات، وإذا لم تنون فهي معرفة، وإذ نونت فهي نكرة بمنــزلة غاق وغاق في الصوت، والكسر لالتقاء الساكنين والفتح كذلك أيضا، لثقل التضعيف وخفة الفتحة والكسر مع عدم التنوين أعرف اللغات وأكثرها، ﴿**ولا تنهرهما**﴾ أي: لا ترفع عليهما صوتك ولا تغلظ لهما القول، والقول الكريم السليم من الجفوة، ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ أي: ألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما، ﴿**وقل رب ارحمهما**﴾، ذهب قوم إلى أن هذا منسوخ بقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾[1]. وقال آخرون: ليس هذا بمنسوخ وإنما هو على الخصوص.

﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**﴾ أي: في ضمائركم، عن ابن جبير هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه ولا يريد بذلك إلا الخير، والأواب من أب يؤوب إذا رجع، وقيل: هو الراجع إلى الله في كل ما أمر به والمقلع عن كل ما نهي عنه.

(١) سورة التوبة: آية١١٣.

قوله عز وجل:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾[الآيات:٢٦-٢٨].

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ أي: حظه من الصلة وقيل: إنه يعني به ذو قرابة الرسول، وقيل: ذو قرابة الإنسان وهو أشبه؛ لأنه متصل ببر الوالدين، والمسكين وابن السبيل، أي: آتهما حقهما من الصدقة المسماة لهما، والتبذير تفريق المال بالإسراف، وقيل: هو إنفاق المال في غير حقه، وعن مجاهد: لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، أي: يفعلون ما سول لهم الشيطان، فهم إخوانهم باتباعهم آثارهم.

وإما تعرضن أي: وإن عرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل لطلب رزق من ربك فقل لهم قولا لينا سهلا، يرزقنا الله وإياكم من فضله، ويقال تأويله أنه ييسر عليهم فقرهم بدعائه، وقيل: يعني به العدة، وعن ابن زيد تعرضن عنهم إذا خشي أن يتقووا بالعطية على معاصي الله ويكون ابتغاء الرحمة من الله بالتوفيق للتوبة.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[الآيات: ٢٩-٣٣].

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق، ولا تطلقها بالإسراف

فتكون قد بالغت في الحمل على نفسك وحالك، حتى تصير بمنـــزلة من حسرته، والحسير والمحسور الذي قد بالغ في التعب والإعياء، وعن قتادة نادمًا على ما فرط منك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي: يوسعه لمن يشاء، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق على من يشاء، والإملاق الفقر، وكانوا يدفنون البنات إذا ولدن خوفًا من الفقر، فضمن الله لهم رزقهم، وفي موضع ﴿تَقْتُلُوا﴾ وجهان، النصب بالعطف على ألا تعبدوا، والجزم بالنهي، وخشية مفعول له، والخطأ الإثم، وقرأ ابن كثير، ﴿خطاء﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودة، وقرأ ابن عامر بفتح الطاء والخاء غير ممدودة، والباقون بكسر الخاء وإسكان الطاء غير ممدودة، فمن قرأ بهذه القراءة فلأن معناه الإثم ويقال منه: خطيء مثل أثم إثما، ومن قرأ بفتح الخاء فعلى أنه مصدر من خطيء والخطأ الإثم، ومن قرأ بكسر الخاء والمد فعلى مصدر خاطأت، ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، أي ولا تأتوا السفاح، ومن قصر الزنا جعله من زنى يزني، ومن مده جعله مصدر زاني يزاني مزاناة وزناء.

والفاحشة القبيح من الفعل، ﴿وساء سبيلا﴾، أي: ساء الزنا سبيلا، ونصب سبيلا على التمييز.

قوله: ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أي: بما أخذ به قبلها من كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس حرام، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ أي: من غير أن يأتي بإحدى هذه الثلاث، و(مظلوما) نصب على الحال، ووليه الذي يلي أمره ويقوم مقامه في ماله واحدا كان أو جمعا، والسلطان، الحجة، وعن ابن عباس ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه، قيل: سلطانًا في الاقتصاص أو العفو، أو أخذ الدية ولا تسرف في القتل، عن مجاهد: القاتل الأول ظلمًا هو المسرف.

وعن طلق بن حبيب لا يقتل غير قاتله ولا يمثل به، (وإنه) أي: إن وليه كان منصورًا؛ لأنه ظلم، وقد تكون الهاء للمقتول نفسه وتكون للقتل؛ لأنه فعل فجرى مجرى الدم، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فلا تسرف﴾ بالتاء، والباقون بالياء، فمن قرأ

بالتاء فعلى أن المعنى فلا تسرفوا في القتل، وشاهده قراءة عبد الله وأبي: ﴿**فلا تسرفوا**﴾، ومن قرأ بالياء فعلى أن المعنى فلا يسرف الولي في القتل؛ لأن ذكره قد تقدم.

قوله عز وجل:

﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[الآيات: ٣٤-٣٦].

قوله: ﴿**بالتي هي أحسن**﴾ قيل: هي حفظه عليه حتى يبلغ أشده، قيل: هو أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا، ويقال: إنما خص اليتيم بهذا الذكر؛ لأنه إلى ذلك أحوج والطمع في مثله أكثر، ﴿**وأوفوا بالعهد**﴾ قيل: في الوصية بمال اليتيم، وقيل: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد، إن العهد كان مسئولا.

قيل: يسأل فيقال: لم نقضت؟ تبكيتا لناقضه، كما تسأل الموؤدة بأي ذنب قتلت، وقيل: يعني مسئولا عن الجزاء، لكنه حذف؛ لأنه مفهوم، والقسطاس، العدل، وقيل القبان، وقيل الميزان صغيرًا كان أو كبيرًا.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف، والباقون بضمها وكذلك اختلافهم في التي في الشعراء وهما لغتان، والضم لأهل الحجاز.

﴿**ذَلِكَ**﴾ أي: الوفاء وخير من النقصان، ﴿**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ أي: عاقبة، ﴿**وَلاَ تَقْفُ**﴾ أي: ولا تقل، وقيل: لا ترم وقيل: يريد شهادة الزور وعن قتادة: لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم.

وقال أبو عبيدة: أصل القفو في كلامهم شبيه بالعضيهة والبهتان يرمي به الرجل صاحبه، ومنه الحديث: «**من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج**»[1].

وقال غيره: هو مأخوذ من القفا أي: تتبعن لسانك من القول ما ليس لك به

---

(١) الحديث رواه حسان بن عطية.

علم، ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ أي: عما فعل به ووجد، كان، لأن كل لفظه واحد.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾[الآيات: ٣٧-٤٠].

﴿مَرَحًا﴾ أي: خيلاء وكبرا، ومرحا نصب على المصدر، وقرأ يعقوب (مرحًا) بكسر الراء فيكون نصبًا على الحال، ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لا تقدر أن تقطعها حتى تبلغ آخرها، يقال: فلان أخرق الأرض من فلان إذا كان أكثر أسفارا، وقيل: إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك، ولن تبلغ الجبال طولا، أي: بتطاولك وهو مثل ضرب له، والتأويل أن قدرك لا يبلغ هذا المبلغ فيكون لك وصلة إلى الاختيار.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو سيئة منونة غير مضاف، الباقون سيئة مضاف، فمن قرأ بالتنوين فعلى كل ما نهى الله عنه مما وصف في هذه الآيات، كان سيئة وكان مكروها، وقيل: مكروها بدل، ومن قرأ بالإضافة فعلى كل ما ذكرناه لكم من أمرنا إياكم ونهينا لكم كان سيئة وهو المنهي عنه، عند ربك مكروها، ويؤيده مجيء قوله مكروها على التذكير، ولو كان وصفا لمؤنث لكان الوجه مجيئه على التأنيث.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ الآية، كانت الفكرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله فوبخهم الله تعالى بذلك، يقول: أفيختار لكم الصفوة وهم البنون ويتخذ لنفسه غير الصفوة وهن البنات، إنكم لتقولون قولا عظيمًا أي: فظيعًا.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا * قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الآيات: ٤١-٤٤].

﴿صَرَّفْنَا﴾ أي: بينا من الأمثال ليتعظوا، وما يزيدهم التبيين إلا نفورا، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ليذكروا﴾ بالتخفيف وكذلك التي في الفرقان، والباقون بالتشديد فيهما والوجهان متقاربان.

يقال: ذكرت ما صنعت وتذكرت، و(إن) كان التشديد أبلغ.

قل: لو كان معه آلهة كما يقولون، قرأ ابن كثير وحفص يقولون بالياء، والباقون بالتاء والوجهان حسنان؛ لأن العرب توجه مثل هذا الكلام مرة إلى حكاية المخاطبة ومرة إلى لفظ الغيبة، فيقولون: قل لزيد إن تقم فهو خير له، ﴿إلى ذي العرش سبيلاً﴾ أي: منازعة وقتالا، ومثله قل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، عن قتادة: لابتغوا التقرب إليه ومثله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[2]، وسبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، قرأ حمزة والكسائي: ﴿تقولون﴾ بالتاء، والباقون بالياء، الأولى على مخاطبة القائلين والثانية على توسيط الكلام بتنـــزيه الله عما يقولونه من ذلك، وقوله: علوا و لم يقل: تعاليا على أنه وقع مصدر موقع مصدر الإيذان أن ما فيه من معناه، وإن من شيء أي من شيء إلا يسبح بحمده، وقيل: إن كل ما خلق الله يسبح بحمده، وإن صرير الباب من التسبيح لله، وقيل: يعني به كل شيء، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، هو في الظاهر خطاب

(١) سورة الأنبياء: آية٢٢.

(٢) سورة الإسراء: آية٥٧.

للمشركين، وجائز أن يكون تسبح هذه الأشياء ما الله أعلم به، ما نفقه منه إلا ما علمناه، إنه كان حليما عن خلقه، لا يعجل عليهم غفورا لذنوبهم إذا تابوا، وعن سعيد بن جبير كل تسبيح في القرآن صلاة.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص: ﴿تسبح﴾ بالتاء والباقون بالياء.

قال الفراء: وإنما حسنت الياء؛ لأنه عدد قليل، وإذا قل العدد من المؤنث والمذكر كانت الياء فيه أحسن من التاء، ومن أنث ذهب إلى أن الجمع يقع عليه هذه، فأنث لتأنيث هذه والمذكر فيه كالمؤنث، ألا ترى أنك تقول: هذه رجال، وهذه نساء.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الآيات: ٤٥-٤٩].

قوله: ﴿حجابا﴾، عن ابن عباس: يريد قضاء من قضائه، وقيل: هو الطبع على قلوبهم، وقيل: هو منع الله إياهم من النبي ﷺ، ﴿مَّسْتُورًا﴾ أي: ساترًا، كما يقال: هو مشئوم عليهم، في موضع شائم، (وميمون) أي: يامن، كذا ذكره قوم، وقال آخرون: يعني مستورًا عن أبصار الناس، وهو أظهر.

و﴿أَكِنَّةً﴾ أي: أغطية، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: لكراهة أن يفقهوه، وقيل: لأن لا يفقهوه، والوقر الثقل في السمع.

و﴿نفورا﴾ أي: ولوا نافرين نفورا، وقيل: هو جمع نافر، مثل قاعد وقعود، ووحده مصدر موضوع موضع الحال، كأن المعنى إذا ذكرته متوحدا يقال: وحد يحد

وحدة ووحدًا، كوعد يعد عدة ووعدًا، وواحد اسم منه.

نحن أعلم بما يستمعون، هي في الوليد بن المغيرة ومن كان معه في دار الندوة، وإذ هم نجوى أي: متناجون يسار بعضهم بعضا، وقيل: يرفع كل واحد منهما سره إلى الآخر، ونجوى اسم للمصدر والتقدير: وإذ هم ذوو نجوى، وعن قتادة: نجواهم أن زعموا أنه مجنون وأنه ساحر، وأنه أتى بأساطير الأولين.

قوله: ﴿**إن تتبعون إلا رجلا مسحورًا**﴾ فيه قولان، الأول: أنه من السحر أي: قد سحرنا فاختلط علينا أمره، يقولون ذلك للتنفير عنه، الثاني: أنه من السحر وهو الرية أي: من هو بشر مثلكم، يأكل الطعام.

قوله: ﴿**فَضَلُّوا**﴾ أي: حادوا عن طريق الهدى، ﴿**فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ أي: لا يجدون سبيل الهدى، ﴿**وَقَالُوا أَئِذا كُنَّا عِظَامًا**﴾ أي: أكلت الأرض لحومنا فلم يبقى إلا العظام البارزة، والرفات التراب، والرفات أيضا كل شيء حطم وكسر وكل ما كان من هذا النحو فهو مبنى على فعال نحو الحطام، ويقال: رفت فهو مرفوت إذا صير كالحطام ولا واحد له: بمنـــزله الرقاق ﴿**وخلقًا جديدًا**﴾ أي: مجدد.

قوله عز وجل:

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ❁ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ❁ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الآيات: ٥٠-٥٢].

يقول: لو كنتم حجارة أو حديدا لأماتكم الله ثم أحياكم إلا أنه خرج مخرج الأمر؛ لأنه أبلغ في الإلزام، ﴿**أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾ أي: أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم كذا روي عن ابن عباس، وعن مجاهد: يريد السموات والأرض والجبال، وعن قتادة: أي: شيء استعظمتموه من الخلق فسيقولون من يعيدنا؟ أي: من بعد ما نموت ونبلى، ﴿**قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ**﴾ أي: أنشأ خلقكم أول مرة، وكانوا مقرين بالنشأة الأولى، فقيل لهم القدرة التي بها أنشأكم ابتداء

يعيدكم بها ثانية.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها تحريك اليائس من الشيء، وقيل: يحركونها استهزاء، يقال: أنغض رأسه إذا حركه، ونغضت سنه تحركت.

قال:

ونَغَضَتْ من هَرمٍ أسَنَانُها

قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: البعث، يوم يدعوكم: أي: يُعيدكم يوم القيامة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: بما يقتضي الحمد لله، وقيل: مقرين بأنه خالقكم، وعن ابن جبير: يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، ﴿**وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**﴾، عن قتادة: تحاقرت الدنيا في أنفسهم حتى عاينوا الآخرة وقيل: لما يرون من سرعة الرجوع يتوهمون قلة اللبث في القبور.

قوله عز وجل:

﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنــزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً**﴾[الآيات:٥٣-٥٦].

﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: الكلمة التي هي أجمل، عن ابن عباس: هو لا إله إلا الله، وقيل: يأمروا بما أمر الله به، وينهوا عما نهى الله عنه، ﴿وينــزع﴾ يفسد ويهيج، وعن ابن عباس: يوسوس إليهم في تكذيبهم النبي ﷺ.

﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ أي: يعصمكم، و﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ أي: يخذلكم، عن ابن عباس، وقيل: إن يشأ يرحمكم بالتوبة وإن يشأ يعذبكم بالإقامة على المعصية، ﴿**وما أرسلناك عليهم وكيلا**﴾، قيل: حافظا، وقيل: ما وكلناك بمنعهم من الكفر بالله تعالى.

ويقال: هي منسوخة بآية السيف، وقيل: هي محكمة، ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض في الكرامة، وآتينا داود زبورا فلا تنكروا تفضيل محمد وإعطاءه القرآن، قل: ادعوا الذين زعمتم من دونه أي: زعمتم أنهم آلهتكم، عن ابن مسعود، نـــزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون، والنفر من العرب لا يشعرون، وعن ابن عباس: عزيز وعيسى وأمه، وقيل: يعني الملائكة، لأن منهم من كان يعبد الملائكة، فلا يملكون كشف الضر عنكم، ﴿**ولا تحويلا**﴾ أي: لا يملكون تحويلا له من أحد إلى آخر.

قوله عز وجل:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الآيات: ٥٧-٥٨].

﴿**يدعون**﴾ أي: يعبدوهم من دونه ويدعوهم آلهة، يطلبون إلى رهم الوسيلة أي: القربة، و﴿**أولئك**﴾ رفع بالابتداء، و﴿**الذين**﴾ رفع صفة لهم، و﴿**يدعون**﴾ صفة للذين، و﴿**يبتغون**﴾ خبر الابتداء، والمعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى رهم الوسيلة أيهم أقرب إليه فيتوسلون به، ويجوز أن يكون أيهم بدلا من الواو في يبتغون، المعنى: يبتغي أيهم أقرب إليه الوسيلة إلى الله، أي: يتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿**وإن من قرية إلاَّ**﴾ ما من قرية إلا نحن مهلكوها أو معذبوها بالسيف، وقيل: يريد وإن من قرية مثل مكة وأهلها ممن كذب بالأنبياء إلا نحن مهلكوها بالاستئصال، أو معذبوها كما فعل بأهل مكة إذ عذبهم بالجوع، كان ذلك في اللوح المحفوظ مكتوبًا.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[الآيات: ٥٩-٦٠].

(أن) الأولى في موضع نصب مفعول ثان لمنع، و(أن) الثانية في موضع رفع فاعل يمنع تقديره: وما منعنا الإرسال بالآيات التي اقترحتها قريش في قولهم: حول لنا الصفا ذهبا أو نح عنا جبال مكة ونحو ذلك، من مقترحاتهم إلا تكذيب الأولين بمثلها، وكان ذلك سبب إهلاكهم، ولو أرسلها إلى قريش فكذبوا لأهلكوا وقد تقدم في علم الله تأخر عقابهم إلى يوم القيامة فلم يرسلها لذلك، **﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾**، مبصرة نصب على الحال: يقول تبصرهم بما فيها من الدلالة أي: تبين لهم، ويجوز أن تكون ذات أبصار **﴿فظلموا بها﴾** أي: فكذبوها وظلموا بتكذيبها، وقرئ مبصرة بفتح الصاد، أي مبينة، وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا، عن الحسن هو الموت الذريع، وعن قتادة، إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته، وقوله: **﴿أحاط بالناس﴾** أي: كلهم في قبضته، وعن الحسن: يريد حال بينهم وبين أن يقتلوا أو يغلبوا.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ أي: الأمر الذي عاينته ليلة أسري بك إلا فتنة للناس، يقول: فتن بها قوم فقالوا: كيف يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة؟ فارتدوا وزاد الله في بصائر قوم فصدقوه، وقيل: إنه رأى في منامه قوما يرقون المنابر فأعلم أنه عطاء في الدنيا، والشجرة الملعونة قيل: في التفسير: الملعون أكلوها، وهي شجرة الزقوم التي ذكرها الله فقال: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾**[1]. وقال: **﴿فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾**[2]. وقال: **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي**

(١) سورة الدخان: آية ٤٣-٤٤.

(٢) سورة الصافات: آية ٦٦.

أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[1].

فافتتن بها المشركون، فقال أبو جهل: ما نعرف الزقوم إلا أكل التمر والزبد، فتزقموا، وقال بعض المشركين: فالنار تأكل الشجر فكيف ينبت فيها؟ فلذلك قال: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن، فإن قال قائل: ليس في القرآن أن ذكر لعنها، فالجواب في ذلك أنه لعن للكفار وهم آكلوها، وجواب آخر أن العرب تقول لكل طعام مكروه ضار: ملعون، فما يزيدهم ﴿إلا طغيانا﴾، أي: ما يزيدهم التخويف إلا خروجا عن الحد في العصيان.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[الآيات: ٦١-٦٤].

﴿**خلقت طينًا**﴾ أي: خلقته طينا، وينتصب طينا على وجهين، أحدهما: التمييز أي: خلقته من طين، ويجوز أن يكون نصبًا على الحال، أي: أنشأته في حال كونه من طين، وقوله: قال: أرأيتك، جاء (قال) هاهنا بغير حرف عطف؛ لأنه في معنى قال: أأسجد لمن خلقته طينا؟ (وأرأيتك) في معنى أخبرني، والكاف، لا موضع لها، لأنها ذكرت في المخاطبة توكيدا، وموضع هذا نصب بأرأيتك، والجواب محذوف، المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت علي أي: كرمته، وقد خلقتني من نار وخلقته من طين، فحذف هذا؛ لأن في الكلام دليلا عليه، ومعنى لأحتنكن أي: لاستأصلنهم بالإغواء لهم، وقيل: لأستولين عليهم.

---

(١) سورة الصافات: آية ٦٤.

قال الشاعر:

تشكو إليك سنة قد أجحفتْ

جــهدا على جهد وأضعفَتْ

واحــتنكَتْ أمــوالنا وكَلَلَتْ

وقوله: ﴿**واستفزز**﴾ أي: استدعه دعاء يستحقه إلى إجابتك قوله: ﴿**بصوتك**﴾ أي: بدعائك، وقيل: بصوتك قيل: بأصوات المزامير والغناء، ﴿**وأجلب عليهم بخيلك ورجلك**﴾، أي: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك، وقيل: في التفسير: خيله ورجله كل خيل يسعى في معصية الله فهي من خيل إبليس، وكل ماش في معصية الله فهو من رجالة إبليس، وجائز أن يكون لإبليس خيل ورجال.

وقرأ حفص: ورجلك بكسر الجيم، والباقون بإسكان الجيم، فمن قرأ بالإسكان فهو جمع راجل مثل صاحب وصحب والمراد به الرجالة، ومن قرأ بالكسر فيحتمل أن يريد جمع راجل أيضا، لكنه كسر الجيم اتباعا لكسرة اللام، ويحتمل أن يريد الجمع الذي ينشأ من قولك: رجل رجلان، ورجل إذا مشى مثل وسنان ووسن، وقوله: ﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾ أي: مرهم أن يجعلوا من أولادهم شيئا لغير الله كما قال: ﴿**فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا**﴾[1]. وما قالوا في السائبة والبحيرة والشركة في الأولاد، قولهم عبد العزي وعبد الحارث، وقيل: شركة في الأولاد يعني به أولاد الزنا وهو كثير في التفسير، وكل معصية في ولد أو مال فإبليس شريكهم فيها.

قوله: ﴿**وعدهم**﴾ أي: قل لهم لا جنة ولا نار، ﴿**وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**﴾ أي: باطلا.

فإن قال قائل: كيف يجوز أن يؤمر إبليس بأن يقال له شاركهم في الأموال والأولاد وعدهم بأنهم لا يبعثون؟ فإن فعل ذلك إبليس فهو مطيع، فالجواب في هذا

---

(١) سورة الأنعام: آية١٣٦.

أن الأمر على ضربين، أحدهما: متبع لا غير، والثاني: إذا تقدمه نهى عما يؤمر به، فالمعنى في الأمر الوعيد والتهديد؛ لأنك قد تقول لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها ولكنك توعده، وهذا في اللغة والاستعمال موجود كثير، ومثله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾[1]، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم وأن يعملوا بالمعاصي.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً * رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[الآيات: ٦٥-٦٧].

أي: ليس لك عليهم سلطان أن تحملهم على أن يذنبوا ذنبا لا أغفر لهم، وكفى بربك وكيلا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس (ويزجي) أي: يجري، إنه كان بكم رحيما، عن ابن عباس: يريد أولياءه وأهل طاعته، وقوله: ﴿**ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ أي: إذا مسكم الضر نسيتم الأنداد والشركاء وتركتموهم وأخلصتم لله، فلما نجاكم توليتم عن أمر الله ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ أي: كثير التغطية لنعم الله عنده قليل الشكر لطاعتها، والإنسان يعني به هنا الكفار.

قوله عز وجل:

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً * أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[الآيات: ٦٨-٦٩].

يقول: أكنتم في أمان أن يخسف بكم أن يغيبكم عنه إعراضكم، والحاصب: الريح سميت بذلك؛ لأنها تحصب أي: ترمي بالحصباء، وقيل: يريد حجارة يحصب بها

(١) سورة فصلت آية: ٤.

كأنه ذو حصب، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا﴾ أي: لا تجدون من أهل الأرض من تكلون إليه أمركم فينجيكم من ذلك الحاصب.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿نخسف﴾ بالنون وكذلك الأحرف الأربعة المعطوفة عليه، وقرأ الباقون جميع ذلك بالياء، فمن قرأ بالنون فلأن بعده ما يدل عليه وهو قوله: ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا.

ومن قرأ بالياء فلأن قبله ما يقتضيه وهو قوله: ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾.

أم أمنتم أن نعيدكم فيه، أي: في البحر، والقاصف: ريح شديدة تكسر الشجر لشدتها فتغرقكم في البحر، وتبيع ثائر ونصير، يقول: لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ولا من يتبعنا بأن نصرفه عنكم فهو في معنى تابع.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً * يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[الآيات: ٧٠-٧١].

تفضيل ابن آدم أنه يمشي قائمًا وغيره يمشي مكبًا، وأنه يتناول الطعام بيده وغيره يتناول بفيه، وقد فضل فيما أعطى من التمييز، وقوله: ﴿بإمامهم﴾، قيل: بنبيهم وقيل: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، وقيل بإمام هدى أو بإمام ضلالة أي: ممن كانوا يأتمون به في الدنيا، (ويوم) منصوب على معنى اذكر يوم ندعو، ويجوز أن يكون بمعنى نعيدكم يوم ندعو (ويجوز أن يكون) العامل في يوم فعلا دل عليه الكلام كأنه قال: لا يظلمون يوم ندعو، ودل عليه قوله لا يظلمون فتيلا، ولا يحسن أن يعمل فيه يدعو؛ لأن (يوما) مضاف إليه ولا يعمل المضاف إليه في المضاف؛ لأنهما كاسم واحد ولا يعمل الشيء في نفسه، والباء في بإمامهم تتعلق بندعو في موضع المفعول الثاني لندعو تعدى إليه بحرف، ويجوز أن تتعلق الباء بمحذوف، والمحذوف في موضع الحال، فيكون التقدير: ندعو كل أناس مختلطين بإمامهم أي: في هذه الحال ومعناه: ندعوهم وإمامهم فيهم.

ومعناه: على القول الأول، ندعوهم باسم إمامهم.

وقد روي عن الحسن أن الإمام هنا الكتاب الذي فيه أعمالهم، فلا يحتمل على هذا أن تكون الباء إلا متعلقة بمحذوف، ذلك المحذوف في موضع الحال، تقديره: ندعوهم ومعهم كتابهم الذي فيه أعمالهم، كأنه في التقدير: ندعوهم ثابتا معهم كتابهم، أو مستقرًا ونحو ذلك، وقوله لا يظلمون فتيلا، أي: مقدار فتيل.

قوله عز وجل:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً * إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الآيات: ٧٢-٧٥].

يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا؛ لأنه لا يجد متابًا ولا متخلصا مما هو فيه، وقيل: من كان في هذه النعم يتقلب فيها غدوة وعشية وعمي عليه أنها من عندي فهو ما ينعت له من أمر الآخرة أعمى، وهو من عمى القلب فهو ثلاثي من عَمِيَ فلذلك أتى بغير فعل ثلاثي، وفيه معنى التعجب، ولو كان من عمى العين لقال فهو في الآخرة أشد عمى، أو أبين عمى؛ لأن فيه معنى التعجب وعمى العين شيء ثابت كاليد والرجل فلا يتعجب منه إلا بفعل ثلاثي وكذلك حكم ما يجري مجرى التعجب.

ويفتنونك، يستنـــزلونك، ومعنى الكلام، كادوا يفتنوك، ودخلت إن واللام للتوكيد، وقوله: **﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾** أي: عن القرآن وما فيه من أمر ونهي، **﴿لِتفْتَرِيَ﴾** أي: لتختلق علينا من تلقاء نفسك غير الوحي، **﴿وَإِذًا﴾** أي: لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك خليلا، عن ابن عباس: أتاه وفد ثقيف وسألوه أن يمتعهم باللات سنة فأبى، فأقبلوا يقولون سنة واحدة حتى تعرف العرب فضلنا عليها فأمسك عن الجواب، وداخلهم الطمع فأنـــزل الله هذه الآية.

وقيل: قالت له قريش إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط

الناس ومواليهم، لنكون نحن من أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه هذه الآية.

وقيل: قال المشركون: لا نكف عنك إلا أن تسلم بآلهتنا ولو بطرف أصابعك فقال: وما علي لو فعلت والله يعلم إنني لذلك كاره فنــزلت هذه الآية.

﴿**ولولا أن ثبتناك**﴾ الآية قوله: شيئا قليلا أي: قارب من غير عزم، وقوله: (**إذا**) أي: لو ركنت في ذلك الشيء القليل لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد من ينصرك علينا.

قوله عز وجل:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً * أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الآيات: ٧٦-٧٨].

(من الأرض) يريد من أرض المدينة، وذلك أن اليهود قالت للنبي ﷺ: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فلو أنك خرجت إلى الشام صدقناك، فوقع ذلك في قلب النبي ﷺ فأنــزل الله هذه الآية، يقول: لو أنك خرجت ولم يؤمنوا لنــزل بهم العذاب، وعن قتادة: هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ ولو فعلوا ما نوظروا.

وعن الحسن الاستفزاز هنا القتل، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر: ﴿**خَلفك**﴾ بفتح الخاء وإسكان اللام.

والباقون: ﴿**خلافك**﴾ بكسر الخاء وألف بعد اللام، فمن قرأ بفتح الخاء، قال يعني بعدك، ومن قرأ بكسر الخاء فعلى أن معناه مخالفتك، وعن أبي عبيدة: معنى خلافك بعدك، والسنة، السيرة، ونصب سنة على المصدر، يعني: سن الله أن من أخرج نبيه هلك، وقال الفراء: يريد كسنة الله فلما حذف الكاف نصب ولا تجد لسنتنا أي: لسيرتنا في الأمم تحويلا، أي: لا تتحول عن مستحقها.

و﴿**دلوك الشمس**﴾ زوالها وميلها وقت الظهر، يكون دلوكها ميلها للغروب، وغسق الليل ظلامه، ﴿**وقرآن الفجر**﴾ أي: أقم صلاة الفجر، وسميت الصلاة قرآنا،

لأن القرآن ركن فيها، ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾، أي: يشهده ملائكة الليل والمغرب والعشاء، كأنه يقول من ذلك الوقت إلى هذا الوقت على ما بين من حال الصلوات الأربع، ثم صلاة الفجر فأفردت بالذكر.

قوله عز وجل:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۞ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۞ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الآيات: ٧٩-٨١].

(تهجد) أي: اسهر للصلاة ولذكر الله، يقال: تهجد إذا سهر، وهجد إذا نام، ﴿**نافلة لك**﴾ عن ابن عباس: يريد فريضة عليك، وعن مجاهد: فضيلة له ولغيره كفارة، وقيل: زيادة خاصة؛ لأن الله تعالى أمر أن تزاد في عبادته على ما أمر به الخلق أجمعين؛ لأنه فضله عليهم وكأنه بيان القول الأول، والمقام المحمود، روي عنه أنه قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي، وعن ابن عباس، مقاما يحمده فيه الأولون والآخرون، فتشرف فيه على جميع الخلائق تُسأل فتعطى وتَشْفَع فَتشُفَعَ، ليس أحد إلا تحت لوائك، ﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق**﴾، عن ابن عباس أي: أدخلني مكة بالعزة والقوة، وأخرجني من مكة إلى المدينة لا ألقى إلا مؤمنا، وقيل: قاله لما رجع من معسكره إلى المدينة يريد الشام، يقول: أدخلني المدينة وأخرجني إلى مكة، وقيل: أدخلني فيما أمرتني وأخرجني عما نهيتني، وقيل: يريد الإدخال في الدين، والإخراج عن الدنيا.

وهو على الحق، و﴿**سلطانًا نصيرًا**﴾ أي: حجة بينة، وقيل: عزا تنصرني به على جميع من خالفني، ﴿**إن الباطل كان زهوقا**﴾، أي: ما كان من أمر الشيطان كان سريع الذهاب.

قوله عز وجل:

﴿وَنُنَـــزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[الآيات: ٨٢-٨٤].

عن ابن عباس، شفاء من كل داء، وقيل: هو شفاء من جهات: منها ما فيه البيان الذي يزيل حيرة الشك، ومنها أنه برهان من جهة التأليف والنظم، ومنها أن يرفع الله به كثيرا من المكاره والمضار، ومنها ما في تلاوته من الأجر.

لا يزيد الظالمين إلا خسارا، أي: لا يزيد المشركين إلا نقصانا بكفرهم به.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ﴾ أي: الكافر أعرض ونأى بجانبه، أي: بعد بجانبه عن قبول الحق، والبؤس، القنوط عن الفرج، عن ابن عباس، نـــزلت في الوليد بن المغيرة، وقرأ ابن عامر **﴿وناء﴾** بتأخير الهمزة وكذلك في السجدة جعله من نؤت بالحمل أنوء به نوءا إذا نهضت به، وقرأ الباقون بتقديم الهمزة في الموضعين، جعلوه من نأيت إذا بعدت، والمعنى متقارب، وقد يكون الأصل واحدا، فقد تفعل العرب ذلك فيما عينه همزه ولامه معتلة، وكان حمزة والكسائي يقرآن: **﴿ونأي﴾** بكسر النون ممالة في السورتين، وقرأ أبو بكر التي في هذه السورة مفتوحة النون ممالة والتي في السجدة بفتح النون والهمزة، والباقون بفتح النون والهمزة في السورتين جميعا.

فمن قرأ بالفتح فعلى الأصل، ومن قرأ بالإمالة، فلأنها من ذوات الياء، ومن كسر النون مع الهمزة فعلى اتباع الكسر للكسر، كل يعمل على شاكلته، قيل: على طريقته، وقيل: على طبيعته، وقيل: نيته، وقيل: على عادته، وقيل: هو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا تشاكلني.

قوله عز وجل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً * وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً * إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الآيات: ٨٥-٨٨].

عن ابن عباس، الروح الذي سألوا عنه جبريل، وشاهده قوله: **﴿نَـزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾**(١).

وعن الحسن، هو القرآن، كما قال: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾**(٢)، تأويل تسميته بالروح إنه حياة القلوب، وحياة النفوس فيما تصبو إليه من الخير عند الله، وفي بعض التفاسير عن ابن عباس، هو ملك عظيم الخلق وعن أبي صالح الروح يشبهون الناس وليسوا بناس، وقيل: هم خلق يخفون عن الملائكة كما تخفى الملائكة عن بني آدم، وقيل روح الحيوان، قل الروح من أمر ربي، أي: من الأمر الذي يعلمه ربي، وقيل من خلق ربي، والذي سأل عن ذلك قوم من اليهود، وقيل: في كتابهم أنه إذا أجاب عن الروح فليس بنبي، ثم غاب اليهود فقال ذلك: **﴿ولئن شئنا لنذهبن﴾** الآية، أي: لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر، ثم لا نجد من يتوكل في رد شيء منه، إلا رحمة من ربك، استثناء ليس من الأول، المعنى لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين.

يقال: ما معنى **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾**، فيقال الجواب: أني أقدر أن آخذ ما أعطيتك كما منعتك غيره، ولكني دبرتك بالرحمة فأعطيتك ما تحتاج إليه فتدبر بتدبير ربك، وارض بما أختاره لك.

---

(١) سورة الشعراء: آية١٩٣.

(٢) سورة الشورى: آية٥٢.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا * وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَــزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾[الآيات: ٨٩-٩٣].

﴿صرفنا﴾ أي: بينا، وقيل: وجهنا القول لكل مثل، وهو من قولك: صرفت إليك كذا أي: عدلت به إليك، وشدد للتكثير.

﴿فأبى أكثر الناس﴾ أي: أهل مكة، وينبوع يفعول من نبع الماء ينبع، والمراد به عين الماء، وقرأ أهل الكوفة: **﴿تفجر﴾** بالتخفيف والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف فأن الينبوع واحد والفعل إذا كان مرة واحدة لم يحسن فيه التشديد ومن قرأ بالتشديد فعلى أنه من أماكن كثيرة، ويؤيده قوله **﴿وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا﴾**(١)، لأنهم أجمعوا على التشديد فيه. وهو كهذا الوضع **﴿فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا﴾**، أي: في فصولها خلال الشجر.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم: **﴿كسفا﴾** بفتح السين، والباقون بإسكان السين فأما التي في الشعراء: آية ١٨٢، والتي في سبأ فقرأهما حفص بفتح السين والباقون بإسكان السين، وأما التي في الروم فقرأها ابن عامر بإسكان السين والباقون بفتح السين، فمن قرأ بالفتح فعلى أنه جمع كسفة وهي القطعة، يقال: أعطني كسفة من هذا الثوب، يريد أو تسقط السماء علينا قطعا، ومن قرأ بالإسكان فكأنه قال: أو تسقطها طبقا علينا، واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته.

وقد يكون الكسف جمعًا كثيرًا كسفة وكسف كسدرة وسدر.

---

(١) سورة الكهف: آية٣٣.

أو تأتي بالله والملائكة قبيلا عن ابن عباس: أي عيانا، ذهب إلى المقابلة أي: تأتي بهم حتى نراهم مقابلة، وتجري في هذا مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وعنه أيضًا فوجا بعد فوج، وقيل: كفيلا، ويقال: قبلت به أي: كفلت.

وهو نصب على الحال، والزخرف الذهب.

﴿**أو ترقى في السماء**﴾، المعنى إلى السماء، غير أن جوازه أنهم قالوا: نصنع سلما فترقى فيه إلى السماء فذهب بفي إلى السلم، ﴿**ولن نؤمن لرقيك**﴾، قال له عبد الله بن أمية: لن أومن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول.

قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا، أي: إنكم تتخيرون علي، الآيات، وإنما أمرها إلى الذي أرسلني فلا وجه لاقتراحكم علي.

وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿**قال**﴾ بالألف على ما في مصاحف أهل مكة والشام، والباقون: ﴿**قل**﴾ بغير ألف على ما في مصاحفهم، ووجه ذلك أنه أنـــزله عليه قل فقال، ثم أخذ عليه جبريل في عرضة أخرى قال فكانا جميعًا صحيحين.

قوله عز وجل:

﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنـــزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً * قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾[الآيات: ٩٤-٩٨].

موضع (أن) الأولى نصب، وموضع (أن) الثانية رفع، المعنى ما منعهم من

الإيمان إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا، والهدى، الرشد الذي في القرآن ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي: قاطنين فيها، لنـــزلنا عليهم ملكًا، ليكون المرسل إليهم من جنسهم، ونصب (شهيدا) على التمييز أي: كفى بالله من الشهداء، أو على الحال، أي: كفى بالله في حال الشهادة، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم، في الحديث أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ فقال: إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه.

﴿**عميًا وبكمًا وصمًا**﴾ قيل: إنهم يحشرون على هذه الصفات، ثم يجعلون يبصرون وينطقون ويسمعون، وقيل: إنهم عمي عما يسرهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم، وصم عما يلذهم، وخبت، سكنت، ﴿**زدناهم سعيرًا**﴾، أي: نارًا تسعر، ذلك أي: العذاب الذي تقدم ذكره عقابهم بكفرهم بالقرآن، وقالوا: ﴿**أئذا كنا**﴾ الآية.

قوله عز وجل:

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا * قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الآيات: ٩٩-١٠٠].

أو لم يعلموا أن الله له قدرة على أن يخلق مثلهم، يعني عبيدا له يوحدونه ولا يعدلون به شيئا، وجعل لهم أجلا قيل: الموت، وقيل: القيامة، و﴿**الظالمون**﴾، المشركون، و﴿**خزائن رحمة ربي**﴾، قيل: هو الرزق الذي لا يملكه إلا الله، وقيل: خزائن رحمته مقدوراته، لأنه يقدر من النعم على ما لا نهاية له.

إذا لأمسكتم خشية الفقر، يقال: أنفق الرجل إنفاقًا إذا قل ماله، وعن أبي عباس، الذي يحتمله الكلام إنما هو خشية أن يستغر عنكم الإنفاق ويجحف بكم، وكان الإنسان قتورًا، أي الكافر ضيقًا بخيلا، ويرتفع (أنتم) بفعل مضمر، تقديره لو تملكون أنتم؛ لأن (لو) أحق بالفعل، ومثله من الشعر قوله:

فلو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما

يريد فلو أراد غير أحوالي.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنــزلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا * وَبِالْحَقِّ أَنــزلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نــزلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنــزلْنَاهُ تَنــزِيلاً﴾[الآيات: ١٠١-١٠٦].

عن ابن عباس، تسع آيات هي: العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي شقه على بني إسرائيل كأنه ظلة.

وعن الحسن هو: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات، وعصاه يده.

وسأل بعض اليهود النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربى، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان، ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف، وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعتدوا في السبت**».

و﴿**بينات**﴾ يجوز أن يكون في موضع خفض على النعت لآيات، وفي موضع نصب على النعت لتسع.

﴿**فاسأل بني إسرائيل**﴾ عن ابن عباس: يريد المؤمنين مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿**إذ جاءهم**﴾ أي: أتاهم موسى، ﴿**فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورًا**﴾ أي: قد سحرت، وقيل: إنه بمعنى ساحر، كما يقال: مشئوم في معنى شائم، وقيل: مسحور مخدوع وبصائر دلائل واضحات، والمبثور المهلك، وفي رواية

ابن الكلبي: أني لأعلمك يا فرعون ملعونا، وقال الفراء: ممنوعا من الخير والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا أي: ما منعك منه وصرفك عنه.

وقرأ الكسائي: ﴿**لقد علمتُ**﴾ بضم التاء والباقون بفتحها.

فمن قرأ بالضم فالمعنى أنه قال ذلك مكذبًا لفرعون، في قوله: ﴿**إني لأظنك يا موسى مسحورًا**﴾ فكأنه لست كما وصفت بل أنا عالم بأنه لم ينــزل هؤلاء الآيات إلا الله، ومن قرأ بالفتح، فلأن موسى عليه السلام لا يحتج بأن يقول: قد علمت أنا وهو الرسول الداعي، وإنما يحتج بأن يقول: قد علمت صدقي وصحة نبوتي إذ أتيتك بما يعجز الخلق كلهم عنه، ويؤيده ذلك قوله: ﴿**وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ**﴾[1].

وقوله: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾[2] فأراد أن يستفزهم، أي: أراد فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر حتى يخرجوا منها، وقيل: جائز أن يكون استفزازهم من الأرض بالقتل، وقوله: ﴿**اسكنوا الأرض**﴾، قيل: أرض بيت المقدس وما حولها.

و﴿**وعد الآخرة**﴾، وعد القيامة وهي الكرة الآخرة، و﴿**لفيفا**﴾ أي: جميعا وقيل: اللفيف الجماعات من قبائل شتى، ووحد؛ لأنه مصدر من لففت لفا ولفيفا وهو نصب على الحال، ﴿**وبالحق أنــزلناه**﴾ أي: القرآن، وبالحق نــزل عليك يا محمد.

(بالحق) الأولى حال مقدرة من المضمر في أنــزلناه (بالحق) الثاني حال مقدمة من المضمر في نــزل، ويجوز أن يكون الباء في الثاني متعلقة بنــزل على جهة التعدي وما أرسلناك إلا مبشرا تبشر المؤمنين بالجنة، ونذيرا لتنذر من عصى الله بالنار.

﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ**﴾ أي: حكمناه وفصلناه، كما قال ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ**

---

(١) سورة الصف: آية٥.

(٢) سورة النمل: آية١٤.

حَكِيمٍ﴾[١] أي: يفصل، وقيل: كان ينـــزل منه شيء، ثم يمكث ما شاء الله، ثم ينـــزل شيء آخر، ونصب قرآنا بفعل مضمر، المعنى: وفرقنا قرآنا فرقناه، ويجوز أن يكون معطوفًا على مبشرًا ونذيرًا على معنى وصاحب قرآن ثم حذف المضاف، فيكون فرقناه نعتا للقرآن.

وقال الفراء: نصب القرآن بأرسلناك، أي: ما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرآنا أيضا: كما تقول: ورحمة؛ لأن القرآن رحمة، ومكث، تؤده وتثبت، **﴿ونـــزلناه تنـــزيلا﴾** أي: شيئا بعد شيء، وقيل: يريد أنه من عندنا فهو حق كله وصواب، ولهذا أكد المصدر.

قوله عز وجل:

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الآيات: ١٠٧-١٠٩].

قوله: **﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾**، قيل: هم العلماء بالله من أهل الكتاب وغيرهم، **﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا﴾**، واحد الأذقان ذقن وهو مجمع اللحيين، وعنى بالأذقان الوجوه؛ لأن الذي يخر وهو قائم للسجود يخر لوجهه وإنما ذكر الذقن؛ لأنه لما يبتديء يخر فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض ذقنه، ونصب (سجدًا) على الحال، إن كان وعد ربنا لمفعولا، أي ما كان وعد ربنا إلا مفعولا، وإن واللام دخلت للتأكيد، يريد قوله **﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**[٢] وقوله يبكون أي: خوفا من ربهم، ويزيدهم أي: القرآن وذكر الله خشوعا، أي: لين قلب ورطوبة عين.

---

(١) سورة الدخان: آية٤.

(٢) سورة الأنعام: آية١٢.

قوله عز وجل:

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الآيات: ١١٠-١١١].

(عن) ابن عباس سمع أبو جهل النبي ﷺ يقول: ياالله يا رحمن فقال: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر فأنـــزل الله هذه الآية، المعنى: أيّ أسماء الله تدعوا فله الأسماء الحسنى، قيل التسميات الحسان وفي (ما) قولان، أحدهما: أنها صلة كقوله: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾**(١). والآخر: أنها بمعنى: أي كررت لما اختلف اللفظان تأكيدًا، **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** أي: لا ترفع الصوت بالقراءة فيها رافعا، وذلك أن المشركين كانوا يؤذونه إذا فعل ذلك، ولا تخافت بها أي: لا تخفها إخفاء لا يسمع من خلفك، وابتغ بين ذلك سبيلا أي: طريقا قصدا، وقيل: نـــزلت في الدعاء، وقيل: لا تجهر بصلاتك كلها، وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل، وتخافت بصلاة النهار، وذهب إلى أن الآية منسوخة بقوله: **﴿وَاذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾**(٢). وليس بين الآيتين تناف يوجب بغيره، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا كما ادعاه المشركون، ولم يحتج أن ينتصر ذلك، فأما الياءات فقرأ ابن كثير

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف: آية٢٠٥.

﴿**أخرتني**﴾[1] بالياء في الوصل والوقف.

وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء في الوصل دون الوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والوقف، وقرأ نافع وأبو عمر: ﴿**ربي إذا**﴾ بفتح الياء والباقون بإسكان الياء.

(١) سورة الإسراء: آية ٦٢.

سورة الكهف

روي عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وأعطي نورا يبلغ السماء، ووقي فتنة الدجال.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَنــزلَ عَلَى عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنْذرَ بَأْسًا شَديدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكثينَ فيه أَبَدًا * وَيُنْذرَ الَّذينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا * مَا لَهُم به منْ علْم وَلاَ لآبَائهمْ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إن يَقُولُونَ إلاَّ كَذبًا * فَلَعَلَّكَ بَاخعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارهمْ إن لَّمْ يُؤْمنُوا بهَذَا الْحَديث أَسَفًا**﴾[الآيات: ١-٦].

﴿**الحمد لله**﴾ ثناء عليه وشكرًا لنعمه، ﴿**ولم يجعل له عوجًا قيمًا**﴾، عن ابن عباس: معناه التقويم أي: أنــزل الله الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا يقول: لم يجعل له ملتبسًا، ﴿**لينذر بأسًا**﴾، أي: بيأس، أي: عذاب، ويقال: المعنى لينذركم بأسا إلا أنه حذف، كما قال يخوف أولياءه، أي: يخوفكم أولياءه.

﴿**من لدنه**﴾ أي: قبله، وقرأ أبو بكر من: ﴿**لدنهي**﴾ بالإشارة إلى ضمة الدال وكسر النون والهاء، وإلحاق الهاء ياء.

والباقون بضم الدال وإسكان النون، وضم الهاء.

وأصل لدن الإسكان؛ لأنه اسم غير متمكن، فأسكنوا النون وضموا الهاء مثل منه وأخواها. ومن أسكن الدال فلإيثار التخفيف، كما يقال في عضد عضد، فلما أسكن الدال التقى ساكنان فكسر لذلك النون وكسر الهاء وألحقها الياء، مثل بهي وأخواها.

وقوله: ﴿**أن لهم**﴾: أي: بأن لهم، ونصب (ماكثين) على الحال، وأبدا على ظرف الزمان.

قوله: ﴿**اتخذ الله ولدا**﴾، قيل: هم زعموا أن الملائكة بنات الله من قريش،

وقيل: النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، ما لهم به من علم ولا لآبائهم أي: أسلافهم من آبائهم وآباء آبائهم.

﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾، أي: تنطق بها ألسنتهم، ﴿**إن يقولون**﴾، أي: ما يقولون إلا كذبا، إن بمعنى (ما)، و(كذبًا) نصب بالقول، ونصب (كلمة) على التمييز، كبرت مقالتهم اتخذ الله ولدا كلمة.

ومن رفع (كلمة) جعل (كبرت) بمعنى عظمت، ولم يضمر فيه شيئا، فارتفعت الكلمة بفعلها وتخرج نعتا للكلمة.

وذكر أبو العلا أحمد بن سليمان التنوخي فيما قرأته عليه أن (كلمة) نصبها على التعجب، والتقدير: ما أكبرها كلمة.

فلما عرضت ما ذكره على ابن برهان استحسنه وقال: معناه التعجب ويقال: ذكر الآباء؛ لأنهم قلدوهم ذلك، وذكر الأفواه؛ لأن الأفواه والألسنة التي خلقها الله وأقدرها على النطق استعملوها في الكفر، قوله: ﴿**باخع نفسك**﴾، أي: قاتل نفسك على آثارهم، أي: من بعدهم، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث، أي القرآن أسفا، عن مجاهد: حزنا، وعن قتادة: غضبا، وقيل: جزعا، وهو نصب؛ لأنه مصدر في موضع الحال وكسرت (إن)؛ لأنها في معنى الجزاء.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[الآيات: ٧-١٢].

﴿**زينة**﴾ أي: جمالا لها، ويقال: زينتها بالأشجار والثمار والأموال وسائر ما ينتفع به الناس.

و(أيهم) مرفوع بالابتداء؛ لأن لفظه لفظ استفهام، والمعنى: لنختبر أهذا أحسن

عملا أم هذا؟

﴿**وإنا لجاعلون**﴾ يعني يوم القيامة، والصعيد والتراب، ويقال: وجه الأرض والجرز الأرض التي لا تنبت شيئا.

﴿**أم حسبت**﴾ أي: قل أحسبت أن أصحاب الكهف، وهو غار الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قص الله نبأهم في هذه السورة.

﴿**والرقيم**﴾، قيل: لوح رصاص على باب كهفهم، وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه رقمت الكتاب، إذا كتبته، وقيل: الرقيم الوادي، وقيل: اسم القرية التي كانوا فيها، وقيل: الجبل الذي كان فيه الكهف.

كانوا من آياتنا عجبا، قيل: يرد من آياتي ما هو أعجب من ذلك، وقيل: المعنى أعلم أنهم كانوا من آياتنا عجبا، إذ أوى الفتية إلى الكهف.

ورحمة ومغفرة ورزقا، ورشدا أي: أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك، فضربنا على آذانهم أي: أنمناهم ومنعناهم السمع في الكهف، ونصب (سنين) على الظرف، و(عددا) على المصدر، المعنى يعدد عددا.

ويجوز أن يكون نعتا للسنين، والمعنى سنين ذات عدد.

﴿**بعثناهم لنعلم**﴾ أي: من قومهم، لنعلم أي الحزبين؟ عن ابن عباس يعني طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف، اختلفوا في عددهم.

ويقال اختلف الكفار والمسلمون، وعن مجاهد حزبان من قوم الفتية.

وقيل: يريد الملوك الذين تداولوا المدينة ملكًا بعد ملك، وقيل: أصحاب الكهف حزب والملوك حزب، وعن قتادة ما لواحد من القريتين بهم علم، لا لمؤمنهم ولا لكفارهم، والأمد الغاية، وفي أحصى قولان، أحدهما: أنه فعل ماض وانتصب (أمدًا) على أنه مفعول به، الثاني: وهو الأجود أنه اسم على أفعل وينصب أمدا على التمييز، ويجوز أن يكون العامل في الأمد لبثوا المعنى: أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد.

قوله عز وجل:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[الآيات: ١٣-١٦].

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: نبين لك خبرهم، بالحق أي: على وجهه وصدقه، **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾** الآية، **﴿ربطنا على قلوبهم﴾**، ألهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم إذ ناموا، يقال: إنهم كانوا في مملكة رجل من الجبارين، فجعل هو والذين في بلده يعبدون الأوثان، فلما رأى الفتية ذلك خرجوا من المدينة ثم اجتمعوا على هذه المقالة، وعن ابن عباس: قاموا من نومهم وقيل: قاموا بحضرة الملك، فقالوا: ربنا رب السموات والأرض.

والشطط الغلو في الكذب والبطلان، يقال: أشط علي فلان إذا غلا في القول وهو منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا إذا قول شطط، ويجوز أن تنصبه بالقول، **﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾**، يقال: هو إخبار على جهة الإنكار. **﴿لولا﴾** أي: هلا يأتون على عبادتهم بحجة واضحة. **﴿فمن أظلم﴾** أي: أعظم ظلما، ممن زعم أن له شريكا. **﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾**، أي: فارقتم قومكم وما يعبدون، موضع (ما) نصب أي: اعتزلتم ما يعبدون إلا عبادة الله، فإنكم لزمتموها، فيجوز أن يكون فيهم من يعبد الله مع عبادة الوثن، فيكون الاستثناء متصلا، ويجوز أن يكون جميعهم إنما يعبدون الأوثان فقط فيكون الاستثناء منقطعًا.

فأووا إلى الكهف، أي: اجعلوا الكهف مأواكم ينسئ لكم من رزقه، ويسهل لكم من أمركم ما يرتفق به.

وقرأ نافع وابن عامر ﴿مَرفِقًا﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء، قال الفراء: وكأن الذي فتحوا الميم وكسروا الفاء أرادوا أن يفرقوا بين المرفق في الأمر والمرفق من الإنسان، والعرب أيضا تفتح الميم فيها.

قوله عز وجل:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الآيات: ١٧-١٨].

قرأ ابن عامر: تَزْوَر بإسكان الزاي وحذف الألف وتشديد الراء. وقرأ الباقون بإثبات الألف وتخفيف الراء، إلا أن أهل الكوفة يخففون الزاي، والباقون يشددونها والمعنى فيها كلها واحد، أي تعدل وتميل. فمن قرأ بغير ألف جعله من الأزورار، كما قال:

فازورَّ من وقع القنا بلبانه

ومن قرأ بالألف جعله من التزاور، يقال هو أزور، من كذا وفيه زور، والأصل تتزاور، فمن خفف فعلى حذف التاء الثانية، ومن شدد فعلى إدغامها في الزاي. وتقرضهم أي: تعدل عنهم وتتركهم، قال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف　　　شمالا وعن أيمانهن الفوارس

وأصل القرض القطع، والفجوة المتسع من الكهف، ويقال: كان للكهف في مقناه من الجبل مستقبلا بنات نعش فلذلك لم تكن الشمس تدخل عليهم.

وقال الزجاج: إنما جعل فيهم هذه الآية أن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها ودل عليه قوله: ذلك من آيات الله.

وأيقاظ جمع يقظ ويقظان، عن السدي، تراهم مفتحة أعينهم فتظنهم أيقاظا ويقال: لكثرة تقلبهم تظن أنهم غير نيام، وهم رقود أي: نيام.

﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾، الظرفان، وإنما نقلبهم ذات اليمين وذات

الشمال لئلا تأكل الأرض لحومهم وعظامهم.

﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾، يقال: إنهم لما خرجوا من المدينة مروا بصاحب لهم في روع فانطلق معهم ومعه كلب، حتى أواهم الليل إلى الكهف.

والوصيد، الفناء، ويقال: عتبة الباب، قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إلي؛ لأنهم يقولون أوصد بابك أي: أغلقه، وأصله أن يلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته، والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة فإنما أراد أن الكلب بموضع العتبة من البيت، فاستعير على مذاهب العرب. وقد يكون الوصيد الباب نفسه.

قال الشاعر:

بأرض فضاء لا يشد وصيدها   عليّ ومعروفي بها غير منكر

لو اطلعت عليهم، أي: لو أشرفت عليهم على تلك الحال، لأعرضت بوجهك عنهم فرارا، ولملئت منهم رعبا.

يقال: طالت شعورهم وأظفارهم فلذلك كان الرائي لو رآهم لهرب منهم مذعورًا، وقيل: لما ألبسهم الله من الهيبة لئلا يصل إليهم أحد، ونصب (فرارًا) على المصدر؛ لأن معنى وليت منهم. ويجوز نصبه على التمييز، وتنصب (رعبا) على التمييز، تقول: امتلات فرقًا أي: من الفريق.

وقرأ ابن كثير ونافع: ﴿ولمليت﴾ بتشديد اللام، والباقون بتخفيفها والأمر بينهما قريب.

قوله عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[الآيات: ١٩-٢٠].

﴿وكذلك بعثناهم﴾ يقال: معناه، كما حفظنا أحوالهم طول تلك المدة بعثناهم

من تلك الرقدة، ويقال: لكل من خرج من الموت إلى الحياة ومن النوم إلى الانتباه مبعوث، أي: قد زال عنه ما كان يحسنه من التصرف والانبعاث. ليتساءلوا بينهم، أي: ليسأل بعضهم بعضا.

قالوا: ﴿**قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**﴾، عن ابن عباس قال رئيسهم: ربكم أعلم بما لبثتم فلا تختلفوا فإنه لم يختلف قوم إلا هلكوا، فابعثوا بورقكم، قال ابن قتيبة: الورق الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بإسكان الراء، والباقون بكسرها، فمن قرأ بالكسر فقد أتى بالكلمة على أصلها، إذ لم تدع إلى إسكان ما حقه الكسر ضرورة.

ومن قرأ بالإسكان، فلأن الراء لتكررها بمنـــزلة حرفين مكسورين وبعدها القاف مكسورة، فتصير كأنها ثلاث كسرات متواليات، فأسكن الراء طلبا للتخفيف إلى المدينة، أي المدينة التي خرجتم منها.

﴿**أيها أزكى**﴾، أي: أي أهلها أجل طعاما؟ أي: لم يدع عليه باسم الصنم الذي كانوا يعبدونه، وقيل: أحل ذبيحة؛ لأنهم كانوا مجوسا ويجوز أن يكون أكثر، وأن يكون أجود وأن يكون أرخص. وأصل الزكاة النماء والزيادة.

و(أيها) رفع بالابتداء، و(أزكى) خبره، و(طعاما) نصب على التمييز.

فليأتكم برزق منه أي: بشيء نرتزقه نأكل منه، وليرفق ولا يعنف فيرتاب به، وقيل: ليكن ذلك في سر وكتمان، ﴿**ولا يشعرن**﴾، أي: لا يعلمن بكم أحدا، أي: إن يظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما وقع فيه.

﴿**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ**﴾ أي: يقتلوكم رجما، وقيل: يشتموكم ويؤذوكم كأنهم يرجموكم بالقول القبيح، أو يردوكم إلى دينهم، ﴿**وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ أي: ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم.

قوله عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا * وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[الآيات: ٢١-٢٤].

قوله: **﴿أَعْثَرْنَا﴾** أي: أظهرنا وأطلعنا، ومنه قولهم: وما عثرت على فلان بسوء أي: ما ظهرت عليه، وأصل هذا أن من عثر بشيء وهو غافل عنه نظر إليه حتى يعرفه فاستعير العثار مكان التبيين والظهور.

﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: ليعلم الملك ورعيته أن وعد الله حق، ويزداد من يؤمن به إيمانا، **﴿إذ يتنازعون﴾** أي: يتناظرون في أمرهم، فيجوز أن يكون (إذ) نصبًا بقوله أعثرنا فيكون المعنى: وكذلك أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم، ويجوز أن يكون نصبا بقوله ليعلموا، أي: ليعلموا في وقت منازعتهم.

﴿فقالوا﴾، أي: فقال الملك وأصحابه: **﴿ابنوا عليهم بنيانا﴾** أي: استروهم من الناس، **﴿ربهم أعلم بهم﴾** أي: بما لهم في عددهم ومدة لبثهم، **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** وهم المؤمنون بالبعث والنشور، **﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾** يُصلى فيه ويترحم عليهم فيه.

وقيل: يعني بالذين غلبوا على أمرهم المطاعين والرؤساء والأول أشبه؛ لأن المساجد للمؤمنين.

ويقال: إن الذي بعثوه ليأتيهم بالطعام جاء إلى المدينة فأتى خبازًا فناوله درهمًا، فأنكر الخباز الدرهم، وقال وجدت كنـــزا لتدلني عليه أو لأرفعنك إلى الأمير،

فاجتمع الناس ورفع إلى عاملهم، فسأله فأخبره فانطلقوا حتى أتوا الكهف، فقال الفتى: مكانكم حتى أدخل إلى أصحابي فدخل فلم يُدْر أين ذهب؟

﴿**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ**﴾ أي: سيقول المتنازعون في أمرهم أي: هم ثلاثة، وكذلك ما بعده من خمسة وسبعة، ﴿**رجمًا بالغيب**﴾، أي: يقولون ذلك ظنًا وتحرضا، ﴿**وثامنهم كلبهم**﴾، عن ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدة يريد أنهم سبعة.

وقال الزجاج: دخول الواو هاهنا، وإخراجها من الأول واحد، وقد يجوز أن يكون بدل دخولها على انقطاع القصة وأن الشيء قد تم، وقال غيره: فرق بينهما؛ لأن السبعة أصل للمبالغة، والواو تدل على انقطاع الحكاية عنهم ولو جيء بها مع رابع وسادس لجاز، لأن الضمير العائد يكفي من الواو، تقول: رأيت عمرا وأبوه جالس، وإن شئت حذفت الواو للهاء العائدة على عمرو، ولو قلت: رأيت عمرا وبكر جالسا، لم يجز حذف الواو، ولا عائد يعود على عمرو.

ويقال لهذه الواو، واو الحال أو الابتداء، ويقال: واو إذ: إذ هي بمعنى إذ.

﴿**ما يعلمهم إلا قليل**﴾، عن ابن عباس: أنا من ذلك القليل.

﴿**فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ**﴾ أي: لا تأت في أمرهم بغير ما أوحي إليك أي: أفت قصتهم بالظاهر الذي أنــزل عليك، وقيل: معناه إلا مراء زائلا، يعني المراء الذي سبق كما قال:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

﴿**ولا تستفت فيهم منهم**﴾ أي: من أصحاب الكهف من أهل الكتاب، وعن ابن عباس من اليهود وعن قتادة: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

﴿**وقوله إلا أن يشاء الله**﴾ أي: إلا أن تقول إن شاء الله، وموضع (إن) نصب، المعنى إلا بمشيئة الله، وإذا قال:أنا أفعل ذلك إن شاء الله، فكأنه قال: لا أفعل إلا بمشيئة الله.

﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾، أي: أي وقت ذكرت أنك لم تستثن فاستثن وقل إن شاء الله، وعن ابن عباس: له أن يستثني ولو إلى سنة، وعن الحسن ما لم يقم من مجلسه، والذي عليه الفقهاء أنه لا يكون له حكم إذا لم يوصل باليمين، ﴿**وقل عسى**

أن يهديني﴾، أي: يعطيني من الآيات ما يكون أقرب إلى الرشد من قصة أصحاب الكهف.

وعن ابن عباس يقول: يرشدني الله لأحسن الأمور وأقربها إلى رضاه.

قوله عز وجل:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[الآيات: ٢٥-٢٦].

﴿لبثوا﴾ أي: أقاموا فيه، عن قتادة أنه على الحكاية أي: ويقولون لبثوا لقوله: **﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾**.

وقال الآخرون: بل بين الله مقدار لبثهم، وهذا أشبه؛ لأنه ليس لنا أن نصرف أخبار الله إلى أنه على الحكاية، إلا بدليل قاطع لأنه معتمد الاعتبار الذي بينه الله تعالى.

وعن الضحاك أنه قال: نـــزلت ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة، فقالوا: أيام أم شهور أم سنون؟ فنـــزلت: سنين، وازدادوا تسعا، أي: تسع سنين؛ لأن العقد يعرف بتفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير.

وقرأ حمزة والكسائي: **﴿ثلاث مائة﴾** سنين بالإضافة، والباقون بالتنوين من غير إضافة، ومن قرأ بالإضافة فعلى أن المراد ثلاث مائة سنة، ثم جعل السنين في موضع سنة.

وقيل: إن الأصل في ذلك أن يفسر بالجمع، وإنما يذكر الواحد؛ لأنه يؤدي معنى الجمع بذكر العقد قبله، فأتى به في هذا الموضع على الأصل.

ومن قرأ بالتنوين، فلأن العرب إذا أضافت العدد في مثل ذلك جاءت بالمعدود موحدا فقالت: عندي ثلاث مائة درهم، فلما كان المعدود هاهنا مجموعا كان الوجه التنوين ونصب (سنين) على البدل من ثلاث.

وقال الزجاج: (سنين) جائز أن يكون نصبا، وجائز أن يكون جرا، فأما

النصب فعلى معنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة، ويكون على تقدير العربية سنين، معطوفا على ثلاث عطف البيان في التوكيد، وجائز أن يكون سنين من نعت المائة، فهو راجع في المعنى إلى ثلاث، قال الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا لحلوبة، وهو في المعنى نعت لجملة العدد. وهي على القراءة الأولى مجرورة بالإضافة.

وقوله: ﴿**وازدادوا تسعا**﴾، تسع مفعول به بازدادوا، وليس بظرف تقديره: وازدادوا لبث تسع سنين.

وزاد أصله فعل يتعدى إلى مفعولين، قال الله تعالى: ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[1]. لكنه لما رجع فعل إلى افتعل نقص من التعدي وتعدى إلى مفعول واحد.

وأصل الدال الأولى من ازدادوا تاء الافتعال، وأصله: ازتيدوا، فقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وأبدل من التاء دالا، ليكن في الجهر كالدال التي بعدها، والزاي التي قبلها، فكانت الدال أولى بذلك؛ لأنها من مخرج التاء فيكون على اللسان من موضع واحد في القوة والجهر.

﴿**قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾ أي: هو أعلم من المختلفين في ذلك وقد بينه، وقيل: أعلم بما لبثوا إلى الوقت الذي نـــزل فيه القرآن، وقيل: بما لبثوا إلى أن ماتوا.

﴿**له غيب السموات**﴾ أي: هو عالم بما غاب فيها عن الخلق.

وما لهم من دونه من ولي، أي: من يلي أمرهم، وليس يشرك في حكمه مما يخبرهم من الغيب أحدا، وقيل: يريد أنه ليس لأحد أن يحكم إلا بما حكم الله.

وقرأ ابن عامر: ﴿**ولا تشرك**﴾ بالتاء وإسكان الكاف، والباقون بالياء وضم الكاف فمن قرأ على النهي فلأن الكلام الذي بعده على الخطاب، وهو قوله: ﴿**واتل ما أوحي إليك**﴾. ومن قرأ على الخبر، فلأنه أليق بالكلام الذي تقدمه، وهو قوله: ﴿**ما لهم من دونه من ولي**﴾.

---

(١) سورة الكهف: آية١٣.

قوله عز وجل:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الآيات: ٢٧-٢٩].

لا مبدل أي: لا مغير لما أخبر الله به وما أمر به، وملتحدا معدل عن أمره ونهيه ولا ملجأ إلا إليه.

﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾، أي: يدعونه بالتوحيد والإخلاص له ويعبدونه، وعن قتادة: هما الصلاتان صلاة الفجر وصلاة العصر، وقيل: هي الصلوات الخمس: **﴿يريدون وجهه﴾**، أي: لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه.

﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾، الفعل للعين أي: لا تصرف عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا، أي: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة، واتبع هواه أي: عدل عن الحق إلى الهوى، وكان أمره فرطا أي: سرفًا، وعن أبي عبيدة: ندمًا، وعن الفراء: متروكًا، قد ترك الطاعة وغفل عنها.

وعن الزجاج كان أمره للتفريط وهو متقدمة العجز.

وعن ابن عباس: قدم عيينة بن حصن فقال له النبي ﷺ: أسلم فقال: على أن تبني لي مقصورة في مسجدك، أكون أنا وقومي فيها، وتكون أنت معي فيها فأنزل الله هذه الآية.

﴿وقل الحق﴾ أي: الذي أتيتكم به الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، عن السدي: هو منسوخ بقوله: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾**[1]. وأنكر

---

(١) سورة الإنسان: آية ٣٠.

ذلك آخرون، وقالوا: إنها وعيد وتهديد كقوله: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1].

وقد بين بعده ما لكل فريق مؤمن وكافر فقال: ﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارا**﴾ أي: جعلناها عتادا لهم، ﴿**أحاط بهم سرادقها**﴾، قيل: هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وقيل: حصولهم في النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم، وأصله الحجر التي تكون حول الفساط، ﴿**وإن يستغيثوا**﴾ أي: يقولوا: واغوثا من الشدة التي تصيبهم، ﴿**يغاثوا بماء كالمهل**﴾ أي: كدردي الزيت، عن ابن عباس وعن ابن مسعود: ما أذيب من النحاس والرصاص، وعن مجاهد: القيح والدم يشوي الوجوه أي: إذ قدم ليشرب، انشوى الوجه من حرارته، ﴿**بئس الشراب**﴾ المهل، ﴿**وساءت مرتفقا**﴾، أي: قبحت النار متكأ، أي: مجلسا وقيل: مجتمعا كأنه ذهب إلى معنى المرافقة، وهو منصوب على التمييز.

قوله عز وجل:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[الآيات: ٣٠-٣١].

خبر إن على ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون إضمارا، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم، و لم يحتج إلى أن يذكر منهم؛ لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه محبط عمل غير المؤمنين وقال: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2]، ويجوز أن يكون خبر إن، أولئك لهم جنات عدن، ويكون قوله سبحانه، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا بمنـــزلة الذين آمنوا، ووجه ثالث: أن

---

(١) سورة فصلت: آية٤٠.

(٢) سورة الفتح: آية٢٩.

يكون الخبر إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا لأنه في معنى إنا لا نضيع أجرهم؛ لأن ذكر (من) كذكر (الذي) وذكر حسن العمل كذكر حسن الإيمان، فيكون كقولك: إن الذين يعملون الصالحات إنا لا نضيع أجر من آمن، فهو كقولك: إنا لا نضيع أجرهم ﴿**أولئك لهم جنات عدن**﴾، أي: إقامة، ويقال: هو اسم من أسماء الجنة، وأساور جمع أسوار على حذف الزيادة، لأن أصله أساوير عن قطرب، وعن أبي عبيدة، هو جمع أسورة، وأسورة جمع سوار.

﴿**سندس واستبرق**﴾ ونوعان من الحرير، وقيل: السندس الديباج الرقيق والاستبراق الغليظ منه، وسندس جمع واحده سندسة.

والآرائك السرر في الحجال، واحدها أريكة، وقيل: هي الفرش في الحجال، ﴿**نعم الثواب**﴾ أي: نعم الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة مرتفقا، أي: متكأ، ونصبه على التمييز.

قوله عز وجل:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الآيات: ٣٢-٣٨].

انتصاب (رجلين) على المفعول، والمعنى واضرب لهم مثلا مثل رجلين.

كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوه عن قصة أصحاب الكهف، وعن الروح، وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله الجواب، وأنه مثل له وللكفار وقتل لجميع من آمن بالله وجميع من عبد غيره، وكفر به، فقال سبحانه:

﴿واضرب لهم مثلا﴾ الآية.

﴿وحففناهما﴾، جعلنا النخل مطيفا بهما، يقال: حف القوم بزيد إذا كانوا مطيفين به، وجعلنا بينهما زرعا، أعلم أن عمارتهما كاملة متصلة، لا يفعل بينهما إلا عمارة.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾، أي: أثرها، **﴿ولم تظلم﴾** أي: لم تنقص منه شيئا يقل: آتتا، لأن لفظ كلتا موحد، والمعنى كل واحدة آتت أكلها، **﴿وفجرنا خلالهما﴾**، أي: فيهما نهرا، أعلم الله تعالى أن شربهما كان من نهر، وذلك أغزر للشرب.

وجاز التشديد وإن كان النهر واحدا؛ لأن النهر يمتد مكان التفجر فيه كله، وكان له ثمر من الثمار، وثمر وهو المال عن مجاهد.

فقال لصاحبه الآية نصب (مالا ونفرا) على التمييز.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: مدخلها النار بكفره، **﴿وما أظن الساعة قائمة﴾**.

أخبر بكفره بالبعث، **﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾** أي: بعثت كما تدعي أنت، **﴿لأجدن خيرا منها منقلبا﴾**، أي: معادا؛ لأنه لم يعطني في هذه الدنيا إلا وهو يزيدني في الآخرة.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر **﴿خيرا منهما﴾**، بزيادة ميم. وقرأ الباقون بغير ميم بعد الهاء.

فمن قرأ على التثنية رده على الجنتين، ومن قرأ على التوحيد رده على الجنة، قوله تعالى: **﴿ثم سواك رجلا﴾** أي: غذاك صغيرا، وأنعم عليك حتى صرت رجلا، وقرأ ابن عامر: **﴿لكنا﴾** بالألف في الوصل والوقف، والباقون بحذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف.

والأصل لكن أنا هو الله، فطرحت حركة الهمزة على النون، فحركت بالفتح، فاجتمعت نونان فأدغمت الأولى في الثانية.

فمن حذف الألف في الوصل، فلأنها ألف (أنا) وهي تثبت في الوقف دون

الوصل، ومن أثبت الألف في الوصل فعلى لغة من قال: أنا قمت، فأثبت الألف واختار ذلك في هذا الوضع؛ لأن الهمزة قد حذفت من أنا، فصار إثبات الألف عوضا من الهمزة ﴿**ولا أشرك بربي أحدا**﴾، أي: لا أدعو معه غيره.

قوله عز وجل:

﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الآيات: ٣٩-٤٢].

قوله: ﴿**لولا**﴾، بمعنى هلا، وتأويل الكلام التوبيخ و(ما) في موضع رفع، المعنى: قلت: الأمر ما شاء الله، أي: شاءه الله.

ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب مضمرا، والتأويل أي شيء شاء الله كان، والمعنى لا يكون إلا ما شاء الله، ولا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله.

﴿**إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا**﴾، (أقل) منصوب مفعول ثان لترني، و(أنا) فصل، وإن شئت جعلت أنا تأكيدًا لضمير المتكلم في ترني.

ويجوز في الكلام رفع (أقل)، تجعل (أنا) مبتدأ، وأقل الخبر، والجملة في موضع المفعول الثاني لترني.

﴿**فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك**﴾، جائز أن يكون أراد في الدنيا أو في الآخرة، وحسبان عذاب، كذا روي عن قتادة.

وقال الزجاج: الحسبان في اللغة الحساب، والمعنى يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك.

وقيل: الحسبان المرامي واحدها حسبانة، والصعيد التراب الذي لا نبات فيه، وقيل: الصعيد الأملس المستوي، والزلق الذي تزل عنه الأقدام، وغورا أي: غائرا،

جعل المصدر موضع الصفة، وهو خبر أصبح، تقديره: ذا غور.

﴿فلن تستطيع له﴾ أي: لهما طلبا، فتعمر به جنتك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي: أحاط الله العذاب بثمره، والمفعول الذي لم يسم فاعله لأحيط مضمر، وهو المصدر، ويجوز أن يكون بثمره في موضع رفع على المفعول لأحيط.

ومن قرأ بضمتين جعله جمع ثمرة كخشبة وخشب، ويجوز أن يكون جمع الجمع، كأنه جمع ثمار، كحمار وحمر، ثمار جمع ثمرة كآكام وأكمة.

ومن قرأ بفتحتين جعله جمع ثمرة كخشبة وخشب.

ومن أسكن الثاني وضم الأول فعلى الاستحقاق، وأصله ضمتان، فأصبح يقلب كفيه أي نادما، وهذا مما يوصف به النادم.

﴿وهي خاوية على عروشها﴾، العروش السقوف، يقول: قد تهدمت سقوفها فصارت الحيطان كأنها على السقوف وهي خالية على أبنيتها.

قوله عز وجل:

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ للهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[الآيات: ٤٣-٤٥].

قوله: ولم تكن له فئة رد عليه في قوله: وأعز نفرا، وجاز ينصرونه على معنى الفئة، أي: أقوام ينصرونه وما كان منتصرا، أي: ما كان هو أيضا قادرا على نصرة نفسه.

والولاية بفتح الواو النصرة، وبالكسر السلطان والقدرة، عن الكسائي وقال ابن مسلم: يريد يومئذ يتولون الله، ويؤمنون به ويتبرءون مما كانوا يعبدونه.

وقال الزجاج أي: عند ذلك يتبين نصرة ولي الله، بتولي الله إياه.

وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿الحق﴾ بالرفع، والباقون بالجر. فمن قرأ بالرفع

فهو نعت للولاية، ومن قرأ بالجر فهو نعت لله.

من رفع الحق جعل (الولاية) مبتدأ، و(هنالك) خبره و(الحق) نعت للولاية، والأمل في هنالك الاستقرار والمحذوف الذي قامت هنالك مقامه. ويجوز أن يكون لله خبرا للولاية.

ومن خفض (الحق) جعله نعتا لله، أي: لله ذي الحق وألغي هنالك فيكون الفاعل في هنالك الاستقرار الذي قام لله مقامه، ولا يحسن الوقف على هنالك في هذين التوجيهين.

ويجوز أن يكون العامل في هنالك إذا جعلت لله خبرا - منتصرا، فيحسن الوقف على هنالك على هذا الوجه. و(هنالك) يحتمل أن يكون ظرف زمان وظرف مكان، وأصله المكان.

تقول: أجلسن هنالك وهاهنا، وأقم هنالك، واللام تدل على بعد المشار إليه، هو خبر ثوابا أي: مجازاة، و﴿**عقبا**﴾ أي: عاقبة، وهما منصوبان على التمييز.

وقرأ عاصم وحمزة: ﴿**عقبا**﴾ ساكنة القاف، والباقون بالضم، وهما لغتان بمعنى واحد، والهشيم اليابس المتفتت، ﴿**تذروه**﴾، أي: تنسفه. قال الزجاج وفيه لغتان لم يقرأ بهما تذريه بضم التاء وكسر الراء، وتذريه بفتح التاء، وقال الفراء: هي في قراءة عبد الله تذريه الريح.

يريد أن الحياة منقلبة كانقلاب النبات، كان يروق حسنًا وغضاضة ثم عاد هشيما، وقال الزجاج، ﴿**وكان الله على كل شيء مقتدرًا**﴾، أي: على الإنشاء والإفناء مقتدرا، فإن قال قائل: فالكلام كأن الله قائله إن من شاهدتم من قدرته لمن يحاذر عنده، وأنه كذلك كان ولم يزل، هذا مذهب سيبويه، وقال الحسن: كان الله على كل شيء مقتدرا، أي: كان مقتدرا عليهم قبل كونها، وقال بعضهم: كان من الله سبحانه بمنـزله كائن ويكون، وقول الحسن في هذا حسن.

ومذهب سيبويه والخليل في هذا مذهب النحويين الحذاق، لأنهم يقولون إنما خوطبت العرب بلغتها ونـزل القرآن فيما يعقلونه ويتخاطبون به، والعرب لا

تعرف كان بمعنى يكون إلا بأن يدخل على الحرف آلة تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا تعرف الماضي في معنى الحال، وهذا شرح جميع ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١]. ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢].

قوله عز وجل:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً * وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الآيات: ٤٦-٤٩].

﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: جمالها الذي يتزين به أهل الدنيا. والباقيات الصالحات يقال: هي الصلوات الخمس، ويقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقيل: كل عمل صالح يبقى ثوابه.

﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ أي: ما يأملون. **﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾** أي: واذكر يوم، ويجوز أن يكون على الباقيات الصالحات خير يوم تسير الجبال.

لا يحسن أن يكون العامل ما قبله؛ لأن حرف العطف يمنع من ذلك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: **﴿تسير الجبال﴾** بالتاء وفتح الياء، الجبال رفعا، والباقون **﴿نسير﴾** بالنون، الجبال نصبا.

فمن قرأ على ما لم يسم فاعله فلقوله: و**﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾**[٣]. **﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾**[٤].

---

(١) سورة النساء: آية٩٦.
(٢) سورة الأحزاب: آية٤٠.
(٣) سورة النبأ: آية٢٠.
(٤) سورة التكوير: آية٣.

ومن قرأ بالقراءة الأخرى، فلقوله: ﴿**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**﴾ إذا لم يعدل به إلى لفظ ما لم يسم فاعله، وهو إليه أقرب.

وتسييرها جعلها تسير، وقيل: تسير بأن تجعل هباء منبثًا ﴿**تَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً**﴾ أي: أبرزنا أهلها من بطنها. وقيل سيرت الجبال فصارت كلها بارزة، لا يسيرها شيء، حشرناهم، أي: سقنا بني آدم إلى محشرهم، فلم نترك، و لم نخلف منهم أحدًا.

وقوله (صفا) نصب على الحال، أي: مصطفين ظاهرين لله، يرى جماعتهم كما يرى واحد منهم، لا يحجب واحد واحدًا.

﴿**كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي: بعثناكم كما خلقناكم، وقيل يحشرون حفاة عراة غرلا، ﴿**بل زعمتم**﴾ أي: في دنياكم أن لن نجعل لكم موعدا. أي: إن لم يبعثوا، لأن الله وعدهم بالبعث.

﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**﴾ أي: كتاب كل امرئ في يمينه أو في شماله،وترى المجرمين خائفين مما فيه، يقولون ﴿**يا ويلنا**﴾، أي: قد لزمنا الويل، ﴿**لاَ يُغَادِرُ**﴾ أي: لا يترك موضع لا يغادر نصب على الحال، أي شيء لهذا الكتاب غير مغادر صغيرة من الذنوب ولا كبيرة، إلا تضمن ذكرها. ووجدوا ما عملوا من أعمالهم في الدنيا مثبتا، ولا يظلم ربك أحدا، أي: في المجازاة.

قوله عز وجل:

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً * مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾[الآيات: ٥٠-٥٣].

قوله: ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾، عن ابن عباس، كان من الملائكة فلما

عصى لعن فصار شيطانا.

وعن قتادة: قبيل من الملائكة يقال لهم الجن، وعن الحسن، أنه من الجن بمنـــزلة آدم من الإنس، وهو نصب على الاستثناء المنقطع، على مذهب من رأى أن إبليس لم يكن من الملائكة، وقيل: هو من الأول، لأنه من الملائكة كان.

﴿**ففسق عن أمر ربه**﴾، أي: خرج عن طاعته، وقيل معناه: أتاه الفسق لما أمر فعصى، وكان سبب فسقه أمر ربه، كما تقول أطعمه من جوع، أي: كان سبب الإطعام الجوع.

﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء**﴾، أي: أفتتولوهم من دوني، وهم لكم عدو، أي: أعداء، بين ما استبدل به الظالمون من رب العالمين إبليس، ﴿**ما أشهدهم خلق السموات**﴾، أي: ما كانوا موجودين إذ خلقت السموات والأرض، ﴿**ولا خلق أنفسهم**﴾، أي: وما أشهدت بعضهم خلق بعض، كما قال: ﴿**لاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾[1]. أي: لا يقتل بعضكم بعض.

وعضد أعوان يقال: اعتضد فلان بفلان، إذا استعان به، وقوله: نادوا شركائي، أضافهم إليه على قوله: ﴿**فلم يستجيبوا لهم**﴾، أي: يجيبوا دعاءهم، ﴿**وجعلنا بينهم موبقًا**﴾.

قال الفراء: يقول جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكًا لهم في الآخرة وهو من أوبقته ذنوبه إذا أهلكته، ووبق إذا هلك. وعن أبي عبيدة: الموبق الموعد. وعن الزجاج: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم. وعن مجاهد: أن الموبق وادي جهنم، وعن الحسن: العداوة.

وقرأ حمزة نقول بالنون، والباقون بالياء، وهو الاختيار لقوله: ﴿**نادوا شركائي**﴾، ولم يقل شركاءنا.

وقوله: ﴿**فظنوا أنهم مواقعوها**﴾ أي علموا أنهم ملابسوها وواصلون إليها والمصرف، المعدل.

(١) سورة النساء: آية٢٩.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾[الآيات: ٥٤-٥٨].

﴿صَرَّفْنَا﴾ أي: بينا للناس من كل مثل يحتاجون إليه، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا، أي: خصامًا، عن ابن عباس: يريد النضر بن الحارث وجداله في القرآن.

وقال الزجاج يعني الكافر، وكل من يعقل من الملائكة والجن يجادل والإنسان أكثر هذه الأشياء جدالا.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ أي: الرشاد على لسان محمد ﷺ، **﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾** أي: إلا طلب أن تأتيهم فأن الأولى في موضع نصب بمنع، والثانية في موضع رفع فاعل منه، **﴿وسنة الأولين﴾** أي: سبلنا في إهلاكهم، وقبلا، عيانا، و**﴿قبلا﴾**: أنواعًا، أي قبيلا قبيلا، وقيل: شيء بعد شيء من جنس واحد، هو نصب على الحال، وقيل: معناه مقابلة، أي: يقابلهم عيانا، من حيث يرونه.

مثل الأول حكى أبو زيد: لقيت فلانا قبلاً وقبُلاً وقُبَلاً وقبَيلاً ومقابلة بمعنى واحد.

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾، أولياء الله، **﴿ومنذرين﴾**، أعداءه **﴿ويجادل الذين كفروا﴾**، أي: يحاجون بالباطل، **﴿ليدحضوا﴾**، أي: يزيلوا الحق الذي أتى به محمد ﷺ.

والهمزة السخرة، و﴿**ما قدمت يداه**﴾، أي: ما سلف من الذنوب. و﴿**أكنة**﴾ أغطية ﴿**أن يفقهوه**﴾ أي: أن يصل إلى قلوبهم فقه ما يخاطبون به.

وقوله: لعجل لهم العذاب، يقول: لو يؤاخذ المشركين بما كسبوه لأسرع لهم العذاب كفعله بالأمم الماضية، و﴿ **موعد** ﴾، ميقات لنزول العذاب بهم. و﴿**موئلا**﴾ أي: ملجأ، وعن أبي عبيدة، منجا، من وأل يئل إذا نجا.

قوله عز وجل:

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۞ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الآيات: ٥٩-٦٥].

﴿**تلك القرى**﴾ يعني به من أهلك من الأمم الخالية، نحو عاد وثمود، والمعنى أهل تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا.

وموضع (تلك) رفع بالابتداء، و(القرى) صفة لها مبنية، و(أهلكناهم) الخبر، ويجوز أن يكون موضعهما نصبا، ويكون أهلكناهم مفسر للناصب، المعنى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم. ﴿**وجعلنا لمهلكهم موعدا**﴾ أي: أجلا.

وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام فيهما، والباقون بضم الميم وفتح اللام فيهما فمن فتح الميم واللام جعله مصدر هلكوا مهلكا، وهو مضاف إلى المفعول به على لغة من أجاز تعدى هلك، ومن لم يجز تعديه فهو مضاف إلى الفاعل.

ومن فتح الميم وكسر اللام جعله اسما للزمان تقديره: لوقت مهلكهم ويكون في الزمان والمكان جميعا. وقيل: هو مصدر هلك أيضا أتى نادرا مثل المرجع والمحبس.

ومن ضم الميم وفتح اللام، جعله مصدر أهلكوا. وإذا قال موسى لفتاه أي: ليوشع ابن نون وسمي فتاه؛ لأنه كان لازمًا له يأخذ عنه العلم، وقيل: لأنه كان يخدمه.

﴿لاَ أَبْرَحُ﴾ أي: لا أزال، ومجمع البحرين الموضع الذي وعد فيه لقاء الخضر، عن ابن عباس، العذب والملح، وعن قتادة: بحر فارس والروم، قيل: طنجة وقيل: إفريقية.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: دهرًا وزمانًا، قال الفراء: هو في لغة قيس سنة وجاء في التفسير إنه ثمانون سنة.

وقوله: ﴿نسيا حوتهما﴾، قال الفراء: إنما نسيه يوشع فأضافه إليهما، كما قال ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾(١) وإنما يخرج من الملح دون العذب وقال الزجاج: كان النسيان من يوشع أن يقدمه، ومن موسى أن يأمر فيه بشيء فكانت فيما يروى سمكة مملوحة. ﴿فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا﴾، أي: مسلكًا ومذهبًا يقال: حي فوقع في البحر فوجد طريقه فكان كالسرب، وهو منصوب على وجهين: على المفعول الثاني، كقولك: اتخذت زيدا وكيلا، وعلى المصدر المدلول عليه؛ لأن قوله: فاتخذ سبيله في البحر، معناه: سرب في البحر، ﴿فلما جاوزا﴾ أي: موضع الموعد قال ليوشع: ﴿آتنا غداءنا﴾، وكانت السمكة من عدة غدائهما، و﴿نصبًا﴾ أي: تعبا. وذلك أنه لما خرج من الموضع الذي يريده نصب.

قال: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة﴾، يقال: هي الموعد، فإني نسيت الحوت، وأن أذكره، أي: أذكر الحوت (وإن) في موضع نصب على البدل من الهاء، المعنى وما أنساني أن أذكره إلا الشيطان، واتخذ سبيله في البحر عجبا، جاء في التفسير أن موسى لما رأى ذلك قال: عجبا، أي: أعجب عجبا، وقيل: معناه اتخذ سبيله في البحر سبيلا عجبا، وعجبا مصدر، إن جعلته من قول موسى، وتقف في البحر، كأنه لما قال فتى موسى، واتخذ سبيله في البحر، قال موسى أعجب عجبًا، وإن جعلت عجبًا من قول فتى موسى، كان مفعولا ثانيا لاتخذ، وقيل: تقديره واتخذ سبيله في

---

(١) سورة الرحمن: آية٢٢.

البحر يفعل شيئًا عجبًا، فهو نعت لمفعول محذوف، وقيل: من قول موسى كله تقديره: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر يعجب عجبا فالوقف على عجبًا على هذا التأويل حسن.

﴿**قال ذلك ما كنا نبغ**﴾، أي: هذا الذي كنا نريد، وعد بالخضر في ذلك المكان ﴿**فارتدا**﴾ أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، والقصص اتباع الأثر، ﴿**فوجدا عبدا من عبادنا**﴾، يعني الخضر، ويقال: سمي الخضر؛ لأنه كان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله، وروي عن أبي وعن النبي ﷺ، أن موسى عليه السلام سئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه أن بمجمع البحرين عبدا هو أعلم منك.

قوله عز وجل:

﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ * ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**﴾[الآيات: ٦٦-٧٣].

﴿**رشدا**﴾ أي: علمًا يرشدني إلى ما لا علم لي به مما ينفعني، ويجوز أن يكون رشدا مفعول من أجله، ومعناه هل أتبعك للرشد على أن تعلمني مما علمت، فيكون على وما بعدها حالا.

وقرأ أبو عمرو: ﴿**رَشْدًا**﴾ بفتح الراء وإسكان الشين والباقون بضم الراء، وحكى اليزيدي عن أبي عمرو، أن الرشد الصلاح والرشد في الدين، وحكى عنه غيره، أنها كانت في وسط الكلمة فهي رشدًا، وإذا كانت في آخر آية فهو رشد، وهذا يقتضي أنهما لغتان كالعَرَب والعُرْب، ويشهد للقراءة الأولى قوله: ﴿**وَهَيِّئْ لَنَا**

مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١]. وللقراءة الثانية التوفيق بين هذا الحرف وبين ما قبله وما بعده من أواخر الآية، إذ كان الأوسط من كل واحد منهما ساكنا.

قال الخضر لموسى: ﴿**إنك لن تستطيع معي صبرا**﴾، ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**﴾، أي: على ما ظاهره منكر، وآل الصلاح لا يصرون على ذلك.

ونصب (خبرًا) على المصدر، لأن معنى لم تحط، لم تخبر.

قال: ﴿**ستجدني إن شاء صابرا**﴾ على ما أراده، وأطيعك فيما تأمرني به، ولا أعصي، عطف على صابر، وهو منصوب على المفعول الثاني لستجد، ويجوز أن يكون عطفًا على ستجدني فلا يكون له موضع من الإعراب.

وقوله: ﴿**حتى أحدث لك منه ذكرا**﴾، أي: إلى أن أبين لك الوجه فيه.

وقرأ نافع وابن عامر بفتح اللام في تسألني وتشديد النون، والباقون بإسكان اللام وتخفيف النون.

وهي في القراءة الأولى مبنية لأجل النون، وفي القراءة الثانية مجزومة بالنهي، وقوله: أخرقتها لتغرق أهلها، أي: الذين فيها، وإنما قال ذلك، لأن خرقها كان مما يلي الماء، وإمرا أي: منكرا، وقيل: عجبا، وقال الكسائي: كثيرًا، من قولك إمرا القوم، إذا كثروا.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿**ليغرق أهلها**﴾، بالياء، مفتوحة الياء وفتح الراء، أهلها رفعا، والباقون لتغرق بالتاء مضمومة، وكسر الراء، أهلها نصبا، والأمر بينهما قريب.

قوله: ﴿**لا تؤاخذني بما نسيت**﴾، جاء في الحديث أنه كان نسيانًا، وعن أبي بن كعب: لم ينس ولكنها من معاريض الكلام. ﴿**ولا ترهقني**﴾ أي: لا تجعلني، وقيل: لا تغشى، يقول عاملني باليسر، لا بالعسر.

---

(١) سورة الكهف: آية١٠.

قوله عز وجل:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[الآيات: ٧٤-٧٦].

قيل: كان قتله قتل عنق، وقيل: ذبحه بالسكين.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: **﴿زاكية﴾** بالألف وتخفيف الياء، والباقون بحذف الألف وتشديد الياء.

وذكر أنها مكتوبة في مصاحف أهل مكة والمدينة بالألف، وفي مصاحف غيرهما بلا ألف. وعن الكسائي والفراء: أنهما لغتان مثل قسية وقاسية.

وعن اليزيدي: الزاكية التي ليس لها إليك ذنب، والزكية التقية، ويقال: وصفها بذلك؛ لأنها كانت صغيرة لم تبلغ الحنث، ونكير منكر لم يبلغ الحنث، ونكر منكر، ونصب (شيئا نكرا) على أتيت شيئا نكرا. ويجوز أن يكون معناه جئت بشيء نكر، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: **﴿نكرا﴾** بضم الكاف، وكذلك قوله **﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾**(١). وفي الطلاق **﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾**(٢). والباقون بإسكان الكاف فيهن.

فأما قوله في القمر **﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾**(٣) فقرأ ابن كثير بإسكان الكاف والباقون: بضمها وهما لغتان وكثرت القراءة في التي في القمر بالتثقيل؛ لأن أواخر الآي فيها مثقلات، ونحو **﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾**(٤) قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا على ما تراه مني، مما تنكر ظاهره، قال: إن سألتك عن شيء بعد هذه الثالثة فلا تصاحبني، **﴿قد بلغت من لدني عذرا﴾**، أي: اعتذرت فيما بيني وبينك.

---

(١) سورة الكهف: آية٨٧.

(٢) سورة الطلاق: آية٨.

(٣) سورة القمر: آية٦.

(٤) سورة القمر: آية٥.

وقرأ نافع: ﴿لدني﴾ بضم الدال وتخفيف النون، وقرأ أبو بكر، بإشمام الدال الضم وتخفيف النون، والباقون بضم الدال وتشديد النون. والأصل لدن بضم الدال وإسكان النون. فمن قرأ بتشديد النون زاد عند الإضافة نونا ليسلم سكون النون، كما يقول: مني وعني، ومن قرأ بتخفيف النون أخرجها عن الأصل، كما قال:

قدني من نصر الخبيبين قدي

فجاء باللغتين، ومن أسكن الدال فلإيثار التخفيف كما يقول في عَضُد عَضْد.

قوله عز وجل:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ❁ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الآيات: ٧٧-٧٨].

يقال: القرية هي أنطاكية، وقيل: برقة، وقيل: الأبله.

قوله: يريد أن ينقض أي: قد كان مال، والمعنى إن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهر كما يظهر أفعال المريدين، فوصف الشيء بالإرادة إذا كانت الصورتان واحدة.

و﴿ينقض﴾ يسقط بسرعة وهو من قضضت الشيء، ووزنه ينفعل وقيل: هو من نقضت، ووزنه، يفعل، نحو يحمر. ﴿فأقامه﴾، يقال: رفعه بيده فقام، وفي بعض التفاسير، هدمه ثم بناه.

﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾، يقول: لو شئت لم تقمه حتى يقرونا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء. والباقون ﴿لاتخذت﴾ بتشديد التاء وفتح الخاء.

فمن خفف التاء جعله من تخذت، فأدخل اللام التي في جواب (لو) على التاء التي هي فاء الفعل، حكى أهل اللغة تخذت، أتخذ.

وحكى سيبويه، استخذ فلانا أرضا، أصله اتخذ على افتعل، لكنه أبدل من التاء الأولى سينا. ومن شدد جعله افتعل فأدغم التاء الأصلية في الزائدة.

وقال الأخفش: التاء الأولى في اتخذ بدل من واو، والواو بدل من همزة.

وقيل: هي بدل من ياء والباء بدل من همزه حكاه ابن كيسان عنه، قال هذا، أي: هذا الذي قتله، وقيل: يريد هذا الوقت فراق بيني وبينك، المعنى هذا فراق بيننا، أي: فراق اتصالنا، ومثله قول الرجل لصاحبه أخزى الله الكاذب مني ومنك، يريد منا، وذكر مني ومنك يكون توكيدًا.

قوله عز وجل:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[الآيات: ٧٩-٨١].

﴿وكان وراءهم﴾، يعني: أمامهم عن قتادة، وقال الفراء: إنما يجوز هذا في المواقيت.

وقال الزجاج: هذا جائز في اللغة؛ لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك.

ويجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم عليه، ولم يكونوا يعلمون بخبره فكان يأخذ كل سفينة لا عيب فيها، فإن كانت عائبة لم يعرض لها، ويقال: هو هد ذين بدد.

وقوله: **﴿فخشينا﴾** هو من قول الخضر، وقيل: جائز أن يكون عن الله ويكون المعنى فكرهنا.

وقال الفراء: فعلمنا أن يرهقهما، أي: يغشيهما، وقيل: يحملهما على الرهق، وهو الجهل، **﴿طغيانًا﴾** أي: خروجًا عن الحد في العصيان، وكفرًا بالله وكان الغلام كافرًا، وألقيت عليه محبة من أبويه فأردنا أن نعطيهما بدلا من ابنهما، خيرًا منه، **﴿زكاة﴾** أي: دينا وقيل: عملا وقيل: صلاحًا.

﴿وأقرب رحما﴾ قال الفراء: يكون أقرب أن يرحما. وقيل: أبر بوالديه من المقتول، والرحم العطف.

وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿ويبدلهما﴾ بالتشديد وكذلك في التحريم والقلم والباقون بالتخفيف فيهن.

فأما التي في النور فقرأها ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف. والباقون بالتشديد وهما لغتان أبدلت وبدلت.

وقال الفراء بدلت الشيء إذا غيرته، وأبدلته إذا ذهبت به وأتيت بغيره، قال أبو النجم:

عزل الأمير للأمير المبدل

ويشهد للقول الأول قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾[1].

وكثرت القراءة بالتشديد في التي في النور، لإرادة التكرير بأن يبدلهم الله الخوف بالأمن مرة بعد مرة، وأمنا على أمن.

وقرأ ابن عامر: ﴿رحما﴾ بضم الحاء، والباقون بإسكانها وهما لغتان، والاختيار التخفيف؛ لأن أواخر الآي قبله وبعده مخففات.

قوله عز وجل:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الآية:٨٢].

كنـــز، عن ابن عباس صحف علم، وعن الحسن، لوح من ذهب مكتوب فيه حكم، وعن قتادة، كان كنـــز مال.

قال الزجاج: المعروف في اللغة أن الكنـــز إذا أفرد فمعناه المال المدخر وكان أبوهما صالحا، عن ابن عباس، حفظهما بصلاح أبيهما، وما ذكر عنهما صلاح، وعن ابن جبير، كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها، وقوله: ﴿يبلغا أشدهما﴾، أي: يكبرا ويعقلا، ونصب (رحمة) على أنه مفعول له، المعنى: فعلنا ذلك رحمة، أي:

---

(١) سورة النحل: آية١٠١.

للرحمة، وقيل: على المصدر؛ لأن ما ذكر قبله معناه، رحمهما الله بذلك.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي: كان بأمر الله تعالى، وأصل اسطاع، استطاع بالتاء، لكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجتماعهما.

قوله عز وجل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[الآيات: ٨٣-٨٩].

يقال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه كانت له ضفيرتان، وعن علي أنه دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنيه أي: جانبي رأسه، ويجوز أن يكون سمي بذلك؛ لأنه بلغ قطري الأرض مشرقها ومغربها، قل: ﴿**سأتلوا عليكم منه**﴾، أي: من حديثه ذكرًا.

قيل: يعني أهل مكة وقيل: اليهود؛ لأنهم سألوا عن قصته.

و﴿**مكنا**﴾، أي: وطأنا له في الأرض، ﴿**وآتيناه من كل شيء سببًا**﴾، أي: علمًا يتسبب به إلى ما يريد، كذا روى: عن ابن عباس. وعن مجاهد طرقًا ما بين المشرق إلى المغرب. ﴿**فأتبع سببًا**﴾، سبب العلم، وقيل: الطريق.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿**فاتبع**﴾ موصولة مشددة التاء، وكذلك في الموضعين الآخرين. وقرأ الباقون مقطوعة الألف ساكنة التاء فيهن.

فمن قرأ بالتشديد قال: إنها من المسير إنما هو افتعل من قولك تبعت القوم، وأما الاتباع فمعناه اللحاق، ذكره أبو عبيدة.

ومن قرأ بالتخفيف فعلى أن المعنى فيهما واحد، وحكى ذلك عن المبرد وقطرب وغيرهما.

﴿وتغرب في عين﴾ في موضع نصب على الحال من الهاء في وجدها.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص: ﴿حمئة﴾ محذوفة الألف مهموزة.

والباقون حامية بالألف من غير همز. فمن قرأ بالهمز أراد في عين ذات حمأة وحجته ما روي عن ابن عباس أنه قال: أقرأني أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة.

قال اليزيدي: وقد جاء عن كعب أنه قال لمعاوية: تجدها تغرب في ثأط، والثأط الحمأة، ومن قرأ بالألف أراد في عين حارة، ومن حجته ما روي عن أبي ذر قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، والشمس عند غروبها فقال: هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تغرب في عين حامية.

ولا ينفي أحد الأمر الآخر؛ إذ كان جائزا أن يكون العين التي تغرب الشمس فيها حارة، وهي مع ذلك ذات حمأة.

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ أي: جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة.

﴿قلنا ياذا القرنين﴾ الآية، قال الزجاج: أباحه الله هذين الحكمين كما أباح محمدا الحكم بين أهل الكتاب، والإعراض عنهم وقال غيره إما أن تعذب، بالقتل لإقامتهم على الشرك بالله، وإما أن تتخذ فيهم حسنًا بأن تأسرهم فتعلمهم الهدى، وتستنقذهم من العمى.

وقال الفراء: موضع (أن وأن) كليهما نصب، ولو رفعت كان صوابًا، والنصب على افعل هذا أو هذا، والرفع هو هذا أو هذا، قال: أما من ظلم أي: أقام على الشرك، فسوف نعذبه بالقتل، ثم يرد إلى ربه فيعذبه بالنار، وعذاب الله بالنار أنكر من عذاب القتل.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء الحسنى بنصب الجزاء وتنوينه. وقرأ الباقون بالرفع والإضافة.

فمن قرأ بالتنوين فهو مصدر في موضع الحال، المعنى: فله الحسنى مجزيًا بها

جزاء، وقال الفراء: نصبه على التفسير.

ومن قرأ بالإضافة فهو بالابتداء أو بالفعل الذي دل عليه اللام، والحسنى على هذه القراءة يحتمل أن تكون الحسنات، ويحتمل أن تكون الجنة، وعلى القراءة الأولى هي الجنة لا محالة.

﴿**وسنقول له من أمرنا يسرا**﴾، أي: قولا جميلا، ﴿**ثم أتبع سببا**﴾، أي: سببًا آخر مما يوصله إلى ما يريده.

قوله عز وجل:

﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**﴾[الآيات: ٩٠-٩٣].

سترا، أي: شيئا يظلهم من سقف ولا لباس، عن قتادة يقال: هم الزنج وبلغنا أنهم في مكان لا يثبت عليه بنيان، فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم، ثم يخرجون إلى معايشهم، كذلك، أي: أتبع سببا إلى مطلع الشمس، كما أتبعه إلى مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم (أولئك)، ثم أتبع سببا، أي: ثالثا مما يبلغه قطرا من أقطار الأرض ﴿**حتى إذا بلغ بين السدين**﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين، والباقون بضمها فأما قوله: ﴿**عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾، فقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بضم السين، والباقون بفتحها فأما اللتان في (يس) فقرأهما حمزة والكسائي وحفص بفتح السين، والباقون بضمها.

فحكى عن الكسائي، أن السَّد والسُّد واحد، الحاجز بينك وبين الشيء.

وعن اليزيدي، السد الحاجز بينك وبين الشيء، والسَّد في العين، وعن آخرين أن ما كان من أمر الله فهو سد، وما كان من أفاعيل الناس فهو سد.

والسدان هاهنا جبلان، وقيل: إنهما جبلان لينان يزلف عنهما كل شيء.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿**يفقهون قولا**﴾، بضم الياء وكسر القاف، أي: لا

يبينون لغيرهم قولا. وقرأ الباقون بفتح الياء والقاف، أي: لا يفقهون قولا من غيرهم.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[الآيات: ٩٤-٩٨].

قرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمز فيهما وكذلك في الأنبياء. وقرأ الباقون بغير همز فيهما في السورتين.

قال بعض أهل اللغة: من همز كأنه يجعله من أجة الحر وفي شدته ومن الملح الأجاج وهو الشديد الملوحة، فهما على وزن يفعول ومفعول، ومن ترك الهمزة قال: اسمان أعجميان وليسا مشتقين من فعل ولا موضع للهمز فيهما، إنهما مثل طالوت وجالوت.

ويجوز أن يكون من لم يهمز يريد الهمز ولكن يخففه، فيكون عربيًا أيضًا.

وقرأ حمزة والكسائي: **﴿خراجًا﴾** بالألف. والباقون **﴿خرجا﴾** بتسكين الراء من غير ألف، فقيل: هما لغتان، مثل قولك الحصد والحصاد، وقيل: الخراج لما يخرج من الفرائض في الأموال، والخرج المصدر ويقال: من قرأ بغير ألف أراد فهل نجعل لك جعلا، ومن قرأ بالألف أراد فهل نجعل لك عطاء.

قال ما مكني فيه ربي خير، قرأ ابن كثير، **﴿ما مكنني﴾** بنونين خفيفتين، وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة. فمن قرأ بنونين فعلى الأصل؛ لأنهما من كلمتين، الأولى لام الفعل والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

ومن قرأ بنون واحدة فعلى إدغام النون في النون الأخرى، لاجتماعهما والمعنى، الذي مكني فيه ربي خير لي مما تجعلون لي من الخرج.

﴿**فأعينوني بقوة**﴾، أي: بعمل تعملونه معي، ﴿**أجعل بينكم وبينهم ردما**﴾، الردم أكثر من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض، يقال ثوب مردم إذا كان قد وقع رقعة فوق رقعة، وزبر الحديد، قطعة العظام.

وقرأ أبو بكر: ﴿**ردما آتوني**﴾ موصولة، وقرأ الباقون مقطوعة الهمزة فأما قوله قال: آتوني، فقرأ حمزة وأبو بكر موصولة، وقرأ الباقون مقطوع الهمزة.

فمن قرأ بالقطع قال معناه أعطوني زبر الحديد، ولا يقول: جيئوني وهو معه يكلمونه ويخاطبونه. ومن قرأ بالوصل فذكر الفراء: أنه جائز من وجهين، يكون مثل قولك: أخذت الخطام وأخذت بالخطام، ويكون على ترك الهمزة الأولى من آتوني، فإذا أسقطت الهمزة همزت الثانية.

﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾ أي سوي بينهما، بما جعل بينهما، والصدفان ناحيتا الجبل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿**الصُّدُفين**﴾، بضم الصاد والدال.

وقرأ أبو بكر بضم الصاد وإسكان الدال. والباقون بفتح الصاد والدال وكل ذلك لغات.

وذكر اليزيدي عن أبي عمرو، أن المضمومة مرتين لغة قريش.

واحتج أبو عبيدة للمفتوحة بالحديث المرفوع أنه كان إذا قر بصدف مائل أسرع المشي.

﴿**قَالَ انفُخُوا**﴾ أي: النار على الحديد، ﴿**حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**﴾ أي: كالنار، والقطر النحاس، وإنما صب النحاس المذاب على الحديد الذي قد صار كالنار ليختلط ويلصق بعضه ببعض، ويصير جبلا من حديد ونحاس، وعن أبي عبيدة: القطر الحديد المذاب، وقيل: هو الرصاص ويقال: إن هذا السد ناحية أرمينية، وقيل: وراء بحر الروم، ويقال: أن ارتفاعه مقدار مائتي ذراع، وعرضه نحو خمسين ذراعًا.

ويحتمل أن يكون آتوني من المواتاة فلا يتعدى إلى مفعول ثان، وأن يكون من الإيتاء فيصلح أن ينصب قطرا به. والأجود أن ينصبه بأفرغ؛ لأنه أقرب إليه؛ ولأن الوجه الأول يكون على حذف الهاء تقديره: آتوني قطرا أفرغه عليه ولا يحتاج في الثاني إلى ذلك.

فما اسطاعوا، قرأ حمزة مشددة الطاء، والباقون مخففة الطاء والأصل استطاعوا بالتاء. فمن قرأ بالتشديد فعلى إدغام التاء في الطاء، ومن قرأ بالتخفيف فعلى حذف التاء وهو الاختيار، لأن السين ساكنة، وإذا أدغمت التاء في الطاء صارت طاء ساكنة فيجتمع ساكنان في غير حروف اللين.

﴿**أَن يَظْهَرُوهُ**﴾ أي: على ما قدروا أن يعلوا عليه؛ لارتفاعه وإملاسه.

﴿**قال هذا**﴾ أي: هذا التمكين الذي أدركت به السد معونة وتوفيق من ربي، فإذا جاء وعد ربي، أي: أراد أن يبعثهم على الناس، وبلغت المدة ﴿**جعله دكاء**﴾، أي: دكه دكا وألصقه بالأرض.

قوله عز وجل:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُـــزُلاً * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[الآيات: ٩٩-١٠٦].

كأن المراد أنهم لكثرتهم يكونون كالماء الذي يتموج، وقيل: معنى يموجون في الشيء يخوضون فيه، ويكثرون القول، ويعني بيومئذ يوم انقضى أمر السد، أي:

ماجوا متعجبين منه.

و﴿**نفخ في الصور**﴾، أي: القرن، وعن أبي عبيدة، الصور جمع صورة.

وقوله: ﴿**كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**﴾، أي: على أبصارهم غشاوة، فلا يبصرون الحق، وكانوا لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلى عليهم للوقر في آذاهم.

﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: أفظنوا أن ينفعهم اتخاذهم عبادي من دوني أولياء، يقال: هم الذين عبدوا الملائكة والمسيح، و﴿**نـــزلا**﴾ يعني منـــزلا، وقيل: النـــزل ما يقام للضيف.

وأراد بالأخسرين أعمالا، الأنقصين حظوظًا، قيل: هم اليهود والنصارى، وقيل: أصحاب الصوامع، وقيل: أهل حروراء، ونصب (أعمالا) على التمييز، ويقال: لم يوحد وإذ كان قد تقدمه لفظ الجمع مثل قوله: ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا**﴾[1]؛ لأنه لو قال: عملا لجاز أن يتوهم أن كلهم خسروا في عمل واحد، فجمع لإزالة اللبس.

الذين ضل سعيهم، يصلح أن يكون (الذين) جرًا على النعت للآخرين ورفعًا على الاستئناف، المعنى هم الذين ضل سعيهم، وهم يحسبون أهم يحسنون صنعا أي: يظنون أهم بصدهم عن النبي ﷺ محسنون في صنيعهم وعملهم.

أولئك الذين كفروا بآيات رهم ولقائه، عن سعد، أما اليهود فكفروا بمحمد ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، فبطلت أعمالهم، ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾، أي: ليس لهم وزن يوم القيامة، وإنما يوزن من له عمل صالح، وكان على التوحيد.

وعن بعضهم يأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة.

---

(١) سورة النساء: الآية:٤.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُـزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ❋ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ❋ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الآيات: ١٠٧-١١٠].

جاء في الحديث أن الفردوس وسط الجنة، وقيل: أعلى الجنة، وقيل: هو البستان بالرومية، وقيل: بالسريانية، وقيل: البستان الذي منه العنب.

وقال الزجاج: ولم نجده في أشعار العرب إلا في بيت لحسان وهو:

وإن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما في البساتين، وحولا تحولا، يقال: قد حال عن مكانه حولا، وقيل: إن الحول، الحيلة فيكون على هذا لا يختارون منـزلا لهم غيرها. وكلماته، كلام الله وعلمه وحكمته.

وقرأ حمزة والكسائي قبل أن ينفد بالياء على أن الكلمات بمعنى الكلام، والباقون بالتاء لتأنيث اللفظ ويؤيده قوله **﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾**(١).

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: بمثل البحر، **﴿فمن كان يرجو﴾**، أي: يأمل منقلبا صالحا عند ربه، **﴿فليعمل عملا صالحا﴾**، ولا يشرك بعبادة ربه أحد قيل: لا يرائي، وقيل: لا يعبد معه غيره، فأما الياءات فقرأ نافع وأبو عمرو فهو المهتدي بالياء في الوصل، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ ابن كثير ﴿ **أَن يَهْدِيَنِي** ﴾، و﴿ **ترني** ﴾، و﴿ **أن يؤتيني** ﴾، و﴿ **ما كنا نبغي** ﴾، و﴿ **أن تعلمني** ﴾ بالياء فيهن في الوصل والوقف. وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء فيهن في الوصل دون الوقف.

---

(١) سورة لقمان: آية٢٧.

وقرأ الكسائي: ﴿**نبغي**﴾ بالياء في الوصل وسائرهن بغير ياء، وقرأ الباقون جميع ذلك بغير ياء.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، ﴿**ربي أعلم**﴾، ﴿**بربي أحدا**﴾، ﴿**أن يؤتيني**﴾، ﴿**بربي أحدا**﴾، بفتح الياء فيهن، وقرأ الباقون بإسكان الياء فيهن.

وقرأ حفص: ﴿**معي صبرا**﴾ في المواضع الثلاثة بفتح الياء، وقرأ الباقون بإسكان الياء فيهن.

وقرأ نافع وحده: ﴿**ستجدني إن شاء الله صابرا**﴾ بفتح الياء.

سورة مريم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[الآيات: ١-٤].

عن ابن عباس، كل حرف منها اسم من أسماء الله تعالى، فالكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وعن الحسن، هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى.

وقرأ ابن كثير وحفص بفتح الهاء والياء، وقرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر وحمزة بفتح الهاء وإمالة الياء، والباقون بإمالتهما جميعا.

إلا أن إمالة نافع إلى الفتح أقرب.

فمن فتح الحرفين، فعلى الأصل، ومن أمالهما فلأن لهما في الياء أصلا، وذلك أنك إذا ثنيت شيئا من ذلك رددته إلى الياء، فأمليت الألف للإشعار بذلك، وتبعها الحرف الذي قبلها.

ومن فتح أحدهما وأمال الآخر، فلأنه كره الجمع بين حرفين ممالين من حروف الهجاء، ودليل آخر لأبي عمرو، وهو أنه كسر الهاء.

قال الفراء: الذكر مرفوع بكهيعص، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك.

وأنكر أبو إسحاق الوجه الأول؛ لأن كهيعص ليس مما أنبأ الله به عن زكريا

وقال الأخفش هو مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: فيما نقص عليكم ذكر رحمة ربك، وقيل: تقديره: هذا الذي يتلى ذكر رحمة ربك.

ونصب عبده فهو تقديم وتأخير.

وقوله: ﴿خَفِيًّا﴾ أي: سرًا لا يريد به رياء! و﴿وهن العظم﴾ أي ضعف،

﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: كثر فيه الشيب، ويقال: إنه أتت له في ذلك الوقت خمس وستون سنة، وقيل: خمس وسبعون، و(شيب) نصب على التفسير، وقيل: هو مصدر شاب شيبا.

قال بعضهم: وفي هذا استعارة من أحسن ما يقال، شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه، وفي عظم الألم في القلب به، ولأنه لم يبق إلا الخمود بعده.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم أكن أخيب إذا دعوتك، وقيل: يجوز أن يكون أراد و لم أكن بعبادتك شقيًا، أي: من دعاك مخلصًا فقد وجدك وعبدك.

قوله عز وجل:

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[الآيات: ٥-٧].

﴿**الموالي**﴾ بنو العم وعصبة الرجل: ومعناه الذين يلونه في النسب، ﴿**ومن ورائي**﴾ أي: من بعدي يقال: خاف أن يرثه غير الولد. والعاقر التي لا تلد، وقوله: ﴿**وليا**﴾ يريد ولدا يرثني.

عن ابن عباس يريد النبوة، وعن الحسن النبوة والعلم، ويرث من آل يعقوب الملك، وقيل: لم يرد المال؛ لأن الأنبياء لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم، وإنما خاف بني العم على الدين، لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل.

واجعله رب رضيا، أي: ليكن ممن ترضاه وترضى عمله.

وقرأ أبو عمرو والكسائي، ﴿**يرثني، ويرث**﴾ مجزومين، والباقون بالرفع فيهما فمن قرأ بالجزم فعلى جواب الدعاء، قال الفراء: والجزم الوجه؛ لأن يرثني من آية سوى الأولى فحسن الجزاء.

ومن قرأ بالرفع فعلى صفة الولي، واختاره أبو عبيدة، واحتج بأن الأولياء قد يكون فيهم الوارث وغير الوارث.

يقول: فهب لي الذي يكون وارثي، قال: وكيف يخبر زكريا ربه إنك إذا وهبت لي وليًّا ورثني وهو أعلم به منه؟

وقوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم يسم أحد قبله يحيى، وقيل: يحيى، وقيل: لم نجعل له من قبل نظيرًا ومثلا، وقيل: لم تلد عاقرًا قبل أمه ولدًا مثله.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[الآيات: ٨-١١].

﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ أي: كيف يكون ذلك وقد انتهيت في السن، يقال: عتًا عتيًا وعتوًا، وعسى عسيًا وعسوًا.

وعتيا نصب ببلغت، وليس هو على وجه الإنكار، إنما أراد أن يعلم من أي جهة يكون له ولد، ومثل امرأته لا تلد، ومثله لا يولد له.

وقرأ حمزة والكسائي: عتيا وبكيًا وجثيًا وصليًا بكسر أوائلهن وكذلك حفص، إلا أنه يضم بكيا. وقرأ الباقون بضم أوائلهن كلهن.

فمن قرأ بالضم، فعلى الأصل؛ لأنه على فعول مصدر، أو جمع فاعل، ومن قرأ (هن) بالكسر فعلى الاتباع لكسرة الحرف الذي يليه، ومن كسر بعضًا وضم بعضا، فللجمع بين اللغتين.

قال كذلك، الكاف في موضع رفع، أي: قال له الملك: كذلك، أي: الأمر كما قيل، فهو خبر ابتداء محذوف.

قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: خلقه على سهل، ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي: أوجدتك بعد أن لم تكن، وخلق الولد كخلقك.

وقرأ حمزة والكسائي خلقناك بالألف والنون، والباقون بالتاء.

فمن قرأ بالنون، فلقوله فيما بعد (فآتيناه الحكم)، ومن قرأ بالتاء، فلقوله: ﴿هو

علي هين﴾.

﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً**﴾ أي: علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به، وقوله: ﴿**سَوِيًّا**﴾ أي: تمنع الكلام وأنت سوى الخلق غير أخرس.

و(أن) في موضع رفع، و(سوى) نصب على الحال من الضمير في تكلم، أو نعت لثلاث ليال.

ومحرابه مصلاه، وأوحى أي: أومأ بيده وأشار.

وقيل: كتب لهم في الأرض بيده، ﴿**أن سبحوا**﴾ أي: صلوا، والسبحة، الصلاة، و﴿**بكرة**﴾ و﴿**عشيا**﴾ منصوبان على الظرف.

قوله عز وجل:

﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾[الآيات: ١٢-١٥].

المعنى: وهبنا له يحيى، وقلنا: يا يحيى خذ التوراة بجد وعون من الله تعالى، والحكم، قيل: هو الفهم لكتاب الله، والفقه في الدين والعمل بالعلم.

وروى أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقنا، ﴿**وحنانا**﴾ أي: آتيناه حنانًا، أي: رحمة لأبويه، وقيل: تعطفا من ربه عليه، وقيل: محبة، قال الشاعر:

فقالت حنان ما أتى بك هاهنا   أذو نسب أم أنت بالحي عارف؟

يريد أمرنا حنان، و﴿**زكاة**﴾ أي: صدقة، وقيل: تطهيرا، وقيل: صلاحا وتزكية. ﴿**وَكَانَ تَقِيًّا**﴾ أي: خائفا لربه في أمره ونهيه.

﴿**وَبَرًّا**﴾ أي: وجعلناه برا بوالديه، رفيقا عليهما.

والعصي، العاصي لله، ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ**﴾ أي: تحية وحفظ وسلامة له من الله في هذه الأوقات.

قوله عز وجل:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[الآيات: ١٦-٢٢].

أي: واتل عليهم في القرآن قصة مريم وخبرها إذ اعتزلت وانفردت من أهلها، وقيل: إنها قصدت مطلع الشمس؛ لأنها أرادت الغسل من الحيض، وقيل: كانت في منـــزل زوج أختها زكريا، ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل فتغسل رأسها فانفجر السقف لها، فخرجت فجلست في مشرقة الشمس وراء الجبل.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أي: جبريل، فتمثل لها في صورة رجل شاب لم يتغير، وقيل: تمثل لها روح عيسى في صورة بشر.

وقوله: **﴿تَقِيًّا﴾** أي: إن كنت تقيا فسوف تتعظ بتعوذي الله منك، **﴿زَكِيًّا﴾**.

أي: طاهرا من الذنوب.

وقرأ نافع وأبو عمرو: **﴿ليهب لك﴾** بالياء، والباقون لأهب بالألف.

فمن قرأ بالياء قال: يعني ليهب لك ربك؛ إذ كان الله هو الواهب حقيقة.

ومن قرأ بالألف فله وجهان، أحدهما: إنما أنا رسول ربك أرسلني لأهب لك، فاكتفى بذكر الرسالة من أرسلني لدلالتها عليه، وأسندت الهبة في اللفظ إلى جبريل؛ إذ كان النافخ في جيبها بأمر الله تعالى.

والآخرة إنما أنا رسول ربك، قال: لأهب لك، وإضمار القول كثير؛ واختير ذلك؛ لأنه مكتوب في المصحف بالألف ولنجعله آية للناس، أي: أعجوبة؛ لأن من العجائب غلام ليس له أب، وقيل: دلالة على قدرة الله.

﴿**ورحمة منا**﴾ بأن نرسل إلى الناس نبيا ﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾ أي: مفروغا منه في اللوح المحفوظ.

فحملته، عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله، فدنا منها، فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملت عيسى.

﴿**فَانْتَبَذَتْ**﴾ أي: تباعدت به، مكانًا قصيًا أي: قاصيًا، وهو البعيد، وهو ظرف، وقيل: مفعول به على تقدير: فقصدت به مكانًا قصيًا.

قوله عز وجل:

﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[الآيات: ٢٣-٢٥].

﴿**فأجاءها**﴾ ألجأها، و﴿**المخاض**﴾ الحمل، وقيل: وجع الولادة، وقيل: إنه ولد لثمانية أشهر، وتلك آية له؛ إذ لم يعش مولود ثمانية أشهر غيره، وقيل: إنما حملت به وولدته في وقتها.

وقوله: فأجاءها المخاض يدل على مكث الحمل، وقوله: ﴿**جذع النخلة**﴾ يقال: جذع نخلة ليس فيه سعف، وإنما أتته تتمسك به، تستعين على ولادها.

قالت: يا ليتني مت قبل هذا، قالت ذلك استحياء من الناس، وقيل: لكراهتها أن يعصى الله بسببها.

وقال الزجاج: معناه لو خيرت قبل هذه الحالة بين الموت أو الدفع إلى هذه الحالة لاخترت الموت. وقرأ حمزة وحفص: ﴿**نسيًا**﴾ بفتح النون، والباقون بكسر النون. قال الفراء وهما لغتان مثل الجَر والجِر.

والنسي ما تلقيه المرأة من خرف اعتلالها؛ لأنه إذا رمى به لم يرد.

ولو أرادت بالنسي مصدر النسيان كان صوابا، تقول العرب: نسته نسيًا ونسيانًا.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: ﴿**من تحتها**﴾ بكسر الميم، وتحتها بالجر والباقون من، بفتح الميم، تحتها بالنصب.

قال الفراء: وهو الملك في الوجهين جميعا أي: فناداها جبريل وقال أبو إسحاق وغيره: من قرأ من تحتها بالفتح عنى به عيسى، واختار أبو عبيدة القراءة بالكسر، لاحتمال المعنى أن يكون الملك وأن يكون عيسى، وإذ قال من تحتها فإنما هو عيسى خاصة، وجاء عن ابن عباس ناداها جبريل، و لم يتكلم حتى أتت به قومها.

وعن مجاهد والحسن ناداها عيسى، ويؤيد هذا قوله: فأشارت إليه؛ لأنها أشارت إليه في الكلام، الذي كانت عرفت منه نطقه، والضمير على القول الأول يعود إلى النخلة.

ويقال: كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها: ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي﴾ أي: لا تغتمي بولادة عيسى وبمكانك الجدب، وبوحدتك، قد يسر لك حيال قدميك نهرًا، وكان نهرًا قد انقطع عنه الماء فأرسل الله الماء فيه لمريم.

وعن الحسن وابن زيد: السري عيسى.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾ أي: حركي ساقها، وكانت فيها يقال العجوة، وكان ذلك في الشتاء أشد ما يكون بردًا، حيث ليس رطب، فضربته فجعل الرطب يقع بين يديها.

وقرأ حمزة: ﴿تَساقط﴾ بفتح التاء خفيفة السين. وقرأ حفص مضمومة التاء مكسورة القاف، والباقون مفتوحة التاء مشددة السين فمن قرأ بفتح التاء والتخفيف فعلى أن الأصل تتساقط، فحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين وكذلك الأصل في القراءة بالتشديد للتاءين فأدغمت التاء الثانية في السين، ومن قرأ بضم التاء فعلى تساقط النخلة عليك، وهو من ساقط مساقطة، والأول من تساقط تساقطا.

ويقال: الباء في قوله بجذع النخلة زائدة مؤكدة وعن المبرد نصب رطبًا على المفعول به بتقدير: هزي رطبا.

وعن آخرين هو منصوب على التمييز، إذا قلت تساقط، فأما من قرأ بضم التاء والتخفيف فرطب مفعول تساقط، وقيل: هو حال، والمفعول مضمر، تقديره: تساقط ثمرها عليك، والنخلة تدل على التمر فحسن حذفه.

قوله عز وجل:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[الآيات: ٢٦-٢٧].

يقول: كلي من الرطب، واشربي من السري وقري عينا، أي: طيبي نفسا، ومعناه عند أهل اللغة قولان، أحدهما: لتبرد برد سرور بما ترى، والآخر تسكن سكون سرور برؤيتها ما تحب.

ونصب (عينا) على التمييز، قال الفراء: لأن الفعل كان لها فصيرته للمرأة، معناه لتقرر عينك، فإذا حول الفعل عن صاحبه إلى ما قبله نصب صاحب الفعل على التفسير.

﴿فإما ترين﴾، أي: فإن تري من الناس - الذين تخافين أن يتهموك - أحدًا، وكسرت الياء في ترين لالتقاء الساكنين، وهما النون الأولى والياء، التي هي علامة التأنيث.

و ﴿ نذرت ﴾ ، أي: أوجبت على نفسي صومًا، أي: صمتًا، وقيل كان من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس.

وإنما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها، بما يبرئ به ساحتها، فأتت بعيسى تحمله، وذلك حين طهرت من النفاس والفري العظيم، يقال: فلان يفري الفري إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه.

قوله عز وجل:

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[الآيات: ٢٨-٣٢].

يقال: كان لها أخ من أبيها يقال له هارون، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل، وعن قتادة: رجلا صالحًا في بني إسرائيل يقال له هارون، فشبهوها به فقالوا: يا

شبيهة هارون في الصلاح، وعن السدي، كان من ولد هارون أخي موسى، وكان بينها وبين هارون آباء، ولكن ذلك كما تقول العرب: يا أخا همدان، وقيل: هارون هذا رجل فاسق معلن بالفسق فنسبت إليه، والبغي الفاجرة والتاء في أخت ليست بأصل، لكنها بمنـــزلة أصلي، لأنها زيدت للإلحاق؛ لأن أصل أخوة على فعلة فحذفت الواو، وضمت الهمزة، لتدل على الواو المحذوفة، كما كسرت الباء في بنت، لتدل على الياء المحذوفة.

وأصل بنت، بنية، فبقي الاسم على حرفين، الهمزة والخاء، فزيدت التاء وألحق ببناء، والتصغير والجمع يدل على ما قلنا؛ لأنك تردها إلى أصلها في التصغير والجمع، فتقول أخية وأخوات، وحذف الواو فيه على غير قياس وقيل: لكثرة الاستعمال، وكان القياس أن تقول في الواحد إخاه فتقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وكذلك التاء في بنت زيدت ليلحق الاسم ببناء جذع؛ لأن الباء منها حذفت على غير قياس، إلا أن بنتا لا ترد الياء فيها في الجمع، وترد في التصغير، تقول في التصغير بنية، كما تقول أخية، وتقول في الجمع بنات ولا تقل: بنيات كما قلت أخوات.

وأصل بغي بغوي فهو فعول، لكن أدغمت الواو في الياء وكسرت الغين لمجاورتها الياءين، ولتصح الياء الساكنة، وفعول هاهنا بمعنى فاعلة، ولذلك أتى بغير هاء، وهو صفة للمؤنث، كما تأتي فعول بغير هاء للمؤنث إذا كان في معنى مفعول، كقوله: ﴿**فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ**﴾[1].

وليس قوله: بغيًّا في الأصل على وزن فعيل، ولو كان فعيلا للزمته الهاء في المؤنث؛ لأن فعيلا إذا كان للمؤنث بمعنى فاعل لزمته الهاء، كقولك امرأة رحيمة وعليمة، بمعنى راحمة وعالمة، فلما أتى بغير هاء علم أنه مفعول وليس فعيل.

ومعنى الآية أنهم قالوا لها: أهل بيتك صالحون وقد أتيت أمرًا عظيمًا.

﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**﴾ أي: أومأت إلى عيسى أي: كلموه، ودل على أنها أشارت إليه في الكلام سياق الآية ﴿**قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**﴾ (صبيا) نصب

---

(١) سورة يس: آية٧٢.

على الحال، و(كان) زائدة، والعامل في الحال الاستقرار، وقيل: كان هنا بمعنى حدث ووقع فيها، اسمها مضمر، (وصبيا) حال أيضا، والعامل فيه نكلم، وقيل كان.

وقال الزجاج: من للشرط والجزاء، فيكون المعنى من يكن في المهد صبيا، ويكون صبيا نصب على الحال.

وكيف نكلم كما تقول: من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه والمهد حجر أمه. ولما أشارت إليه غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا أشد من زناها فلما سمع ذلك ترك الرضاع، وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره، وأشار بسبابته يقول: ﴿**إني عبد الله آتاني الكتاب**﴾، الآيات، والمبارك المعلم للخير، وقيل: النفاع، وأوصاني أي: أمرني بإقامة الصلاة وأداء الزكاة، وقيل: الزكاة هي الصلاح والتطهير من الذنوب، ما دمت حيًّا.

(ما) في موضع نصب على الظرف، أي حين دوام حياتي. وقيل: هي موضع نصب على الحال، أي: وحيا حين كلمت. والتاء اسم دمت، والجبار الذي يقتل على الغضب، ويضرب على الغضب، والشقي المحروم، وبرا عطف على مباركًا، ومباركًا مفعول ثان لجعل، ومن خفض برا عطف على الصلاة.

قوله عز وجل:

﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ للهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[الآيات: ٣٣-٣٦].

﴿**السلام**﴾: مصدر سلمت سلاما، ومعناه عموم العافية والسلامة، والسلام جمع السلامة، ويقال: سلام عليك، والسلام عليك، وفائدة نكرهما كفائدة معرفتها تقول: لبيك وخير بين يديك، وإن شئت قلت: والخير بين يديك.

ويقال: كلمهم بهذا ثم سكت بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم بها الصبيان، ذلك أي: ذلك الذي قال إني عبد الله إلى آخر الآيات الأربع عيسى بن

مريم قول الحق.

قرأ ابن عامر وعاصم: ﴿**قول**﴾ نصبا، وقرأ الباقون بالرفع. فمن قرأ بالنصب فعلى المصدر، المعنى، أقول قول الحق، وإن نصبت القول وهو في النية من نعت عيسى كان صوابًا، كأنك قلت: هذا عبد الله أخاه بعينه، العرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخواهما، كما يقولون: هذا عبد الله الأسد، كما تقول أسدا غاديا، هذا قول الفراء.

ومن قرأ بالرفع أضمر مبتدأ، وجعل الحق خبره، تقديره: ذلك عيسى بن مريم، ذلك قول الحق، أي: هو قول الحق، أو هذا الكلام قول الحق.

وقيل: إن هو المضمرة كناية عن عيسى؛ لأنه بكلمة الله كان، وقد سماه الله تعالى كلمة، كأنه قيل: كلمة الحق الذي فيه يمترون فيقول قائل: هو ابن الله ويقول آخر: هو الله، ويقول آخر: هو وأمه شريكان.

ما كان لله أن يتخذ من ولد، موضع (أن) رفع، وموضع (من ولد) نصب المعنى: أن يتخذ ولدا، (ومن) مؤكدة تدل على نفي الواحد والجمع، فإنما نقول له، أي: لذلك الأمر، وقيل: معناه نقول من أجله: كن فيكون، وقيل: المراد أنه إذا أراد أن يحدث لامرأة ولدًا من غير زوج فإنما يقول: كن فيكون، كما فعله بعيسى إذ خلقه من غير أب.

﴿**وإن الله ربي وربكم**﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الهمزة والباقون بكسرها فمن فتحها عطفها على الصلاة، ومن كسرها استأنف الكلام بها، ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾، أي: الإسلام دين وطريق مستقيم قيم لا عوج له.

قوله عز وجل:

﴿**فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾[الآيات: ٣٧-٤٠].

روي أن بني إسرائيل لما رفع عيسى انتخبوا أربعة من فقهائهم وسألوهم عنه،

فقال الأول: هو الله، وقال الثاني: هو ابن الله، وقال الثالث: هو إله وأمه إله، وقال الرابع: هو عبد الله ورسوله، وتابع كل واحد على مقالته ناس، واقتتلوا فأصيب المسلمون، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم، أي: من حضورهم يوم القيامة، وقيل: يعني به ما شهدوا به في عيسى.

﴿**أسمع بهم وأبصر**﴾، عن الحسن وقتادة، يقول لمن كانوا صمًا عميًا عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة.

وقيل: هو تهدد ووعيد، أي: سيسمعون ما يصدع قلوبهم ويرون ما يهلكهم.

﴿**لكن الظالمون اليوم**﴾، هم في الدنيا في ضلال مبين.

و﴿**يوم الحسرة**﴾ يوم القيامة يتحسر المسيء ألا أحسن، والمحسن ألا زاد من الإحسان، وقضي الأمر، أي: فرغ منه.

وعن ابن جريج إذا قضي الأمر، أي: ذبح الموت، وهم في غفلة، أي: هم في الدنيا في غفلة، وهم لا يصدقون بالبعث.

وعن بعضهم أن الآية منسوخة بآية السيف، وقيل: هي محكمة لعدم التنافي بينهما، ﴿**إنا نحن نرث الأرض**﴾، أي: نميت أهلا فنرثها.

قوله عز وجل:

﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[الآيات: ٤١-٤٥].

أي: واتل عليهم في الكتاب الذي أنـــزل عليك وهو القرآن، قصة إبراهيم، و(صديق) خبر كان و(نبي) نعت لصديق، وقيل: هو خبر بعد خبر.

وقوله: ﴿**قد جاءني**﴾، أي: أتاني في الوحي ما لم يأتك، وصراط سوي: طريق مستقيم، وقوله: ﴿**لا تعبد الشيطان**﴾، أي: لا تطعه فيما سول لك من الكفر.

﴿**إني أخاف أن يمسك**﴾ أي: أعلم أن يصيبك بإقامتك على الكفر عذاب من الرحمن، ﴿**فتكون للشيطان وليا**﴾، أي: فتكون موكولا إلى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئا.

قوله عز وجل:

﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾[الآيات: ٤٦-٥٠].

الرغبة عن الشيء ضد الرغبة فيه، و(راغب) مبتدأ، و(أنت) رفع بفعله وهو الرغبة، ويسد مسد الخبر، وحسن الابتداء بنكرة لاعتمادها على ألف الاستفهام قبلها.

وقوله: ﴿**لأرجمنك**﴾ أي: لأشتمنك، يقال: فلان يرجم فلانا إذا شتمه، وقيل: معناه، لأرجمنك بالحجارة وقيل: لأقتلنك رجمًا، ﴿**واهجرني**﴾ أي: فارقني على مهاجرة وقطيعة، ﴿**مليًّا**﴾، أي: دهرا طويلا، وقيل: معناه سليمًا من عقوبتي من قولهم: فلان ملي بهذا الأمر إذا كان كامل الأمر فيه، مضطلعا به.

﴿**سلام عليك**﴾، (سلام) ابتداء، والمجرور خبره، وحسن الابتداء بنكرة، لأن فيها معنى المنصوب، وفيها أيضا معنى التبري والمشاركة. فلما أفادت فوائد جاز الابتداء بها، والأصل ألا يبتدأ بنكرة إلا أن تفيد فائدة عند المخاطب.

﴿**سأستغفر لك**﴾، معناه سأدعو لك بالتوبة، التي توجب المغفرة وقيل: سأستغفر لك على ما يصح من تركك عبادة الأوثان، ﴿**إنه كان بي حفيا**﴾، أي: بارا لطيفا عودني الإجابة إذا دعوته، ﴿**وما تدعون من دون الله**﴾، أي: ما تعبدون من الأصنام، وقوله: ﴿**بدعاء ربي**﴾، أي: إن دعوته لم أشق به.

﴿**فلما اعتزلهم**﴾ بأن خرج إلى ناحية الشام.

وقوله ﴿**مِّن رَّحْمَتِنَا**﴾ أي: جعلناهم من أهل الرحمة، ﴿**وجعلنا لهم لسان**

صدق﴾، أي: ثناء حسنا في كل الأديان، و﴿**عليا**﴾، عاليا رفيعا، يقول: عوضنا من أولئك الكفار أولادا أنبياء.

قوله عز وجل:

﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[الآيات: ٥١-٥٧].

أي: اقصص عليهم قصة موسى إنه كان مخلصا، أي: أخلصه الله للنبوة، و﴿**مخلصا**﴾، أي: أخلص العبادة لله، وكان رسولا أرسله الله نبيا يوحى إليه.

﴿**وناديناه**﴾ أي: كلمناه، قال الفراء: ليس للطور يمين ولا شمال إنما هو الجانب الذي يلي يمينك، كما تقول: عن يمين القبلة وشمالها.

﴿**وقربناه نجيا**﴾، أي: مناجيًا، كقولك: جليس ومجالس، وهو نصب على الحال، ويقال: المعنى أنه قربه منه حتى سمع مناجاة الله، وهو كلامه.

وكان هارون أكبر من موسى، ولكن وهب له نبوته، إذ سأله ذلك، قوله: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل**﴾ الآية، صادق الوعد، عن ابن جريج لم يعد ربه عدة إلا أنفذها، وكان يأمر أهله يقال: أهله جمع أمته، من كانت بينه وبينه قرابة أو لم تكن، وقيل: معناه أنه كان يبدأ بأهله في الموعظة ليعمل قومه بعلمه، ﴿**وكان عند ربه مرضيا**﴾، أي: كان الله قد رضي عمله، وكان الأصل مرضوا بالواو إلا أنها قلبت، لأنها طرف وقبلها واو ساكنة وليست بحاجز حصين، فكأنها مفعل، ومفعل من ذوات الواو نقلت إلى مفعل؛ لأن الواو لا تكون طرفا وقبلها متحرك في الأسماء، وفيه قولان آخران أحدهما، أنه لما كان الفعل منه رضيت فانتقل من الواو إلى الياء، صار مرضيًّا.

والآخر أن العرب من يقول في تثنية رضا: رضيان، فلم يكن من قوله إلا مرضي.

﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾، الآية، ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾، في حديث مرفوع أنه رفع إلى السماء الرابعة، وعن ابن عباس: إلى السماء السادسة، وعن الحسن، الجنة لا شيء أعلى من الجنة.

وحكى الفراء: أنه سأل ملك الموت أن يريه النار، فاستأذن ربه فأراه إياها، ثم أستأذنه في الجنة فأراه إياها، فدخلها، فقال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج منها أبدا، فقال الله تعالى: بإذني دخلها فدعه.

وفي بعض التفاسير أن ملكا من الملائكة استأذن ربه في أن يلقاه، فأذن له فلقيه، فقال له إدريس: وددت أن أعلم متى أجلي، فقال: ما أعلم ذلك ولكن إن شئت صعدت بك إلى السماء فسألت ملك الموت ففعل، فسأله فقال: لم يبق إلا ست ساعات، وأمرت أن أقبضه هاهنا.

قوله عز وجل:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[الآيات: ٥٨-٦٢].

أي هؤلاء المذكورون الذين أنعم الله عليهم. يقال: لم يفرق ذكر نسبهم وكلهم لآدم؟ فيقال للبيان عن مراتبهم في شرف النسب، وكان لإدريس شرف القرب من آدم؛ لأنه جد نوح، وكان إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح، وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم، فلما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم.

وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل؛ لأن مريم من ذريته.

﴿**خروا سجدا وبكيا**﴾، (سجدا) حال مقدرة، المعنى خروا مقدرين السجود؛ لأن الإنسان في حال خروره لا يكون ساجدا، و(بكيا) عطف على سجدا، ويكون بكيا جمع باك، وقيل: (بكيا) نصب على المصدر، وليس بجمع باك تقديره، خروا سجدا، وبكوا بكيا، وأصله في الوجهين: يكونا على فعول، ثم أدغمت الواو في الياء وكسر ما قبلها؛ ليصح سكون الياء، ولأنه أخف، وقد كسر جماعة من القراء الباء ليتبع الكسر الكسر، وليكون أخف في عمل اللسان.

﴿**فخلف من بعدهم خلف**﴾، أي: فجاء بعدهم قوم، والأغلب في الاستعمال خلف سوء بسكون اللام وخلف صالح بفتحها، ويجوز كل واحد منهما مكان الآخر، ﴿**أضاعوا الصلاة**﴾، أي: تركوها، وقيل: تأخيرها عن وقتها، والأول أشبه، لقوله: ﴿**إلا من تاب وآمن**﴾، فدل على أنه يعني الكفار.

﴿**واتبعوا الشهوات**﴾ أي: قدموا شهواتهم في الدنيا على الآخرة، فسوف يلقون غيا، عن عبد الله هو واد في جهنم، وعن ابن زيد، الغي: الشر، وقال الزجاج: أي: يلقون مجازاة الغي، كما قال: ﴿**يَلْقَ أَثَامًا**﴾[1]. أي: مجازاة الآثام.

و(من) في موضع نصب، أي: فسوف يلقون العذاب إلا التائبين، وجائز أن يكون استثناء من غير الأول، المعنى لكن من تاب.

و(جنات) في موضع نصب على البدل، وقوله: ﴿**بالغيب**﴾، أي: أعلمهم علمها وهي غائبة عنهم.

(ومأتيا) أي: آتيا، مفعول في معنى فاعل، وقيل هو مفعول من الإتيان؛ لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، وكل ما أتاك فقد أتيته، واللغو ما يلغى من الكلام.

و(سلاما) نصب على الاستثناء المنقطع، وقيل: هو بدل من لغو، وقوله:

---

(١) سورة الفرقان: آية٦٨.

﴿**بكرة وعشيا**﴾، قال الفراء: ليس بكرة ولا عشي، ولكنهم يؤتون بالرزق على مقادير الغد والعشي في الدنيا. وقيل: لهم رزقهم في كل ساعة.

قوله عز وجل:

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا * وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[الآيات: ٦٣-٦٥].

قيل: ﴿**نورث**﴾، لأنه بالميراث من جهة أنه تمليك لحال استؤنفت غير حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا، وقيل: أورثهم من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار ولو أطاعوا، وما نتنــزل إلا بأمر ربك، يقال: إن النبي ﷺ استبطأ جبريل عليه السلام فقال: ما يمنعك أن تزورنا أكثر، فأتاه هذا الجواب.

له ما بين أيدينا من أمر الدنيا وما خلفنا من أمر الآخرة، وما بين ذلك ما بين النفختين كذا ذكره الفراء. وقال الزجاج: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب، وما خلفنا جميع ما مضى من أمر الدنيا، وما بين ذلك ما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة.

وقيل: ما بين أيدينا ما تقدم من أعمارنا، وما خلفنا ما بقي من أجالنا، وما بين ذلك ما نحن فيه من الحال التي نحن عليها.

﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ أي: قد علم الله ما كان وما يكون وما هو كائن لا ينسى منه شيئا وقيل: ما نسيك ربك وإن تأخر عنك الوحي.

﴿**هل تعلم له سميا**﴾، أي: مثلا وشبيها، وعن ابن عباس، لا يسمى أحد الرحمن غيره.

قوله عز وجل:

﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنــزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[الآيات:٦٦-٧٢].

﴿ويقول الإنسان﴾، أي: الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، قيل: نــزلت في العاص بن وائل وقيل: في أبي بن خلف. أئذَا ما مت لسوف أخرج حيا، يقول أأحيا بعد موت؟ ويقال: إن اللام ليست بلام تأكيد؛ لأن قائل هذا إنما قاله على جهة الإنكار، ولكن اللام حكاية، كأنه قيل له: لسوف تخرج، فقال على جهة الإنكار والتعجب حكاية لدلك اللفظ: لسوف أخرج حيا!؟

﴿أو لا يذكر الإنسان﴾ الآية، يقول كما خلقناه أولا نحييه بعد الموت.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم أولا يذكر بإسكان الذال وتخفيف الكاف، والباقون بفتح الذال والكاف وتشديدهما.

والمعنى واحد، والاختيار التشديد؛ لأنها في قراءة أبي، **﴿يتذكر﴾**.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: الذين كذبوا بالبعث والشياطين الذين أغووهم، وقوله: **﴿جثيا﴾** أي: على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه، وجثى جمع جاث، وهو منصوب على الحال إن جعلته جمعا، ونصب على المصدر إن لم تجعله جمعا، وأصله في الوجهين جثوو على فعول، أدغمت الواو في الواو فثقل اللفظ بضمتين وواوين متطرفتين فأبدلوا من الواو ياء وكسر ما قبلها لتصبح الياء الساكنة، ولأنه أخف.

وقريء جثيا، بكسر الجيم على الإتباع للخفة والمجانسة.

﴿ثُمَّ لَنَنــزِعَنَّ﴾ أي: نبدأ بالعذاب بالأعتى فالأعتى، والعاتي المتمرد، والرفع في (أيهم) عند الخليل على الحكاية، فهو ابتداء، وخبره أشد، تقديره: ثم لننــزعن من

كل شيعة الذي من أجل عتوه يقال: أي هؤلاء أشد عتيا؟ وهو كقول الشاعر:

فأبيتُ لا حرج ولا محروم

أي: بمنـــزلة الذي لا حرج ولا محروم، وهذا عند سيبويه مرفوع بلا؛ لأنها كليس وخبر ليس محذوف، تقديره: لا حرج ولا محروم في مكاني، والياء تعود على اسم بات، والجملة خبر بات، ومن جعله حكاية جعل الجملة المحكية خبر بات، (والهاء في له المقدرة عائدة).

وذهب يونس إلى أن (أيا) رفع بالابتداء لا على الحكاية، وتعلق الفعل وهو لننـــزعن فلا يعمل في اللفظ، ولا يجوز تعلق مثل لننـــزعن عند سيبويه والخليل وإنما يجوز أن تعلق على أفعال الشك وشبهها بما لم يتحقق وقوعه.

وذهب سيبويه إلى أن (أيا) مبنية على الضم؛ لأنها عنده بمنـــزلة (الذي) و(ما) لكن خالفتهما في جواز الإضافة منها، فأعربت لما جازت فيها الإضافة، فلما حذفت من صلتها مما يعود عليها لم تقو فرجعت إلى أصلها وهو البناء كالذي وما، ولو أظهرت الضمير لم يجز البناء عنده، وتقدير الكلام عنده: ثم لننـــزعن من كل شيعة أيهم هو أشد، كما تقول: لننـــزعن الذي هو أشد، ويقبح حذف هو مع الذي، وقرئ: ﴿**تمام على الذي أحسن**﴾[1] برفع أحسن على تقدير حذف هو، والحذف مع الذي قبيح، ومع (أي) حسن، فلما خالفت (أي) أخواتها حسن الحذف معها، فلما حذفت هو بنيت (أي) على الضم، وقد اعترض سيبويه في قوله وقيل: كيف يبني المضاف وهو متمكن؟ وفيه نظر، ولو ظهر الضمير المحذوف مع أي لم يكن في أي إلا النصب عند الجميع وصلى من قولك، صلى يصلى صليا، وهو اللزوم وانتصابه على التفسير يقول: ثم لنحن أعلم بأولادهم بلزومها ومقاساة عذابها.

﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ أي: ما منكم إلا وارد النار حتما، أي: موجبا، مقضيا قضاه الله بأن يكون. عن عطاء بن يسار عبدة الأوثان، وروي أن جابر بن

---

(١) سورة الأنعام آية:١٥٤.

عبد الله سئل عن هذه الآية فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: الورود، الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما، حتى إن للنار ضجيجا من بردها، ومن حجة هذا القول قوله: ونذر الظالمين، ولم يقل وندخل الظالمين.

وكأنه نذر وتبرك للشيء الذي قد حصل في مكانه.

وعن ابن مسعود والحسن وقتادة يريد الجواز على الصراط ألا ترى إلى قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾**(١) فيدل على أن الورود يكون القرب من الشيء من غير دخول، قوله **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾**(٢).

وقرأ الكسائي: ثم نُنْجي بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم وهما لغتان، قد نــزل بهما القرآن وكثر استعمالهما، حتى تعادلنا.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا * قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[الآيات: ٧٣-٧٥].

قرأ ابن كثير **﴿مقامًا﴾** بضم الميم، والباقون بفتحها، ومعناه المكان، إلا أنه في القراءة الأولى من اللبث وفي الثانية من أقمت والندي والنادي المجلس، والأثاث المتاع، والرئى، المنظر.

وقرأ نافع وابن عامر وريا مشددة الياء غير مهموزة، والباقون بالهمز وتخفيف الياء، فمن قرأ بالهمز قال: هو من رؤية العين والأصل فيه الهمز.

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠١.

(٢) سورة القصص: آية٢٣.

ومن قرأ بغير همز فله فيه وجهان، أحدهما: أن يكون على معنى الأول بطرح الهمز، والآخر أن يكون من رويت على معنى أن منظرهم مونق من النعمة.

وقوله فليمدد له الرحمن مدا، أي: في ضلالته، هو لفظ أمر في معنى الخبر، وتأويله: أن الله تعالى يجعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها، كذا ذكره الزجاج.

وذكر بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وليس بينه وبين آية السيف تناف يوجب ذلك، حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب، بأن ينصر الله المؤمنين عليهم فيعذبهم قتلا وأسرا، ﴿**وإما الساعة**﴾ أي: القيامة، وما وعدوا به فيها من الخلود في النار، وهما منصوبان على البدل من: ما يوعدون، فيعلمون، أي: عند معاينة ما يوعدون.

قوله عز وجل:

﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[الآيات:٧٦-٨٢].

﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾، قيل: الناسخ والمنسوخ، وقيل: يجعل جزاءهم أن يزيدهم في نفسهم هدى.

﴿**والباقيات الصالحات**﴾، الأعمال الصالحة، وقيل: هي الصلوات، وقيل: هي، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

﴿**خير عند ربك**﴾، أي: في الآخرة، ﴿**ثوابًا**﴾، أي من مقامات الكفار التي بها عندهم الافتخار، ﴿**وخير مردا**﴾، أي: على عامليها، من أعمال الكفار.

﴿**أفرأيت الذي كفر**﴾، أنزلت في العاص بن وائل، حين طلبه خباب بن الأرت بدين له فقال: إذا مت وبعثت قضيتك، فإن لي هناك مالا وولدًا. يريد إن كان الأمر على ما تقول. وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة. وقرأ حمزة

والكسائي ولدا بضم الواو، وإسكان اللام، وكذلك ما يقع منه في هذه السورة، وفي الزخرف آية: ٨١ وفي سورة نوح آية: ٢١. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، التي في نوح، بضم الواو وإسكان اللام، وسائرهن بفتح الواو واللام. وقرأ الباقون جميع ذلك بفتح الواو واللام.

فمن قرأ بالضم فهو على وجهين، على جمع ولد، يقال: وَلَد ووُلْد، مثل أَسَد وأُسْد، وعلى أن يكون الولد في معنى الولد، مثل العَرَب والعُرْب.

ومن قرأ بالفتح فهو يصلح للواحد والجمع، وهو أجزل وأشهر، اطلع الغيب الذي توحد الله به أم له على الله عهد أن يرزقه المال والولد، ويقال معناه: أقال لا إله إلا الله، فهو يرجو ثوابها.

﴿**كلا**﴾، ردع وتنبيه، أي: ليس الأمر على ما يظنه فليرتدع عن ذلك، وجاء في التفسير أن معناها حقا سنكتب ما يقول، أي: سنحفظ عليه ونخلده في العذاب، فيطول مقامه فيه، ونرثه ما يقول: حرف الجر محذوف، وتقديره: نرث منه ما يقول أي: نجعل المال والولد لغيره، ونسلبه المال والولد ﴿**ويأتينا فردًا**﴾، أي: خاليًا لا شيء معه، و(فردا) حال، و﴿**عزا**﴾ أعوانا، وقيل: شفعاء في الآخرة، ﴿**سيكفرون بعبادتهم**﴾، قيل: سيجحدون، أي: يكونوا عبدوها عندما يرون من سوء عاقبتها.

وقيل: سيكفرون ما اتخذوه آلهة بعبادة المشركين لها، ويصيرون أعوانا عليهم.

قوله عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا * يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا * لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[الآيات: ٨٣-٩٢].

﴿**تؤزهم**﴾ أي: تزعجهم إلى المعاصي، قال أبو إسحاق، وفي ﴿**أرسلنا**﴾ وجهان،

أحدهما: أنا خلينا الشياطين وإياهم فلم نعصمهم من القبول منهم، والآخر وهو المختار أنهم سلطوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم، إنما نعد لهم عدا، أي: أيام الحياة، ويقال: الأنفاس.

وعن بعضهم أنها منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة لإمكان الجمع بينهما، ووفد جمع واحد مثل راكب وركب، وهم الركبان المكرمون.

ووردا، مشاة عطاشًا، وهو من ورود الماء، ولا يرد الماء أحد في غالب الأمر إلا عند العطش، فأومأ بهذا إلى أنهم عطاش يساقون إلى النار.

﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ**﴾، و(من) في موضع رفع على البدل من الواو والنون، المعنى لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ، ويكون في موضع على أنه استثناء ليس من الأول، المعنى لا يملك الشفاعة المجرمون لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا، فإنه يملك الشفاعة. وقيل: إنه نصب على حذف اللام، والمعنى: لا يملك المتقون الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا. والعهد شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: الصلاة.

﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا**﴾، زعم مشركو قريش أن الملائكة بنات الله، وإد، منكر عظيم، ﴿**تكاد السموات**﴾، قرأ نافع بالياء وكذلك في عسق[1]، والباقون بالتاء في السورتين، والياء على إرادة الجمع، والتاء على إرادة الجماعة، ويؤيده أن الفعل أتى بعده بلفظ التأنيث.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر ينفطرن بالنون من الانفطار وهو الانشقاق، وشاهده قوله: ﴿**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾[2] و﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**﴾[3] والباقون بالياء من التفطر وهو التشقق؛ لأنهن يكدن يدوم ذلك منهن ويكثر، فلكثرة الفعل وتردده أتى به على يتفعل.

فأما التي في عسق فقرأها أبو عمرو وأبو بكر بالنون والباقون بالتاء.

---

(١) سورة الشورى آية: ٥.

(٢) سورة المزمل: آية١٨.

(٣) سورة الانفطار: آية١.

﴿هدًّا﴾، أي: سقوطا، وهو مصدر، وقيل: الهد الهدم بشدة صوت.

﴿**أن دعوا للرحمن ولدا**﴾، (أن) في موضع نصب مفعول لأجله، أي: سموا له الولد، وقيل: أن جعلوا للرحمن ولدا، والمعنى واحد ﴿**وما ينبغي**﴾، أي: ما يصلح للرحمن أن يتخذ ولدا؛ لأنه خالف الأشياء ليس كمثله شيء، والولد مشاكل الوالد، و(أن) في موضع رفع.

قوله عز وجل:

﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾[الآيات: ٩٣-٩٨].

﴿**إن**﴾ بمعنى (ما) و﴿**كل**﴾ رفع بالابتداء، والخبر إلا آتي الرحمن، وآتي اسم فاعل، و﴿**الرحمن**﴾ في موضع نصب بالإتيان، و﴿**عبدا**﴾ نصب على الحال، أي: آتيه وقت خلقه إياه طوعًا منقادًا، ويقال: آتيه يوم القيامة.

و﴿ **فَرْداً** ﴾ نصب على الحال ، أي: لا ناصر له ولا معين، ويقال: لا يرى أحد أن أحدا يحاسب معه، وقوله: ﴿**ودا**﴾، أي: محبة في قلوب المؤمنين.

و﴿**يسرناه بلسانك**﴾، أي: سهلناه وأنــزلناه بلغتك، لتبشر به المتقين، واللد جمع ألد، وهو الشديد الخصومة، يعني ذوي جدل بالباطل، والركز الصوت الخفي.

فأما الياءات فقرأ ابن كثير وحده من ورائي وكانت بفتح الياء.

وقرأ نافع وأبو عمرو لي آية، وكذلك ربي، إنه بفتح الياء فيهما، وقرأ الباقون بإسكان الياء فيهما. وقرأ حمزة آتاني الكتاب بإسكان الياء والباقون بفتح الياء.

سورة طه مكية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه * مَا أَنــزلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَّخْشَى * تَنــزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[الآيات: ١-٧].

﴿طه﴾، يقال: هو حرف هجاء، نحو ألم، والر، جاء في التفسير أن معناها يا رجل، وذكر عن الكسائي أنها لغة عك وأنشد:

إن السّفَاهَة طه من خَلائقكُم لا قَدسَّ الله أخلاق الملاعين

وقرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وقرأ الباقون بالإمالة فيهما إلا أن إمالة نافع إلى الفتح أقرب.

فمن فتح الحرفين فعلى الأصل، ومن أمالهما فللإشعار بأن لهما أصلا في الياء، ومن فتح الطاء وأمال الهاء، فلأنه كره الجمع بين حرفين ممالين من حروف الهجاء، وخص الطاء بالفتح، لاستعلائها، ما أنــزلنا عليك القرآن لتشقى، عن الحسن هو جواب للمشركين لما قالوا: إنه شقي، وعن مجاهد وقتادة قيل له ذلك: بسبب ما كان يلقى من السهر والتعب من قيام الليل.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإمالة الألفات الواقعة عند رءوس الآيات في هذه السورة، وكذلك في كل سورة أواخر آيها على الألف، نحو **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾**[1] و**﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾**[2] أو يتفق فيها أو يتوالى إلى أواخرها، و**﴿سَأَلَ**

(١) سورة الأعلى: آية١.

(٢) سورة الليل: آية١.

سَائِلٌ﴾[١] و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٢]. وهكذا إذا كانت في آخر الآيات هاء وألف كالآيات التي في ﴿النَّازِعَاتِ﴾[٣] و﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[٤] إلى أربعة أحرف من ذوات الواو وهي: و﴿دَحَاهَا﴾[٥] ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾[٦]. و﴿تَلاهَا﴾[٧] ﴿سَجَى﴾[٨] فإن حمزة قرأ بالفتح فيهن وأماله أبو عمرو بين الفتح والكسر.

وقرأ الباقون جميع ذلك بالفتح وإنما أمال أبو عمرو هذه الألفات؛ لأن مذهبه إمالة كل ألف جاءت بعد راء، فأمال سائر ذلك، ليكون خواتم الآيات كلها بلفظ واحد، ولهذا أيضا سوى الكسائي بين الأحرف الأربعة وبين سائر ذلك، ومن ترك الإمالة في الأحرف الأربعة أو في جميع ذلك فعلى الأصل وقياس مذهبه فيه إلا تذكرة، أي: وعظا، وهو مفعول من أجله، أو على المصدر، وتنـــزيلا مصدر، والعلى جمع العليا، على العرش استوى، قال أبو عبيدة: علا وقال غيره استقر، وقيل: قهر، والثرى في اللغة الندى.

وعن محمد بن كعب ما تحت الثرى أي: ما تحت سبع أراض، ﴿وإن تجهر بالقول﴾ فلحاجتك، والسر ما حدث به العبد غيره في خفية، وأخفى منه ما أضمر في نفسه، و لم يحدث به غيره، وقيل: السر ما أضمر في نفسه، وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد.

---

(١) سورة المعارج: آية١.

(٢) سورة العلق: آية١.

(٣) سورة النازعات: آية١.

(٤) سورة الشمس: آية١.

(٥) سورة النازعات: آية٣٠.

(٦) سورة الشمس: آية٦.

(٧) سورة الشمس: آية٢.

(٨) سورة الضحى: آية٢.

قوله عز وجل:

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى * وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[الآيات: ٨-١٦].

﴿**الحسنى**﴾، الحسنة الجميلة؛ لأنها رجعت إلى تأنيث الجماعة، ومثله ﴿**مَآرِبُ أُخْرَى**﴾[(١)]. و﴿**مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾[(٢)]، ﴿**وهل أتاك حديث موسى**﴾، يقال ذكر موسى هنا لتسلية النبي ﷺ، لما ناله من أذى قومه، وتثبيته بالصبر كما صبر موسى حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة.

﴿**فقال لأهله امكثوا**﴾، قرأ حمزة بضم الهاء وكذلك في القصص، وقرأ الباقون بكسر الهاء فيهما، فمن قرأ بالضم فعلى الأصل، ومن قرأ بالكسر فلمجاورة الكسرة، والمعنى أقيموا مكانكم، والإيناس، الإبصار، ومنه قيل: لناظر العين إنسان، لأنه يؤنس به، وقيل: هو وجدان الشيء الذي يؤنس به، وذلك أنه من الأنس، والقبس ما أخذته من النار، في رأس عود أو رأس فتيلة، وهدى، هاديا، فأجزاء المصدر من الهادي، وكان في شتاء وقد امتنع عليه القدح، وضل عن الطريق، فرجا أن يأتيهم بنار يصطلون بها، أو يجد من يدله على الطريق التي ضلها، ﴿**فلما أتاها**﴾، أي: دنا منها، ﴿**نودي يا موسى**﴾، عن ابن إسحاق، استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة منها، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم، إني أنا ربك.

---

(١) سورة طه: آية١٨.

(٢) سورة طه: آية٢٣.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿**وأني أنا ربك**﴾، بفتح الهمزة على معنى نودي أني أنا ربك، وقرأ الباقون بالكسر على معنى نودي يا موسى فقال الله له، إني أنا ربك، ﴿**فاخلع نعليك**﴾، قيل: كانت من جلد حمار ميت، وقيل: أمر بذلك ليباشر بقدميه بركة ذلك الموضع ، و﴿ **المقدس** ﴾ ، والمبارك، وقيل: المطهر، و﴿ **طوى** ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو غير منونة وكذلك في ﴿ **النَّازِعَاتِ** ﴾ [(١)].

والباقون منونة في السورتين فمن ترك تنوينه فعلته أنه معدول كعمر، وهو معرفة وقيل: هو مؤنث، اسم للبقعة وهو معرفة، ومن نونه جعله اسما للمكان غير معدول كصرد، وهو بدل من الوادي في الوجهين، ومن كسر الطاء فالوجه صرفه.

وقرأ حمزة: ﴿**وأنا**﴾ بتشديد النون، ﴿**اخترناك**﴾ بالنون والألف على نودي أنا اخترناك.

وقرأ الباقون، أنا بتخفيف النون، ﴿**اخترتك**﴾ بالتاء، وهو الاختيار؛ لأنه أشد موافقة للمصحف، ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾، أي: لتذكرني فيها؛ لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله، وقيل: لأن أذكرك بالمدح والثناء.

﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ أي: أسترها من نفسي، وقيل: أكاد لا أظهر عليها أحدًا، أي: لا أذكرها بأنها آتية، كما قال ﴿**لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً**﴾[(٢)] وقيل: معناه لا أظهرها.

﴿**فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا**﴾ أي: لا يمنعك عن التصديق بها فتردى، أي: تهلك، وهو في موضع نصب على جواب النهي بالفاء، والخطاب للنبي ﷺ، والنهي لسائر المكلفين.

---

(١) سورة النازعات: آية٦.

(٢) سورة الأعراف: آية١٨٧.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[الآيات: ١٧-٢٤].

﴿**تلك**﴾ اسم مبهم يجري مجرى التي، وتوصل كما توصل التي، المعنى وما التي بيمينك، ومعنى سؤاله عما في يده من العصا، التنبيه عليها ليقع المعجز بها بعد التثبيت فيها والتأمل لها، وقوله: ﴿**أتوكأ**﴾، أي: أتكيء عليها، ﴿**وأهش**﴾ أي: أضبط الورق بها على غنمي، واشتقاقه من أني أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان، والمآرب الحاجات، الواحدة مَأرَبَة ومَأرُبَة.

ويقال: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل القول، و لم يفصل، وكان لها شعبتان ومحجن فإذا طالت الشجرة جناها بالمحجن، وإذا أراد أن يكسر منها غصنا لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها قوسه وكنانته وثوبه وحلابه، وإذا حصل في البرية ركزها ثم عرض الزندين على شعبتيها، وألقى عليها كساءه، فاستظل بها.

وإذا ورد ماد فقصر رشاؤه وصله بها يشده في محجنها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه؛ فهذه مآربه، وقوله: ﴿**فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ أي: حية ذات حياة، فعبر عن حياتها بذلك؛ لأنه أحسن وأعم فائدة، وعن ابن عباس، كان ثعبانا ذكرا ابتلع الصخر والشجر، وجاز ذلك، لأن لفظ الحية يطلق على الذكر من الحيات، كما يطلق على الأنثى قال: خذها ولا تخف، وذلك أنه رأها تبتلع كل ما مرت به، ولّى مدبرا فقال: ﴿**خذها ولا تخف سنعيدها**﴾، أي: نردها عصا كما كانت، عن أبي العباس، السيرة: الهيأة، وأصله أن يُسار بها، أي: تجري على ما كانت تجري عليه من قبل، وهي منصوبة على إسقاط الخافض، وإفضاء الفعل، والمعنى إلى سيرتها.

﴿**وأضمم يدك إلى جناحك**﴾ قيل: إلى جيبك، وقيل: إلى عضدك، والسوء:

البرص، و(بيضاء) نصب على الحال من المضمر في تخرج، وآية بدل من بيضاء حال أيضا، أي: تخرج منبئة عن قدرة الله تعالى، أو على نعطيك آية أخرى، وحذف لما كان في الكلام من الدليل عليه، لنريك، أي: لنظهر لك من آياتنا الكبرى.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[٢٥-٣٥].

افتح بالحق لي صدري، وكانت في لسانه رتة، وسبب ذلك أنه أخذ وهو طفل بلحية فرعون، فهَمَّ به فقالت له آسية: إنه صبي لا يعقل وعلامته أن يأخذ جمرة من طست فتجعل في فيه، فوضع بين يديه طستا من حلى، وطستا من جمر حتى يعلم ما يصنع، فوضع ذلك بين يديه، فأهوى موسى ليأخذ الذهب فأخذ جبريل عليه السلام بيده فأهوى بها في الجمر، فأخذ جمرة فوضعها في فيه، فكانت تلك الرتة من ذلك.

وأصل الوزارة من الوزر وهو الحمل، كأن الوزير يحمل عن السلطان الثقل وقيل: من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به، يريد أن السلطان يعتمد عليه، ويلتجئ إلى رأيه، ونصب هارون على أنه بدل من وزير، وقيل: هو منصوب باجعل على التقديم والتأخير، أي: واجعل لي هارون أخي وزيرا، وأخي في موضع نصب على النعت لهارون، و﴿**أزري**﴾، أي: ظهري ومنه أزرت فلانا على الأمر، أي: قويته عليه.

وقرأ ابن عامر: ﴿**أشدد**﴾ مقطوعة الألف مفتوحة، وأُشركه مضمومة الهمزة على جواب الدعاء، وقرأ الباقون أخي اشدد، موصولة، وأشركه، مفتوحة الهمزة على الدعاء، أي: واجعله شريكا في أمري، ﴿**كي نسبحك**﴾، أي: نصلي لك ونذكرك بالثناء عليك والحمد لك، وكثيرا نعت لمصدر محذوف، تقديره: تسبيحًا كثيرًا، أو نعت لوقت محذوف، تقديره: نسبحك وقتًا طويلاً، ﴿**إنك كنت بنا**

بصيرٌ﴾ أي: عالما.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[٣٦-٣٩].

﴿**سؤلك**﴾، طلبك أي: أعطيت ما سألت يا موسى، ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا**﴾ أي: أنعمنا عليك مرة أخرى، ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ**﴾ أي: قذفنا في قلبها ما يوحي، أن ارم به في التابوت، واقذفيه في اليم وهو البحر، وقيل: النيل، ﴿**فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**﴾ أي: الشط، وأن في موضع نصب على البدن من (ما) والهاء الأولى في اقذفيه لموسى، والثانية للتابوت، وهذا جزاء خرج مخرج الأمر، والمعنى ألقيه في اليم يلقه اليم، وذكر أنه ألقاه إلى مشرعة آل فرعون، فاحتمله جواريه إلى امرأته، وقوله: ﴿**يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي**﴾ أي فرعون، ﴿**وَعَدُوٌّ لَّهُ**﴾ أي: لموسى، ﴿**وألقيت عليك محبة مني**﴾ أي: حببتك إلى عبادي، حتى كان لا يراك أحد إلا أحبك، ﴿**وَلِتُصْنَعَ**﴾ أي ولتعذر وتربى على عيني، أي: بمرأى مني، إذ تمشي أختك إلى آل فرعون فتقول: هل أدلكم على من يكلفه أي يضمه إليه، ﴿**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ**﴾ أي: رددناك إليها.

وذلك أن امرأة فرعون تبنت به لما استوهبته من فرعون، وطلبت له المراضع، فامتنع أن يقبل ثدي مرضعة إلا ثدي أمه، لما دلتهم عليها أخته، كي تقر عينها أي: برؤيتك، ﴿**ولا تحزن**﴾، أي: لا يلحقها حزن بغيبتك عنها، ﴿**وقتلت نفسا**﴾ أي: القبطي الذي استغاثك عليه الإسرائيلي ﴿**فَنَجَّيْنَاكَ**﴾ أي: خلصناك من الغم، عن ابن عباس، غمك بعذاب الله، وخوفك من قتل فرعون، ﴿**وفتناك فتونا**﴾، أي: اختبرناك اختبارًا، عن ابن عباس، بلاء على بلاء، وعن مجاهد أخلصناك إخلاصًا.

قوله عز وجل:

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الآيات: ٤٠-٤٨].

﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾، أي: حين اتصلت بشعيب، **﴿ثم جئت على قدر﴾**، عن ابن عباس، على ما أراد الله تعالى من تكليمه، وعن مجاهد، على موعد، وعن قتادة، على قدر الرسالة والنبوة. ويقال: كان الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة، **﴿اصطنعتك لنفسي﴾**، أي: اصطفيتك لوحيي ورسالتي، قال الزجاج: حتى صرت في الخطاب، عني بالمنــزلة التي أكون بها لو خاطبتهم، **﴿ولا تنيا في ذكري﴾**، أي لا تفترا عن ذكري.

﴿وقولا له قولا لينا﴾، أي: ارفقا به، وفي بعض التفاسير كنياه، وكان يكنى أبا مرة، وأبا الوليد، لعله يتذكر، أي: يتعظ أو يخاف الله، والترجي الطمع في ذلك لهما، والمعنى ادعواه إلى الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه، قالا: إننا نخاف أن يبادر بعقوبتنا، أو يجاوز الحد في الإساءة بنا، قال: لا تخافا إنني معكما، أي: معين لكما، أسمع مقالكما، وأرى ما يراد بكما، **﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ﴾** أي: بما يدعوك إليه، **﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾**، يريد السلامة، أي: من اتبع الهدى سلم من عذاب الله، إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وأعرض عن طاعة الله، وهو دليل على أنه لم يعن بالسلام التحية.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾[٤٩-٥٤].

قال: **﴿فمن ربكما﴾** في الكلام حذف، فأتياه فقولا له ذلك، وجاز هذا، لأن في قوله: قال: فمن ربكما دليلا عليه، **﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾**: يكلم الاثنين، ثم يجعل الخطاب للواحد؛ لأن الكلام إنما يكون من الواحد، لا من الجميع، **﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾**، أي: صورته، ثم هداه لمعيشته، كذا روي عن مجاهد، وقيل: أعطى كل ذكر خلقا مثله من الإناث، **﴿ثُمَّ هَدَى﴾** أي: ألهم الذكر المأتي، قال: **﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾** أي: حال الأمم المتقدمة، ويقال سأله عن أعمال القرون الأولى، **﴿قال علمها عند ربي﴾**، أي: أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها، وقيل: أراد فما بال القرون الأولى لم تبعث؟ وقيل: ما بالها فيما دعوت؟ فأجابه بأن علمها عند الله، مثبت في كتاب، **﴿لا يضل ربي﴾**، أي: ذلك الكتاب **﴿وَلاَ يَنسَى﴾** أي: علمه، يقال: ضللت الشيء إذا جعلته في مكان لم تدر أين هو؟ وأضللته، أضعته.

وعن ابن عباس، لا ينسى، أي: لا يترك من كفر، حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحده حتى يجازيه، وقرأ أهل الكوفة: جعل لكم الأرض مهدا، بفتح الميم وإسكان الهاء ومثله في الزخرف، والباقون بكسر الميم وفتح الهاء بعدها ألف في الموضعين.

فمن قرأها بغير ألف فله ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون مصدرا، جعل لكم الأرض ممهودة مهدًا، والثاني: أن يكون اسما؛ لأن الناس يتمهدونها فهي لهم كالمهد، الثالث: أن يكون المهد والمهاد لغتين، ومن قرأها بالألف، قال المهد الفعل، يقال:

مهدت الأرض مهدا، وهي نفسها مهاد، كما تقول: فرشتها فرشا وهي نفسها فراش، كأنه قال الذي جعل لكم الأرض فراشًا، ويؤيده أنها في ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾(١) بالألف.

﴿**وسلك لكم فيها سبلا**﴾، أي: سهل لكم فيها طرقًا، و﴿**أزواجًا**﴾، أي: أصنافا، وشتى مختلفة الألوان والطعوم، والنُّهَىَ جمع نهية، وقيل: لهم أولو النهى، لا يتناهون عن معاصي الله، وقيل: لأنه ينتهي إلى رأيهم.

قوله عز وجل:

﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَانًا سُوًى**﴾[٥٥-٥٨].

أي: من الأرض خلقناكم؛ لأن الله تعالى خلق آدم من تراب، وفيها نعيدكم، أي: في قبوركم. ﴿**ومنها نخرجكم**﴾ للبعث وحسن ذلك؛ لأن قوله: ﴿**منها خلقناكم**﴾ كقوله منها أخرجناكم، فيكون قوله تارة أخرى مردودا عليه، ولا يكون مردودا على نعيدكم؛ لأن الأخرى والأخر إنما يردا على أمثالهما. ولقد أريناه، أي: أرينا فرعون الآيات التي أعطينا موسى، فكذب وامتنع أن يقبل الحق.

وقوله: ﴿**مِنْ أَرْضِنَا**﴾ أي: أرض مصر، ﴿**مَوْعِدًا**﴾ أي: ميقات، ﴿**لا نخلفه نحن ولا أنت**﴾ أي: يقي بإتيانه كل واحد منا ومنك، ﴿**مَكَانًا سُوًى**﴾ أي: موضعًا معروفًا، كذا روي عن ابن عباس. وعن مجاهد، منصفا بيننا وبينك، وعن ابن زيد، مستويا يبين للناس ما فيه، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة، سوى بضم السين، وقرأ الباقون بكسر السين وهما لغتان في معنى عدل ونصف، وفي معناهما سواء بالمد والفتح، والمكان نصب على أنه مفعول ثان لجعل، ولا يجوز نصبه بالموعد؛ لأنه قد

---

(١) سورة النبأ: آية ٦.

وصف بقوله: ﴿**لا نخلفه نحن ولا أنت**﴾.

والأسماء التي تعمل عمل الأفعال، إذا وصفت أو صغرت لم تعمل؛ لأنها تخرج عن شبه الأفعال بالصفة والتصغير؛ إذ الأفعال لا تصغر ولا توصف، فإذا خرجت بالصفة والتصغير عن شبه الفعل امتنعت عن العمل، وهذا أصل لا يختلف فيه البصريون.

وكذلك إذا أخبرت عن المصادر أو عطفت عليه ما لم تجز أن تعملها في شيء بعد ذلك؛ لأنك تفرق بين الصلة والموصول، لأن المعمول فيه داخل في صلة المصدر، والخبر والمعطوف غير داخلين في الصلة، ولا يحسن أن يكون مكانًا في هذا الموضع ظرفًا؛ لأن الوعد لم تجره العرب مع الظرف مجرى سائر المصادر معه، ألا ترى أنه قد قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ**﴾[1]. بالرفع، ولو قلت: إن خروجكم الصبح، لم يجز في الصبح إلا النصب على تقدير وقت الصبح، وقد جاء الموعد اسما للمكان، قال الله جل ذكره: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[2] وقيل: إن معناه لمكان موعدهم.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[الآيات:٥٩-٦٢].

﴿**موعدكم**﴾، أي: وقت موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيد كان لهم، ويقال: يوم سوق لهم يتزينون فيه وعن ابن جبير، كان يوم عاشوراء.

﴿**وأن يحشر الناس**﴾، تقول: إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد، وموضع (أن) رفع على موعدكم حشر الناس، ويجوز أن يكون في موضع جر عطفا على الزينة، أي: يوم الزينة، وقد نصب الحسن يوم الزينة على الظرف، ﴿**فتولى فرعون**﴾، ولى ذلك الأمر، ويقال: معناه أدبر على عادة المتواعدين،

---

(١) سورة هود: آية ٨١.

(٢) سورة الحجر: آية٤٣.

أي: يولي كل واحد منهما صاحبه ظهره، إذا افترقا، فجمع حيله ثم حضر الموعد، قال لهم موسى: ويلكم، هو منصوب على ألزمكم الله ويلا، ويجوز أن يكون على النداء نحو: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا﴾(١) ﴿لا تفتروا على الله﴾، أي: لا تشركوا به شيئا، فيستأصلكم بعذاب ينــزله عليكم، وقد خاب وخسر من ادعا مع الله إلها آخر، وقرأ حمزة والكسائي وحفص، فيسُحِتكَم بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان بمعنى واحد، قال اليزيدي: يُستحِكم لغة أهل الحجاز، ويَستحَكم لغة بني تميم.

﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ يعني السحرة يقول: تناظروا، ﴿وأسروا النجوى﴾، أي: أخفوا الكلام، وكان إسرارهم إن غلبنا موسى اتبعناه، كذا روي عن ابن عباس، وعن قتادة إن كان هذا ساحرا فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وعن وهب بن منبه لما قاله: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبًا﴾ الآية قالوا: ما هذا بقول ساحر وعن السدي، أسروا النجوى دون هارون وموسى.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[الآيات: ٦٣-٦٦].

﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ أي: موسى وهارون، ويذهبا بطريقتكم المثلى، عن مجاهد باء إلى العقل والشرف، وقيل: بني إسرائيل، وكانوا أولى عدد ويسار، وقيل: المراد بطريقتهم المستقيمة؛ لأن القوم يحسبون انهم على هدى، ويكون المعنى بالوجهين اللذين قبل هذا، ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى، والمثلى تأنيث الأمثل.

وقرأ ابن كثير وحفص بإسكان النون، هاذان بالألف. وقرأ أبو عمرو: ﴿إن

(١) سورة يس: آية٥٢.

هذين﴾ بالياء وتخفيف النون، والباقون: هاذان بألف، وكان ابن كثير وحده يشدد النون، فمن قرأ بإسكان النون فحجته أن في قراءة أبي: **﴿إن ذان إلا ساحران﴾**؛ لأنه موافق له في المعنى وإن خالفه في اللفظ، ومن قرأ بالياء قال: هو اسم لإن، وإنما يقول إن هذان، من يقول: أخذت برجلاه و**﴿في أذناه وقر﴾**[1]، وهي لغة بلحارث بن كعب، ومن قرأ بتشديد إن فله أوجه منها: أن حكى عن أبي الخطاب أنها لغة كنانة وينشدون:

ويقلـــن شيــب قــد عــلا ك (وقد كبرت) فقلت: إنــه

وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما

ويقولون إن هذه اللام التي في لساحران أصلها أن، تقع في الابتداء ووقوعها في الخبر جائز.

واختار أبو إسحاق من ذلك أن إن وقعت موقع نعم، وأن واللام قد وقعت موقعها، والمعنى: نعم هذا لساحران، وإنما اختار هؤلاء هذه القراءة لموافقة المصحف؛ لأنها مكتوبة فيه بالألف، **﴿فأجمعوا كيدكم﴾**، قرأ أبو عمرو، موصولة من جمعته، وقرأ الباقون مقطوعة الألف من أجمعت، فمن قرأ بالوصل فعلى أن المعنى جيئوا بكل كيد تقدرون عليه لا تبقوا منه شيئا، وشاهده، **﴿فجمع كيده ثم أتى﴾**، ومن قرأ بالقطع فعلى أن المعنى، ليكن عزمكم على الكيد مجمعا عليه ثم تختلفوا فتختلوا، وقال الفراء: الإجماع، الإحكام والعزيمة على الشيء، ثم ائتوا صفا، أي: مصطفين مجتمعين؛ ليكون أنظم لأمركم وأشد لهيبتكم، ولم يجمع؛ لأنه مصدر، وعن أبي عبيدة الصف المصلى، يقول ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم، فاستعلى، أي: علا بالغلبة، وأول من ألقى، أي: طرح سحره، قال الفراء: أن وإن في موضع نصب، والمعنى اختر إحدى هاتين، ولو رفع إذا لم يظهر الفعل كان صوابا، كأنه خبر كقول الشاعر:

فسيرا فإما حاجة تقضيانها وإما مقيل صالح وصديق

---

(١) سورة لقمان: آية ٧.

﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم﴾، وفي الكلام حذف، أي: فألقوا فإذا حبالهم التي ألقوها تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، قرأ ابن عامر: ﴿تخيل﴾ بالتاء، والباقون بالياء، فمن قرأ بالياء فعلى معنى يخيل إليه سعيها، ويكون موضع (أن) رفعًا؛ لأنه مفعول لم يسم فاعله ليخيل، ومن قرأ بالتاء فإنه جعل (أن) في موضع رفع على البدل من الضمير في -تخيل وهو بدل اشتمال، ويجوز مثل ذلك في قراءة من قرأ بالياء على أن يجعل الفعل ذكر على المعنى ويجوز أن يكون في قراءة من قرأ بالتاء في موضع نصب على تقدير حذف الباء تقديره: يخيل إليه من سحرهم بأنها تسعى، وتجعل المصدر أو (إليه) في موضع مفعول لم يسم فاعله.

قوله عز وجل:

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[٦٧-٧١].

موسى في موضع رفع بأوجس، وخيفة مفعول لأوجس، وأصله خوفه، ثم أبدل من الواو ياء وكسر ما قبلها ليصح بناء (فعله)، وإنما خاف موسى أن يفتتن الناس، وقيل: لما أبطأ عليه الوحي بإلقاء عصاه خاف، وقيل: بل غلب عليه طبع البشرية عند معاينة ما لم يعتد، والله أعلم، ومعنى أوجس، أحس ووجد، وقيل: أضمر خوفًا، و﴿**الأعلى**﴾، الأغلب، و﴿**تلقف**﴾ تبتلع ما أتوا به من سحرهم، وقرأ ابن عامر: ﴿**تلقف**﴾ برفع الفاء وتشديد القاف، والباقون ساكنة الفاء، فمن قرأ بالجزم فعلى جواب الأمر، وهو قوله: ﴿**ألق ما في يمينك**﴾، ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف، والمعنى ألق عصاك فلأنها تلقف ويجوز أن يكون على معنى الحال من (ما) وهي العصا، كأنه قال ألقها متلقفة، وقيل: هي حال من الملقي وهو موسى، نسب إليه التلقف، لما كان عن فعله وحركته، كما قال ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ**

رَمَى﴾[1]. وهي حال مقدرة؛ لأنها إنما تلقفت حبالهم بعد أن ألقاها، **﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾**، أي: إن الذي صنعوه كيد ساحر، وقرأ حمزة والكسائي مكسورة السين بغير ألف، وقرأ الباقون ساحر بالألف.

فمن قرأ بهذه القراءة قال: السحر ليس له كيد، إنما الكيد للساحر، ومن قرأ بالقراءة الأولى إنما صنع السحرة تخيل سحر؛ لأن السحر هو الذي يخيل المسحور أنه بخلاف ما هو به من الحقيقة، **﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾**، أي: حيث كان. وقوله: **﴿فألقي السحرة﴾**، في الكلام حذف، أي: فألقي فتلقف ما صنعوا فألقي السحرة سجدًا، عن ابن عباس: كانوا سبعين ألف رجل، مع كل واحد منهم عصا وحبل. قال آمنتم لموسى قبل أن آذن لكم في الإيمان به، وقوله: **﴿في جذوع النخل﴾**، أي: على، وجاز أن يقع (في) هاهنا؛ لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مشتمل عليه، فقد صار فيه، ولتعلمن أينا أشد عذابًا، أي: أدوم.

قوله عز وجل:

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾[٧٢-٧٦].

أي: لن نختارك على ما أعطانا الله من البينات، عن عكرمة، لما خروا سجدًا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة، و**﴿الذي فطرنا﴾**، الذي في موضع خفض على العطف على (ما)، وإن شئت على القسم، **﴿فاقض ما أنت قاض﴾**، أي: أصنع ما أنت صانع، **﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾**، أي: إنما يجوز

(١) سورة الأنفال: آية١٧.

أمرك فيها، أي: تقطع علينا حياتنا التي في الدنيا، و(ما) كافة، و(هذه) نصب على الظرف، والحياة بدل من هذه أو نعت تقديره: إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا، ويجوز في الكلام رفع هذه والحياة، على أن تجعل (ما) بمعنى الذي والهاء محذوفة مع تقضي، وهذه خبر إن، والحياة بدل من هذه أو نعت، تقديره: إن الذي تقضيه أمر هذه الحياة الدنيا، وقوله: ﴿**خطايانا**﴾، أي: الشرك الذي كنا فيه، وما أكرهتنا، موضع (ما) نصب، المعنى: ليغفر لنا خطايانا، وإكراهك إيانا على السحر، وكان إكراههم على تعليم السحر، وقيل: هو حرف ناف، فإذا جعلت (ما) نافية تعلقت (من) بالخطايا، وإذا جعلت (ما) بمعنى الذي تعلقت (من) بأكرهتنا.

﴿**والله خير**﴾، أي: هو خير منك ثوابا إن أطيع، وأبقى منك عذابا إن عصى.

قوله: ﴿**لا يموت فيها ولا يحيا**﴾، عن ابن عباس، أي: لا يموت فيستريح، ﴿**ولا يحيا**﴾ أي: لا يفتر عنه العذاب فيحيا، ويقال: إنه خبر من الله عز وجل على غير وجه الحكاية عن السحرة وقيل: هو حكاية، ﴿**وتزكى**﴾، أي: تطهر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس، قال: لا إله إلا الله.

قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى * كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٧٧-٨٢].

أي: سر بهم ليلا، ﴿**فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا**﴾، أي: اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فعدى إلى الطريق لما دخله هذا المعنى، ونعت الطريق بالمصدر، أي: طريقا ذا يبس، والمعنى ليس فيه ماء، ولا طين، ﴿**لا تخاف دركا**﴾ أي:

لحاقا من فرعون، ولا تخشى من البحر غرقا، وقرأ حمزة، ﴿لا تخف﴾ محذوفة الألف، ساكنة الفاء، والباقون بالألف وضم الفاء فمن قرأ بالجزم فعلى الجزاء، ورفع ولا تخشى على الاستئناف، كما قال: ﴿يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾[1].

ولو نوي بقوله: ولا تخشى، الجزم كان صوابا، وإن كانت معه الياء كما قال الشاعر:

هزي إليك الجَدْع يَجْنِيك الجَنَى

ويكون إثبات الألف؛ لأنه رأس آية، فيشاكل بذلك رءوس الآيات قبلها، كما حذفت الياء من ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[2] لمثل ذلك.

وقال أبو إسحاق، هو نهي عن أن تخاف، ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف أي: لست تخاف دركا، ويكون على الحال، كقولك: غير خائف ولا خاش، كما قال ﴿وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[3]، أي: مستكثرًا، ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾، أي: لحقهم، وقيل: الاتباع طلب اللحاق بالأول فعلاهم من البحر ما غرقهم.

﴿وأضل﴾، أي: أضاع فرعون قومه، في طرق الفتنة، وما أرشد نفسه ولا قومه.

وقوله: ﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾، أي: من فرعون وقومه، والطيب، الشهي، وقيل: الحلال. ومن قرأ حمزة: ﴿أنجيتكم﴾ ﴿وواعدتكم﴾ ﴿ورزقتكم﴾ بالتاء فيهن، وقرأ الباقون بالنون فيهن، فمن قرأ بالتاء فلأن الكلام أتى بعده على لفظ الواحد، وهو: ﴿فيحل عليكم غضبي﴾.

ومن قرأ بالنون، فلأنهم أجمعوا عليه في قوله تعالى: ﴿ونـزلنا عليكم﴾، فكان رده إليه أولى، وانتصب جانب على أنه مفعول ثان لواعدنا، ولا يحسن أن ينتصب على الظرف؛ لأنه ظرف مكان مختص غير مبهم، وإنما تتعدى الأفعال والمصادر إلى

(١) سورة آل عمران: آية١١١.

(٢) سورة الفجر: آية٤.

(٣) سورة المدثر: آية٦.

ظروف المكان إذا كانت مبهمة، هذا أصل لا اختلاف فيه، وتقدير الآية: وواعدناكم إتيان جانب الطور، ثم حذف المضاف، ﴿ولا تطغوا فيه﴾، أي: لا تسرفوا ويقال: لا تظلموا.

و﴿هوى﴾، أي: هلك وصار إلى الهاوية، وهي قعر جهنم، وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء، ومن يحلل بضم اللام الأولى، ومعناه فينـزل، وقرأ الباقون يحل بكسر الحاء، ومن يحلل بكسر اللام ومعناه فيجب عليكم، وشاهده ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾(١) إذ كانوا مجمعين على أنه بالكسر، ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾، عن مجاهد، من الشرك، وعن قتادة، من ذنبه ثم اهتدى، أي: أقام على إيمانه، وعن ابن عباس، علم أن ذلك توفيق من الله، وعنه أيضا علم أن لعمله ثوابا وعقابا.

قوله عز وجل:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾ [الآيات: ٨٣-٨٩].

أي: ما الشيء الذي أعجل بك عن قومك، وقوله: ﴿على أثري﴾، من صلة أولاء، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر، وكانت المواعدة أن يوافي هو وقومه، وفتناهم، أي: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم، ﴿وأضلهم السامري﴾، أي: كان سبب ضلالهم، وقوله: ﴿أسفا﴾، أي: شديد الغضب، وقيل: جزعا، وقيل: حزنا،

(١) سورة طه: آية٨٦.

قوله: وعدا حسنا، يجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود، كما جاء الخلق بمعنى المخلوق، فنصب وعدا على هذا التقدير، على أنه مفعول ثان ليعد على تقدير حذف مضاف، تقديره: ألم يعدكم ربكم تمام وعدٍ حسنٍ، ويجوز أن يكون انتصب وعد على المصدر، ومعناه: أنجز لكم ما وعدكم من الكرامة، حيث أنجاكم، وأغرق آل فرعون، كذا ذكره ابن عباس، وعن الحسن: يريد ﴿**وعدًا حسنًا**﴾ في الآخرة على التمسك بدينه، في الدنيا، ﴿**أفطال عليكم العهد**﴾، أي: امتدت بكم المدة فأخلفتم موعدي، يقال: إخلافهم موعده تركهم المسير على أثره للميقات، وقيل: كان وعدهم أن يقيموا على أمرهم، فأخلفوا، وقرأ نافع وعاصم: ﴿**بملكنا**﴾، بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي، بضم الميم والباقون بكسر الميم، والملك السلطان والقدرة، والملك ما حوت اليد، والملك مصدر ملكت الشيء ملكا، وهن يرجعن إلى معنى واحد، وكان المراد ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا الصواب، أو ما أخلفناه بسلطان كان لنا ولا قدرة، ولكنا حملنا أوزارا يعني حليا، كانوا أخذوها من آل فرعون، حين قذفهم البحر، فألقاهم على ساحله.

وقيل: إن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم، وسميت أوزارا؛ لأن معناها الآثام، وجائز أن يراد بها الأثقال، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص، حملنا، بضم الحاء وتشديد الميم، وقرأ الباقون: ﴿**حُمِّلنا**﴾، بفتح الحاء وتخفيف الميم، فمن قرأ بالتشديد، فعلى معنى، أمرنا بحملها، ومن قرأ بالتخفيف فعلى معنى حملنا نحن، ﴿**فَقَذَفْنَاهَا**﴾ أي: في النار، ﴿**فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾ أي: ألقى حليا كانت معه فاتبعناه.

والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف، تقديره: فألقى السامري إلقاء كذلك، ﴿**وخوار**﴾ أي: صوت، وعن مجاهد، خوار حفيف الريح، إذا دخلت في جوفه.

قال أبو إسحاق: وهذا أسرع إلى القبول؛ لأنه شيء ممكن، والتفسير الآخر من أنه خوار ممكن في محنة الله عز وجل أن امتحن القوم به، وليس في ذلك ما يوجب

عبادته لأنهم قد رأوه معمولا لا مصنوعًا، فقالوا: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الإيمان وقيل: قال لهم السامري: إن موسى أراد هذا فنسي، وترك الطريق الذي يصل إليه، ﴿**أفلا يرون أن لا يرجع**﴾، أي: لا يرد إليهم قولا، والمعنى أفلا يرون أنه لا يفعل ذلك كما قال: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً**﴾(١). فلهذا اختير الرفع.

قوله عز وجل:

﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾[الآيات: ٩٠-٩٧].

﴿**فتنتم به**﴾، أي: امتحنتم به، فاتبعوني في الإيمان بالرحمن وأطيعوا أمري في عصيان السامري وما جاء به، وقوله: ألا تتبعني، أي: أن تلحق بي، عن ابن جريج، في شدة الزجر لهم عن الكفر بالله، ويقال إن المراد ما منعك بدعائه لك إلى أن لا تتبعني، فدخلت (لا) لتنبئ عن هذا المعنى، أفعصيت أمري، أي: إقامتك على حالك، وقد عبدوا العجل عصيان منك لي، يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، وذلك أنه أخذ برأس أخيه يجره إليه يقال: إنه أجراه مجرى نفسه في القبض على لحيته عند الغضب؛ لأنه لم يكن يهتم عليه كما لا يهتم على نفسه، وقيل: كانت العادة في ذلك الزمان أن ذلك كالقبض على يده، وقوله: ﴿**فرقت بين بني إسرائيل**﴾، أي:

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٨.

صيرهم أحزابًا، يقتل بعضهم بعضًا، ولم ترقب، أي: لم تحفظ قولي، حيث قلت ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**﴾(١)، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿**تبصروا**﴾ بالتاء، والباقون بالياء فمن قرأ بالتاء أراد بما لم تبصر به أنت يا موسى ولا قومك من بني إسرائيل؛ لأن الخطاب كان منه له.

ومن قرأ بالياء أراد بما لم تبصر به بنو إسرائيل؛ لأن الخبر جرى بما كان منه في غيبته، وقوله: ﴿**لا مساس**﴾، أي: لا أمس ولا أمس، وذلك أن موسى أمرهم أن لا يواكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه عقوبة، وهو منصوب على التبرئة.

ومن قرأ لا مساس بفتح الميم وكسر السين فهو مبني على الكسر وهو نفي أي: لا مساس القوم، يأمر بذلك، وبنبت مساس على الكسر وأصلها الفتح، لمكان الألف، ولكن مساس، وكذلك مؤنث فاختير الكسر لالتقاء الساكنين، لأنك تقول في المؤنث: فعلت يا امرأة، وأعضيتك يا امرأة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿**لن تخلفه**﴾ بكسر اللام، والباقون بفتح اللام فمن قرأ بكسر اللام فعلى معنى لن تجده مخلفا، كما تقول أحمدته، أي: وجدته محمودا، وقيل: إن معناه محمول على التهدد، أي: لابد لك أن تصير إليه.

ومن فتح اللام فمعناه لن يخلفه الله، فالمخاطب مضمر، مفعول لم يسم فاعله، والفاعل هو الله، والهاء المفعول الثاني، والمخاطب في القراءة الأولى فاعل على المعنيين جميعا (وأخلفت) يتعدى إلى مفعولين الثاني محذوف في قراءة من كسر اللام والتقدير: لن تخلف أنت الله الموعد، الذي قدرت أن ستأتيه وأصل ظلت ظللت، لكن اللام حذفت ليقل التضعيف والكسر، والعاكف المقيم، وهو نصب على خبر ظلت، والمعنى أقمت على عبادته، ﴿**لَّنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ أي: بالنار، و﴿**لَّنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ أي: لنبردنه، حرقته أحرقه، أي: بردته، والنسف التذرية.

---

(١) سورة الأعراف: آية١٤٢.

قوله عز وجل:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا * كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾[الآيات: ٩٨-١٠٤].

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، كذلك نقص عليك، الكاف في (موضع) نصب نعت لمصدر محذوف، أي: نقص عليك قصصا كذلك، والذكر، القرآن، والوزر، الإثم **﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾** أي: ساء الوزر لهم حملا يوم القيامة، ونصب (حملا) على التمييز، وقرأ أبو عمرو ننفخ بفتح النون وضم الفاء، والباقون بالياء، مضمومة وفتح الفاء فمن قرأ بالنون فلأهم أجمعوا على النون في قوله: ونحشر، فحمله عليه، ومن قرأ بالياء، فلأن المعنى ينفخ ملك الصور، ثم رد إلى ما لم يسم فاعله، ولأن سائر ما جاء في القرآن من نفخ الصور جاء بلفظ ما لم يسم فاعله فحمله عليه.

وقوله: **﴿زرقا﴾**، أي: عطاشًا قد ازرقت عيوهم من شدة العطش، وهي حال من المجرمين، وقيل عميا، كما قال: **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾**(١)، وإنما قيل: زرقا؛ لأن السواد يزرق إذا ذهب الناظر.

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ أي: يتسارون بينهم، **﴿إن لبثتم﴾**، أي: ما مكثتم إلا عشرًا، وعشرًا نصب بلبثتم، **﴿وأمثلهم طريقة﴾**، أي: أعلمهم عند نفسه بما يقول، وقيل: أشبههم طريقة بأهل العقل، إن **﴿لبثتم إلا يوما﴾**، يقال: لشدة ما يرون من هول يوم القيامة ينسون ما لبثوا في الدنيا، ويقولون هذا القول، وقيل: يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لما يرون من أحوالهم التي رجعت إليهم، كأهم كانوا نيامًا فانتبهوا.

---

(١) سورة الإسراء: آية٩٧.

قوله عز وجل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا * يَوْمَئِذ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا﴾[الآيات: ١٠٥-١١٢].

﴿يسألونك عن الجبال﴾، أي: كيف يكون حالها يوم القيامة؟ **﴿فقل ينسفها ربي﴾**، أي: يجعلها بمنـــزلة الرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كتذرية الطعام، وتصير كالهباء.

والقاع من الأرض، المكان الذي يعلوه الماء، وقيل: المستوي، وهو نصب على الحال، والصفصف الأملس الذي لا نبات به، **﴿لا ترى فيها عوجا﴾**، أي: واديًا، ولا أمتًا. أي: رابية، كذا روى عن ابن عباس، العوج فيه أن لا يكون مستويًا، والأمت أن يغلظ مكان ويرق مكان، وقيل: هي الاضطراب بالارتفاع والانخفاض، يتبعون الداعي، أي: صوت الداعي للحشر، **﴿لا عوج له﴾**، أي: لا عوج لهم عن الداعي، وجاز أن يقول له، لأن المذهب إلى الداعي صوته، كما تقول في الكلام، دعوتني دعوة لا عوج لك عنها، أي: لا أعوج لك ولا عنك.

والهمس الصوت الخفي، وعن ابن زيد، هبوط الأقدام ونقلها إلى المحشر قال:

وهن يمشين بنا هميسا

﴿إلا من أذن﴾، (من) في موضع نصب، أي: لا ينفع إلا من أذن أن تشفع فيه، ورضي له قولا، عن ابن عباس، من قال لا إله إلا الله، ويقال: هو كقولك، ورضي له عمله.

﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر القيامة، وما خلفهم، وما وقع من أعمالهم،

وقيل: ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الفراء: يعني ملائكته الذين عبدهم من عبدهم، فقال هم لا يعلمون ما بين أيديهم وما خلفهم، هو الذي يعلم وذلك، قوله: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ**﴾[1] ﴿**وَعَنَتِ**﴾ أي: خضعت، ومنه أخذت البلاد عنوة، إذا أخذت بخضوع من أهلها، ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾ أي: من أشرك بالله، ومن آمن به ﴿**فلا يخاف ظلما**﴾، أي: لا يزاد عليه أكثر من ذنوبه، ﴿**وَلاَ هَضْمًا**﴾ أي: لا ينقص من حسناته.

وقرأ ابن كثير: ﴿**فلا يخف**﴾ محذوفة الألف ساكنة الفاء، على النهي، والباقون بالألف، وضم الفاء على الخبر.

قوله عز وجل:

﴿**وَكَذَلِكَ أَنــزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى**﴾[الآيات: ١١٣-١٢٠].

﴿**أَنــزَلْنَاهُ**﴾ أي: هذا الكتاب، ﴿**وَصَرَّفْنَا**﴾ أي: بينا فيه من التحذير لعلهم يتعظون أو يتذكرون خلود العذاب الذي وعدوا به، وقيل: شرفا بإيمانهم، ﴿**والملك الحق**﴾ الذي بيده الثواب والعقاب، ﴿**ولا تعجل بالقرآن**﴾، عن ابن عباس كان إذا أتاه جبريل بالوحي عجل بقراءته قبل أن يستتم جبريل تلاوته، فأمر أن لا يعجل حتى يستتم جبريل تلاوته، وعن بعضهم أنها منسوخة بقوله ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى**﴾[2]،

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٢) سورة الأعلى: آية٦.

وقيل: إنها محكمة لعدم التنافي بين الآيتين، ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾، أي: حين نهيناه عن أكل الشجرة ﴿فنسي﴾، أي: ترك العهد و لم نجد له عزما، أي حفظا لما أمر به، وقيل: صبرا عن أكل الشجرة، وقوله: ﴿فتشقى﴾، أي: بأن تأكل من كد يديك وما تكسبه لنفسك، و لم يقل فتشقيا؛ لأن آدم هو المخاطب وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة، وقرأ نافع وأبو بكر: ﴿وإنك﴾ مكسورة الهمزة، والباقون بفتح الهمزة فمن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف، وعطف جملة على جملة.

ومن قرأ بالفتح فعلى معنى إن لك أنك لا تظمأ، فيتسق بأنك على ألا تجوع، ويكون موضعها نصبًا.

ويجوز أن يكون المعنى ولك أنك لا تظمأ فيها، فيكون موضعها رفعًا، وتضحى تبرز للشمس، ﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي: البقاء، كأنه أراد من أكل منها لم يمت، ﴿لاَّ يَبْلَى﴾ أي: لا يخلق فيفنى.

قوله عز وجل:

﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[الآيات: ١٢١-١٢٥].

﴿مِنْهَا﴾ أي: من الشجرة فظهرت لهما عوراتهما من النور الذي كان الله ألبسهما إياه، وجعلا يلصقان عليهما من ورق الجنة، (وغوى) أي: خاب، وقيل: بَشِمَ من أكل الشجرة وأنكر ذلك ابن قتيبة وقال: ليس في غوى شيء إلا ما في عصى من معنى الذنب.

والغي، ضد الرشد كما أن المعصية ضد الطاعة، و لم يكن ذنبه عن عداوة كذنوب أعداء الله، فنحن نقول: عصى وغوى، ولا نقول: آدم عاص ولا غاو، وكأنه يريد أن معناه جهل، وقد روي عن ابن عباس، فغوى أي: فضل.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ﴾ أي: اختاره وهداه للنبوة، ﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ أي: انـــزلا منها، بعضكم لبعض عدو، يقال: آدم وذريته، وإبليس وذريته وقيل: آدم وحواء وإبليس والحية.

قوله: ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾، عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

ومن أعرض عن موعظتي فإن له معيشة ضنكًا، أي: ضيقة شديدة، ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأن أصله المصدر، ثم وصف به واختلف في تأويله، فقيل: عذاب القبر، وقيل: هو الضريع والزقوم في النار، وقيل: الكسب الخبيث.

ونحشره يوم القيامة أعمى، قال: أعمى البصر، وقيل: أعمى عن الحجة، وتأويله: أنه لا حجة له يهتدي إليها، لا أن له حجة وأنه يعمى عنها، وقيل: لا يبصر في حال ويبصر العذاب في حال، ﴿وقد كنت بصيرًا﴾، أي: عالما بحجتي في الدنيا، كذا روى عن مجاهد.

قوله عز وجل:

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ لَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى * أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى * وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[الآيات: ١٢٦-١٣٠].

﴿فَنَسِيتَهَا﴾ أي: تركتها وتركت الإيمان بها، وكذلك اليوم تنسى، أي: تترك في النار، وكذلك نجزي من أسرف، أي: في المعاصي، وقيل: أشرك، أفلم يهد لهم كم أهلكنا، فاعل يهد مضمر، وهو المصدر، تقديره: أفلم يهد الهدى لهم كم أهلكنا.

وقال الكوفيون: (كم) هو فاعل يهد، وهو غلط عند البصريين لأن كم لها صدر الكلام، ولا يعمل ما قبلها فيها، إنما يعمل فيها ما بعدها كأي في الاستفهام، والعامل في كم الناصب لها عند البصريين، ﴿أهلكنا﴾، يمشون في مساكنهم، يعني أهل مكة يتجرون ويسيرون في مساكن عاد وثمود، فيمرون فيها بالمشي لكفار أهل مكة، والمساكن للمهلكين، أي: أفلم تخافوا أن يقع بهم ما وقع بالذين رأوا مساكنهم آثار عذابهم.

وفاعل يهد مضمر، يدل عليه ﴿كم أهلكنا﴾ لأن المعنى: أفلم يهد إهلاكنا من قبلهم من القرون، ويجوز أن يكون المضمر المصدر يفسر بـــ(كم) أهلكنا، ويجوز أن يكون الفعل لله عز وجل، وكم في موضع نصب بأهلكنا، ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ أي: لولا أن الله عز وجل جعل الجزاء يوم القيامة وسبقت بذلك كلمته، لكان العذاب ملازما لا يفارق، ولزام مصدر لازمته، وفيه تقديم وتأخير، أراد: لولا كلمة سبقت من ربك فأجل مسمى لكان العذاب لزامًا. وعن ابن عباس، لكان لزاما مثل وقعة بدر، وعن محمد بن كعب لكان لزاما لأخذ كل عبد عند خطيئته والكلمة الأجل المسمى، ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ يعزي نبيه ﷺ، وعن بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وعن آخرين أنه غير منسوخ لإمكان الجمع بينهما، ﴿وَسَبِّحْ﴾ أي: صل لربك شاكرا لنعمه عندك قبل طلوع الشمس. أي: صلاة الفجر، وقبل غروبها أي: العصر، و﴿آناء الليل﴾ ساعاته ﴿فسبح﴾ عن قتادة، يريد صلاة المغرب والعشاء، ﴿وأطراف النهار﴾، أي: الظهر، وعن الحسن، أطراف النهار، صلاة التطوع.

والمعنى: سبح أطراف النهار، ويقال ذكر أطراف النهار بالجمع؛ لأن المعنى أطراف كل نهار، فإن النهار في معنى جمع، وقيل: إن آخر النصف الأول من النهار طرف، وأول النصف الثاني طرف، فيخرجان مخرج الجمع كما قال ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1]، وقرأ الكسائي وأبو بكر: ﴿لعلك ترضى﴾ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء، فمن قرأ بالضم فلأن فيها معنيين، أحدهما: يعطي الرضا، والآخر يرضاك

(١) سورة التحريم: آية ٤.

الله تعالى، كما قال ﴿وكان عنْدَ رَبِّه مَرْضيًّا﴾[١]، ومن قرأ بالفتح، فلأنهم أجمعوا على الفتح في قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٢] و﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[٣] فرد ما اختلفوا فيه إليه.

قوله عز وجل:

﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِه أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاة الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيه وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَة وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * وَقَالُوا لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَة مِّن رَّبِّه أَوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِه لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[الآيات: ١٣١-١٣٥].

﴿أزواجًا منهم﴾، يريد رجالا منهم، كذا قال الفراء، وقال غيره: أشكالا منهم من المزاوجة من الأشياء وهي المشاكلة: **﴿زهرة الحياة الدنيا﴾**، أي: زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه، ونصب زهرة على فعل مضمر، دل عليه متعنا؛ لأن متعنا بمنزلة جعلنا، فكأنه قال: جعلنا لهم زهرة، وقيل: هي بدل من الهاء في به على الموضع، كما تقول: مررت به أخاك.

وأشار الفراء إلى نصبه على الحال، فقال: نصبت الزهرة على الفعل، متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا، وزينة فيها، وزهرة وإن كانت معرفة، فإن العرب تقول: مررت به الشريف الكريم، وقال أنشدني بعض بني فقعس:

أبعد الذي بالسفح سفح كواكب رهينة رمس من تراب وجندل

قال: كواكب، موضع فنصب الرهينة بالفعل، وإنما وقع على الاسم الذي هو

(١) سورة مريم: آية٥٥.

(٢) سورة الضحى: آية ٥.

(٣) سورة الليل: آية٢١.

الرهينة خافض فهذا أضعف من متعناه وأشباهه وقال غيره: الأحسن أن تنصب زهرة على الحال، وتحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة، كما قرئ: ﴿**وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾[1] بنصب النهار بسابق، على تقدير حذف التنوين، لسكونه ولسكون اللام وتكون الحياة مخفوضة على البدل من (ما) في قوله إلى ما متعنا، فيكون: ولا تمدن عينيك إلى الحياة الدنيا زهرة، أي: في حال زهرتها، ولا يحسن أن تكون زهرة بدلا من (ما) على الموضع في قوله إلى ما متعنا؛ لأن لنفتنهم متعلق بمتعنا، وهو داخل في صلة ما، فلنفتنهم داخل أيضا في الصلة، ولا يتقدم المبدل على ما هو في الصلة؛ لأن البدل لا يكون إلا بعد تمام الصلة للمبدل منه، فامتنع بدل زهرة من (ما) على الموضع، ﴿**لنفتنهم فيه**﴾، أي: لنجعل ذلك فتنة لهم واختبارًا، و﴿**رزق ربك**﴾، أي: عطاؤه في الآخرة خير مما متع به هؤلاء في الدنيا، ويقال سبب نـزول هذه الآية أن النبي صلوات الله عليه وسلامه استسلف من يهودي طعاما فأبي أن يسلفه إلا برهن فحزن، فأنـزل الله ذلك ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾، روي أنه إذا نـزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة، ﴿**لا نسألك رزقا**﴾، أي: لا نسألك رزقا لخلقنا، ولا رزقا لنفسك، ﴿**نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى**﴾، أي: الجنة لأهل التقوى، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص، ﴿**أو لم تأتهم بينة**﴾ بالتاء؛ لتأنيث البينة، والباقون بالياء؛ لأن البينة في معنى البيان ويؤيده قوله تعالى: ﴿**فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ**﴾[2]. ﴿**ولو أنا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ** مِّن قَبْلِهِ﴾، أي: من قبل الرسول، ويقال: الهاء للتنـزيل، ﴿**نخزى**﴾ أي: نهاب بالعذاب، ﴿**قل كل متربص**﴾، معناه: نحن نتربص وعدًا لنا فيكم، وأنتم تتربصون أن نموت، فتستريحوا منا، فتربصوا، فستعلمون من أصحاب الطريق المستقيم، ومن اهتدى (من) في موضع رفع على طريق الاستفهام، ويحتمل النصب على معنى الذي، وذكر بعضهم أن الآية منسوخة بآية السيف، وقيل: إنها محكمة لإمكان الجمع بين الآيتين.

---

(١) سورة يس: آية ٤٠.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٧.

وأما الياءات فقرأ ابن كثير: ﴿**تتبعني**﴾ بالياء في الوصل والوقف، وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء في الوصل دون الوقف، والباقون بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿**إني آنست**﴾، ﴿**إني أنا ربك**﴾، ﴿**إنني أنا الله**﴾، ﴿**لنفسي**﴾، ﴿**اذهب**﴾، ﴿**ذكري**﴾، ﴿**اذهبا**﴾، بفتح الياء فيهن، وقرأ الباقون بإسكان الياء فيهن.

وقرأ أهل الكوفة: لعلي آتيكم بإسكان الياء، وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿**ذكري**﴾، ﴿**لي أمري**﴾، ﴿**وعيني**﴾، ﴿**وبرأسي**﴾، ﴿**إني**﴾ بفتح الياء فيهن، والباقون بإسكان الياء فيهن. وقرأ حفص وحده ولي فيها بفتح الياء.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿**أخي**﴾، ﴿**اشدد**﴾ بفتح الياء، والباقون بإسكان الياء، وقرأ ابن كثير ونافع: ﴿**لم حشرتني أعمى**﴾ بفتح الياء، والباقون بإسكان الياء.

فهرس الموضوعات

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣